مجلة العلوم العربية

مجلة علمية فصلية محكمة

العدد الحادي والستون
شوال ١٤٤٢هـ

www.imamu.edu.sa
e-mail : arabicjournal@imamu.edu.sa

رقم الإيداع :٣٥٦٣ / ١٤٢٩ بتاريخ ١٩ / ٠٦ / ١٤٢٩هـ
الرقم الدولي المعياري (ردمد) ٤١٩٨ ـ ١٦٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم

المشرف العام
الأستاذ الدكتور/ أحمد بن سالم العامري
معالي رئيس الجامعة

نائب المشرف العام
الأستاذ الدكتور/ عبدالله بن عبدالعزيز التميم
وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور/ سعود بن عبد العزيز الخنين
الأستاذ في قسم النحو والصرف وفقه اللغة - كلية اللغة العربية

مدير التحرير
الدكتور/ إبراهيم بن ناصر بن محمد الشقاري
وكيل عمادة البحث العلمي

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. إبراهيم بن عبد العزيز أبو حيمد
الأستاذ في قسم علم اللغة التطبيقي – معهد تعليم اللغة العربية

أ.د. إبراهيم بن محمد أبا نمي
الأستاذ في قسم الأدب – كلية اللغة العربية

أ.د. محمد أحمد الدالي
الأستاذ في قسم علم اللغة – كلية الآداب – جامعة الكويت

أ. د. محمد محمد أبو موسى
الأستاذ في قسم البلاغة والنقد – كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر

أ.د. نوال بنت إبراهيم الحلوة
الأستاذ في قسم اللغة العربية – كلية الآداب
جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

أ. د. يوسف بن عبد الله العليوي
الأستاذ في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي – كلية اللغة العربية

أ.د. ممدوح إبراهيم محمود
أمين تحرير مجلة الجامعة - عمادة البحث العلمي

قواعد النشر

مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (العلوم العربية) دورية علمية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة. وتُعنى بنشر البحوث العلمية وفق الضوابط الآتية :

أولاً : يشترط في البحث ليقبل للنشر في المجلة :

١- أن يتسم بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه .

٢- أن يلتزم بالمناهج والأدوات والوسائل العلمية المعتبرة في مجاله .

٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج .

٤- أن يتسم بالسلامة اللغوية .

٥- ألا يكون قد سبق نشره .

٦- ألا يكون مستلاً من بحث أو رسالة أو كتاب، سواء أكان ذلك للباحث نفسه، أم لغيره .

ثانياً : يشترط عند تقديم البحث :

١- أن يقدم الباحث طلباً بنشره، مشفوعاً بسيرته الذاتية(مختصرة) وإقراراً يتضمن امتلاك الباحث لحقوق الملكية الفكرية للبحث كاملاً، والتزاماً بعدم نشر البحث إلا بعد موافقة خطية من هيئة التحرير .

٢- أن يكون البحث في حدود (٥٠) صفحة مقاس (A 4) .

٣- أن يكون حجم المتن (١٧) Traditional Arabic، والهوامش حجم (١٤) وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر (مفرد) .

٤- يقدم الباحث نسخة مطبوعة من البحث، ونسخة حاسوبية مع ملخص باللغتين العربية والإنجليزية، لا تزيد كلماته عن مائتي كلمة أو صفحة واحدة .

ثالثاً: التوثيق :

١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة .

٢- تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث .

٣ - توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط المحقق في مكانها المناسب .

٤ - ترفق جميع الصور والرسومات المتعلقة بالبحث، على أن تكون واضحة جلية .

رابعاً : عند ورود أسماء الأعلام في متن البحث أو الدراسة تذكر سنة الوفاة بالتاريخ الهجري إذا كان العَلَم متوفى .

خامساً : عند ورود الأعلام الأجنبية في متن البحث أو الدراسة فإنها تكتب بحروف عربية وتوضع بين قوسين بحروف لاتينية، مع الاكتفاء بذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة .

سادساً : تُحكَّم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين من المحكمين على الأقل.

سابعاً : تُعاد البحوث معدلة، على أسطوانة مدمجة CD أو ترسل على البريد الإلكتروني للمجلة .

ثامناً: لا تعاد البحوث إلى أصحابها، عند عدم قبولها للنشر .

تاسعاً : يُعطى الباحث نسختين من المجلة، وعشر مستلات من بحثه .

عنوان المجلة :

جميع المراسلات باسم رئيس تحرير مجلة العلوم العربية

الرياض ١١٤٣٢- ص ب ٥٧٠١

هاتف : ٢٥٨٢٠٥١ - ناسوخ (فاكس) ٢٥٩٠٢٦١

www. imamu.edu.sa

E.mail: Arabicjournal@imamu.edu.sa

المحتويات

الإحلال في الكتاب لسيبويه– دراسة تأصيلية في ضوء النحو التحويلي– د. عاطف طالب عبد السلام الرفوع	١٣
الأصول الثلاثية المهملة في الجمهرة المستعملة في القاموس –دراسة وصفية – د. عزيزة عطية الله زاهر الشنبري	١٠٩
ما لا يكون جملة د. سعود بن أحمد المنيع	١٩٥
التناصّ في شعر أماني بسيسو د. عصام حسين إسماعيل أبو شندي	٢٤٩
خطابة يوم السقيفة دراسة تداولية في مقصدية القول والأفعال الإنجازية د. حسن بن احمد النعمي	٢٨٥
أسرار تناسب الآياتِ المختومة بأسماء الله الحُسنى مع السياق د. خالد بن محمد العثيم	٣٧١

الإحلال في الكتاب لسيبويه
- دراسة تأصيلية في ضوء النحو التحويلي-

د. عاطف طالب عبد السلام الرفوع
قسم النحو والصرف وفقه اللغة – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الإحلال في الكتاب لسيبويه- دراسة تأصيلية في ضوء النحو التحويلي-

د. عاطف طالب عبد السلام الرفوع

قسم النحو والصرف وفقه اللغة- كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ١٧/ ٧/ ١٤٤١ هـ تاريخ قبول البحث: ١٠/ ٢/ ١٤٤٢ هـ

ملخص الدراسة:

تُعْنَى الدِّراسة بالكتاب لسيبويه، وهو من أجلِّ كتب النَّحو بلا منازع، وأعلاها منزلة وقدرا؛ وهو لم يكن غفلا عن كثير من الموضوعات والمكوِّنات الَّتي طرقها تشومسكي في نظريته، فما يسمَّى بالمكوِّن التَّحويلي بعناصره المختلفة له حضور واسع في الكتاب؛ لذا عني هذا البحث بإبراز قضية الإحلال ومعالجتها في الكتاب، وقد استوقفني ما يزيد على مئة موضع من خلال الاستقراء غير التام، عالج فيها سيبويه مسائل عدة قائمة على عنصر الإحلال بمختلف صوره وأنواعه.

وتسعى الدِّراسةُ إلى تأصيلِ مصطلحِ الإحلال في تراثنا النَّحوي ولا سيَّما في الكتاب لسيبويه، وذكرِ المصطلحاتِ المقاربة له في الدَّلالةِ والمفهومِ، وتحليل مسائل مختارة تجلِّي الإحلال في الكتاب، وذكر الفوائد اللُّغويَّة لهذا الإحلال، معتمدا على الوصفِ والتَّحليلِ والاستقراء غير التَّام لما جاء في الكتاب من مسائل تنتظم تحت عنصر الإحلال.

وتوصلت الدِّراسة إلى نتائج هامة من أبرزها أنَّ ما ذكره تشومسكي من عناصر التَّحويل جذوره وأسسه الأولى موجودة في الكتاب، وتناولها سيبويه ولا سيما الإحلال، فقد ذكره سيبويه تحت مسميات وتعبيرات عدة، نحو: ما جاء بمنزلة كذا، وما أجري مجرى كذا، وما جاء في موضع كذا...ومنها تعدد صور الإحلال في الكتاب كإحلال الاسم مكان الاسم، والفعل مكان الفعل، والاسم مكان الفعل، والتركيب مكان المفردات...ومنها أنَّ سيبويه في معالجته لصور الإحلال استحضر البنية العميقة والحذف والاتِّساع وهي عناصر أساسية في النَّظرية التَّوليدية التَّحويلية.

الكلمات المفتاحية: سيبويه، الكتاب، تشومسكي، النَّظرية التَّوليدية التَّحويلية، الإحلال.

Replacement in the Book of Seibaweihi. A Referential Study in the light of Transformational grammar

Prof. Atef Taleb Al Rfou'
Department of Grammar -Morphologe and philology College of Arabic Language
Al-Imam Mohammad Ibn Saud University

Abstract:

This study is concerned with The Book, for Seibaweih which is regarded as one of the best books among all books of syntax since it early covered topics such as transformational grammar which is contemporarily discussed in Chomsky's theories .

This study aims at: 1-revealing and clarifying the replacement as one of the transformational rules mentioned in the Book. I found more than a hundred examples in which Seibaweih discussed and explained many topics about Replacement. 2-clarifying the rooting of the term Replacement in our Arabic syntactic literature especially in the Book of Seibaweih with assigning the Replacement terms and synonyms. 3-analyzing and discussing the selected chapters and topics that included Replacement samples with identifying its linguistic characteristics depending on the descriptive, analytical, as well as the incomplete inductive approach .

Findings:1-before Chomsky proposed transformations including the replacement, Seibaweih had discussed them under other terminologies. The samples of replacement included the replacement of a noun in the position of a noun, the replacement of a verb in the position of a verb, the replacement of a noun in the position of a verb, and the replacement of a structure in the position of vocabulary. 2-Seibaweih, when dealing with replacement, was aware of the deep structure, omission, and expansion which were essential in the Transformational-Generative Grammar.

key words: Seibaweihi, the Book, Chomsky, Transformational- Generative Grammar.

المقدِّمة

الحمد لله الَّذي علم الإنسان ما لم يعلم، وكرَّمه بالعقل ليدرك به سبل الهداية، ويسبر به حقول المعارف والعلوم، حمدا لا نفاد لمداده...والصَّلاة والسَّلام على أفصح العرب سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله الأخيار، وصحبه الكرام، صلاة وسلاما دائمين ما تعاقب الأجدان.

ظهرت البدايات الأولى للنظرية التحويلية التوليدية في منتصف القرن الماضي، وقد مرت النظرية بسلسلة من المراحل حتى بلغت نضجها، وآتت أكلها، بدأها تشومسكي بكتابه "البنى النحوية" (syntactic structure) عام ١٩٥٧م، ويعد هذا الكتاب نقطة التحول في حقل اللُّغة من مرحلة الوصف إلى التفسير، ثم مرحلة النظرية النموذجية التي تجلت في كتابه "جوانب نظرية النحو" عام ١٩٦٥م، ثم أكملها بمرحلة النظرية النموذجية الموسعة التي تجلت في أعماله التي صدرت عام ١٩٧٢م بعنوان "دراسات الدلالة في القواعد التحويلية".

وقد ظهرت كثورة على المذهب السلوكي، وعلى التقليد الآلي البلومفيلدي الَّذي يجعل دراسة الأشكال اللُّغوية دراسة وصفية مجوفة لا تتجه إلى أي بعد دلالي، خاضعة للقواعد النظرية المجردة القائمة على المثير والاستجابة، كذلك قامت نظريته على أنقاض المنهج التوزيعي أو البنيوية الهيكلية؛ لأنها تستبعد المعنى، ولا تطبق على جميع أنواع الجمل.

لذا يهدف تشومسكي من نظريته الوصول إلى ما يسمى باستيفاء التفسير، لذا تجاوزت نظريته حدود الوصف كما هو في المذهب السلوكي، والتصنيف

كما هو في المنهج التوزيعي أو البنيوي، وسعت إلى تحقيق المهمة الجوهرية للبحث اللساني الحديث وهي المتمثلة بتفسير حقائق عن اللغة.

ومن العناصر والمكونات البارزة لنظرية تشومسكي المكون أو النحو التحويلي (Transformation Grammar): وهو التغييرات أو القواعد التي يدخلها المتكلم والمستمع على تركيب، فينقل أو يحول البنيات العميقة المولدة من أصل المعنى إلى بنيات ظاهرة على سطح الكلام، فيولد عددا كبيرا من الجمل انطلاقا من البنية العميقة بصورة بنيات سطحية متعددة، ويشمل هذا المكون عناصر عدة؛ كالتقديم والتأخير (Permutation)، والحذف (Deletion)، والزيادة والنقصان (Addition)، والإحلال (التعويض) (Replacement)، والتوسعة (التوسيع) (Expansion)، والتضييق أو الاختصار.

وقد استوقفني كتاب سيبويه كثيرا، فهو لم يكن غفلا عن كثير من الموضوعات والمكونات الَّتي طرقها تشومسكي، فما يسمى بالمكون التحويلي بعناصره المختلفة له حضور واسع في الكتاب، ولا عجب في ذلك؛ فقد صرح تشومسكي باطلاعه على علوم العربية لا سيما النحو، فقال: "وكنت مهتما بالتراث النحوي العربي والعبري"(١).

لذا عني هذا البحث بمعالجة عنصر الإحلال في الكتاب لكثرة المسائل التي تعرضت لأداءات لغوية وتراكيب عولجت تبعا للإحلال، فقد استوقفني ما يزيد

(١). انظر توثيق هذا النص ص ٦ هامش٤.

على مئة موضع –من خلال الاستقراء غير التام– عالج فيها سيبويه هذه الأداءات والتراكيب معالجة قائمة على الإحلال بمختلف صوره وأنواعه.

ومما دفعني لدراسة الإحلال في الكتاب لسيبويه إضافة إلى كثرة المسائل التي تعرضت له، تجاهل بعض المحدثين لجهود القدماء وإغفالها، حقا لقد انبرى طائفة من العلماء المحدثين الأفذاذ وأنصفوا النحاة القدماء، لكن هناك طائفة أخذت تمجد ما جاء به الغرب، وتنسف ما جادت به عقول النحاة ليرضوا أساتذتهم المستشرقين، ولو تفكروا وتبصروا في جهد أجدادهم لـ"أيقنوا أن أكثر ما قاله تشومسكي بضاعتهم قد ردت إليهم، وميراث أجدادهم يتفضَّل به عليهم" كما قال عبد الله أحمد جاد الكريم(١).

وتسعى الدِّراسةُ إلى تحقيقِ الأهدافِ الآتيةِ:

١- تأصيلِ عنصر الإحلال في تراثنا النَّحْوي، ولا سيَّما في الكتاب لسيبويه، وذكرِ ما يوافقه ويقاربه في الدَّلالةِ والمفهومِ من ألفاظ وتراكيب.

٢- إعطاء مقدمة موجزة مقتضبة تعرِّف بالمدرسة التوليدية التحويلية ومؤسسها.

٣- تحليل ودراسة نماذج مختارة من الكتاب للمسائل التي عالجت أداءات وتراكيب توضح عنصر الإحلال بمختلف صوره وتجليه.

٤- ذكرِ الفوائدِ اللُّغويَّةِ والنَّحوية الَّتي أدَّاها هذا الإحلال.

---

(١). مقال منشور على الشبكة العنكبوتية

٥- الكشف عن مدى التقارب بين النَّحو العربي ممثلا بالكتاب وما جاءت به النظرية التحويلية.

وقد جاءت هذا الدراسة في مقدمة وقسمين، القسم الأول: الدراسة النظرية، وجعلتها في مبحثين؛ الأول النظرية التحويلية التوليدية، مؤسسها وأصولها، والثاني: بين يدي عنصر الإحلال (Replacement)، والقسم الثاني: الدراسة التطبيقية، ثم ختمت الدراسة بجملة من أبرز النتائج التي توصلت إليها.

ويقومُ منهجُ الدِّراسةِ على الوصفِ والتَّحليلِ؛ وذلك من خلال الاستقراء غير التام لما جاء في الكتاب من مسائل وأداءات وتراكيب تنتظم تحت عنصر الإحلال، وقد رتبت هذه المسائل في الدراسة وفق مجيئها أولا في الكتاب.

أما عن الدراسات السابقة فكثيرة الدِّراسات الَّتي عنيت بالنَّظريات اللُّغوية الحديثة وتطبيقاتها في النَّحو العربي، ومن أبرز هذه الدِّراسات ما يأتي:

أولًا: منهج الاستبدال النَّحوي في كتاب سيبويه"دراسة وتحليل". د. لطيف حاتم الزاملي، بحث منشور في مجلة القادسية في الآداب والعلوم والتربية، ج ١١، ع ٢، سنة ٢٠١٢م، وعدد صفحاته ١٠. عنيت هذه الدِّراسة بالاستبدال بمفهومه الواسع وفق ما أفرزته المناهج الحديثة، وذكر منها في الدِّراسة المنهج الوصفي الشكلي عند هاريس والبنيويين أو والمنهج التوزيعي أو التوزيعية، والوظيفية عند بلومفيد وكارتر.

ثانيًا: الاستبدال النَّحوي في كتاب سيبويه. عذراء سعيد عبد، المشرف: د. لطيف حاتم الزاملي. رسالة ماجستير، العراق، جامعة القادسية، ٢٠١٥م، وعدد صفحاتها: ١٥٦، المشرف على هذه الرسالة د. لطيف حاتم الزاملي،

وهو صاحب الدِّراسة الأولى، وهذه الرِّسالة امتداد لبحث المشرف، فقد اتبعت الباحثة طريقة المشرف ومنهجه، فدرست الاستبدال وفق ما جاءت به المدرسة اللُّغوية التَّوزيعية.

ثالثًا: التَّراكيب النَّحوية بين الأصلية والفرعية في كتاب سيبويه في ضوء النَّظرية التَّوليدية التَّحويلية. مجدي الهنداوي، رسالة ماجستير، جامعة طنطا، ٢٠١٤م. تناولت هذه الدِّراسة عناصر التَّحويل المتعددة، حيث تناول في الفصل الخامس "أنماط التَّعويض والإحلال" (ص١٣٩-١٥٢)، فتحدَّث بشكل مقتضب ومبسط عن فكرة التَّعويض والإحلال، وقد استبعدت الموضوعات الَّتي ذكرها في هذا الفصل وهي: ١- التنوين. ٢- ياء النِّداء. ٣- إبدال هاء السكت من ياء المتكلِّم. ٤-كم. ٥- إبدال ألف الاستفهام من حرف القسم، وقد درسه في باب الحذف. ٦- تأنيث الفاعل بدلا من تأنيث الفعل، وقد درسه في الحمل على المعنى.

رابعًا: جذور النَّظرية التَّوليدية التَّحويلية في كتاب سيبويه. جابر عبدالأمير التميمي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ٢٠٠٣م. عالج الدَّارس معظم عناصر التَّحويل إلا الإحلال أو الاستبدال لم يدرسه مطلقًا.

خامسًا: القواعد التَّحويلية للجملة العربية في كتاب سيبويه. البشير عبابة، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ٢٠١١- ٢٠١٢م، تحدَّث صاحب الرِّسالة عن الاستبدال بمفهومه الواسع في المبحث الرابع (من صفحة ١٢٨- ١٣٥) فقط، حيث عالج الاستبدال معالجة سطحية عامة دون تحليل،

مكتفيا بالنَّقل من الكتاب وحده، ولم يعد لمصادر أخرى، ولا يوجد تشابه مع دراستي في المسائل المدروسة مطلقًا.

أما موضوع هذا البحث؛ فقد تناولت الإحلال وفق ما جاءت به النَّظرية التَّوليدية التَّحويلية لتشومسكي في "الكتاب" لسيبويه؛ لأنَّ معظم الدِّراسات عالجت عناصر التَّوليد والتَّحويل في النَّحو العربي وفي الكتاب لسيبويه معالجة عامة غير متعمقة، وبعضها كما في الدِّراسة الأولى والثَّانية والخامسة عالجت الاستبدال معالجة عامة في ضوء المناهج الحديثة المتعددة، أمَّا هذه الدِّراسة فمتخصصة من جانبين؛ أولًا: متخصصة بدراسة الإحلال فقط من بين عناصر التَّحويل في نظرية تشومسكي. ثانيًا: خاصة بكتاب سيبويه فقط؛ لأنَّه الأصل التَّليد المقدَّم، علمًا أنَّ هذه الدِّراسة تجنبت المسائل والأمثلة الَّتي ذكرها الباحثون في تطبيقهم على النَّظرية التَّحويلية ولا سيَّما في الكتاب لسيبويه.

القسم الأول: الدِّراسة النَّظرية. المبحث الأول: النَّظرية التَّحويلية التَّوليدية، مؤسسها وأصولها:

أولًا: مؤسس النظرية: أفرام نعوم تشومسكي (Avram Noam Chomsky)، أمريكي الجنسية، يهودي الديانة والأصل، ولد في فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا في السابع من ديسمبر عام ١٩٢٨م، تلقى فيها دراسته الابتدائية والثانوية، ثم التحق بجامعة بنسلفانيا، ودرس فيها علم اللغة والرياضيات والفلسفة، وحصل على الدكتوراه عام ١٩٥٥م، وظل يترقى في حياته العلمية حتى وصل إلى كرسي الأستاذية في علم اللغة واللغات الحديثة، وقد حصل على درجات فخرية عليًّا، وكان عضوا في جمعيات علمية ولغوية عدة.[1]

ثانيًا: صلته بالعربية: أفاد تشومسكي من العربية وعلومها منذ بداية نشأته العلمية، حيث درس مبادئ علم اللغة التاريخي على يد والده الذي كان عالما في اللغة العبرية وهي إحدى اللغات السامية، ومن المعروف أنَّ نحاة العبرية الذين عاشوا في كنف المسلمين في الأندلس كـ:(سعديا الفيومي) و(مروان بن الجناح) قد أقاموا درسهم النحوي للغة العبرية على طريقة العرب ومنهجهم في

(1).نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز (ص ١١-١٢)، محاضرات في اللسانيات، فوزي الشايب (ص ٣٦٩)، المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة (ص ١٢٩-١٣٠)، النحو التوليدي والتحويلي، شريفة رحمي (ص ٢٥٢)، النحو التوليدي التحويلي عند تشومسكي التطورات وعناصر التحويل، الرجوبي (ص ٦٨).

درس العربية،[١] كذلك درس تشومسكي على يد (فرانز رونتال) وهو من المستشرقين الذين كانوا يعرفون العربية وآدابها[٢]، وألفوا فيها.

وقد صرَّح تشومسكي باطلاعه على علوم العربية ولا سيَّما النَّحو، يقول: "وكنت مهتما بالتراث النحوي العربي والعبري"[٣]، وقال: "وقبل أن أبدأ بدراسة اللسانيات كنت أشتغل ببعض البحوث المتعلقة باللسانيات السامية، وما زلت أذكر دراستي للأجرومية"[٤]. ويقول حلمي خليل حول اطلاع تشومسكي على النحو العربي ودراسته: "لن نحتاج إلى الترجيح أو الاستنتاج فهو يؤكد ذلك في مقابلة له"[٥]

(١). نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز (ص ١٢-١٣)، النحو التوليدي والتحويلي، شريفة رحمي (ص ٢٥٢).

(٢). نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز (ص١٣)، النحو التوليدي التحويلي عند تشومسكي التطورات وعناصر التحويل، الرجوبي (ص٦٩).

(٣). نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز (ص ١٣)، لقاء مع نوام تشومسكي، مازن الوعر (ص٧٧)، المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة (ص١٣٠)، النحو التوليدي التحويلي عند تشومسكي التطورات وعناصر التحويل، الرجوبي (ص ٦٩)

(٤). نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز (ص ١٣)، لقاء مع نوام تشومسكي، مازن الوعر (ص٧٧)، النحو التوليدي التحويلي عند تشومسكي التطورات وعناصر التحويل، الرجوبي (ص ٦٩)

(٥). نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز (ص ١٣).

النَّظرية التَّوليدية التَّحويلية:

حظيت النَّظرية التَّوليدية التَّحويلية بشهرة عالمية واسعة، وقد ظهرت كثورة على المذهب السلوكي وعلى التقليد الآلي البلومفيلدي، فقد انتقد تشومسكي قصر نظر الوصفيين بوقفهم عند حد السطح الذي يجعل دراسة الأشكال اللغوية دراسة وصفية مجوفة لا تتجه إلى أي بعد دلالي، خاضعة للقواعد النظرية المجردة القائمة على المثير والاستجابة، فكانت نظريته ردة فعل على وصفية أعمال بلومفيلد وأتباعه وسطحيتها.(١)

كذلك قامت نظريته على أنقاض المنهج التوزيعي أو البنيوية الهيكلية، حيث تبيَّن لتشومسكي أن هذه الطرائق التقليدية التي تمتعت بفعالية كبيرة في دراسة الأصوات والصيغ (الفونيمات والمورفيمات)، ولا تتوافق بصورة جيدة مع دراسة الجمل بمختلف أنواعها؛ لأنها تستبعد المعنى، ولا تطبق على جميع أنواع الجمل، فهي منهج في التصنيف، وليست منهجًا صحيحًا لفهم التركيب النحوي للجملة.(٢)

ويتمثل هدف تشومسكي من نظريته في الانتقال باللغة من مرحلة الوصف إلى مرحلة التفسير، وفي الوصول إلى ما يسمى باستيفاء التفسير، ولم يكن الهدف من هذا الاستيفاء أن توصف الظواهر باللجوء إلى نظام من الضوابط فحسب، بل يشرح لماذا هي على ما هي عليه، كما لا يريد أن يتوقف عند

---

(١).النظرية التحويلية التوليدية في الفكر اللساني العربي الحديث،بدرة فرخي(ص١١-١٢)،الجهود اللسانية عند مازن الوعر،عامر شتوح(ص ٢٨).

(٢). مدخل إلى المدارس اللسانية، السعيد شنوقة (ص١١٠).

حدود الوصف اللغوي، بل يتعداه إلى إعطاء تفسير علمي دقيق لكيفية حدوث الظاهرة اللغوية حتى نتمكن من معرفة الطبيعة البشرية أينما كانت[١].

وقد مرت النظرية بسلسلة من **المراحل** حتى بلغت نضجها وآتت أكلها، بدأها تشومسكي بكتابه "البنى النحوية" (syntactic structure) عام ١٩٥٧م، ويعد هذا الكتاب أو المرحلة نقطة التحول الجذرية والانتقال باللغة من مرحلة الوصف إلى التفسير...، ثم مرحلة النظرية النموذجية التي تجلت في كتابه "جوانب نظرية النحو" عام ١٩٦٥م، ثم أكملها بمرحلة النظرية النموذجية الموسعة التي تجلت في أعماله التي صدرت عام ١٩٧٢م بعنوان "دراسات الدلالة في القواعد التحويلية"[٢]

وتقوم النظرية التوليدية التحويلية على الأسس والمبادئ الآتية:

١- الفطرية اللغوية والإبداعية: فاللغة ملكة فطريةٌ ذات مظهر إبداعي، تتجلى في قدرة الناطق بلسان من الألسن على فهم وبناء ما لا يتناهى من الجمل، والتمييز بين الجمل الصحيحة وغير الصحيحة[٣]، وقد انبثق عن هذا

---

(١).أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، كريم زكي حسام الدين(ص٦٧)، المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة(ص١٣٨-١٣٩)، حول لسانيات الجملة،آراء ونظريات نعوم تشومسكي،مريج نسيم ومكدود فريد(ص ٧)،الجهود اللسانية عند مازن الوعر، عامر بن شتوح (ص٢٨).

(٢). أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، كريم زكي حسام الدين (ص٦٧)، صور التحويل بالاستبدال في الجملة العربية -سورة البقرة أنموذجا-، عائشة غربي (ص ٢٩)، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، كمال بشر (ص ١٥٦).

(٣).النظرية التحويلية التوليدية في الفكر اللساني العربي الحديث، بدرة فرخي (ص١٣)، صور التحويل بالاستبدال في الجملة العربية، عائشة غربي(ص٣٠).

العنصر أو الأساس ظهور عنصرين أساسين هما الكفاية اللغوية والأداء الكلامي.

٢- الكفاية اللغوية (Competence)، والأداء الكلامي (Performance)، يعنى بالكفاءة:

الإمكانية أو المعرفة الضمنية الذهنية لمتكلِّم اللغة المثالي بقواعد لغته، حيث تمكنه من إنتاج عدد لا نهائي من الجمل من عدد محدود من الفونيمات الصوتية، والحكم بصحة الجمل التي يسمعها من وجهة نظر نحوية تركيبية، والربط بين الأصوات المنتجة وتجمعها في مورفيمات تنتظم في جمل، وربطها بمعنى لغوي محدد(١).

أما الأداء الكلامي فيعنى به: الوجه الظاهر المنطوق للمعرفة اللغوية الكامنة التي تظهر براعة الفرد في استعمال كفاءته اللغوية في إنتاج الجمل وفهمها، فالأداء هو الصورة الواعية التي تمثل الصورة المعقولة من اللغة.(٢)وقد انبثق عن ثنائية الكفاءة والأداء تقسيم الجملة إلى بنيتين عميقة وسطحية.

---

(١). قضايا ألسنية تطبيقية، ميشال زكريا (ص ٦١)، صور التحويل بالاستبدال في الجملة العربية، عائشة غربي (ص٣٠)، النحو التوليدي والتحويلي، شريفة رحمي (ص ٢٥٣)، محاضرات في اللسانيات، هويدي والطائي (ص ١٧٨)، المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة (ص ١٥١)، التراكيب النحوية بين الأصلية والفرعية في كتاب سيبويه في ضوء النظرية التوليدية التحويلية، مجدي الهنداوي (ص ٨).

(٢). صور التحويل بالاستبدال في الجملة العربية، عائشة غربي (ص٣٠)، النحو التوليدي والتحويلي، شريفة رحمي (ص ٢٥٣)، محاضرات في اللسانيات، هويدي والطائي (ص ١٧٨).

٣- البنية العميقة (Deep Structure) والبنية السطحية (Surface Structure): يقصد بالبنية العميقة: الصورة الضمنية الذهنية للقواعد التي تصاغ منها الجمل التي تعبر عن الفكر والمعنى الكامن في نفس المتكلم، وتحتوي على كل العلاقات النحوية والوظائف التركيبية والمعلومات الدلالية اللازمة لتفسير الجمل واستعمالاتها الممكنة. أما البنية السطحية فهي تتابع الكلمات التي تصدر عن المتكلم، أو الكلام المادي المتجسد بالفعل ليعبر به عن المعاني الموجودة في الذهن، وتحتوي على كل المكونات الفونولوجية اللازمة للتفسير الصوتي.(١)

٤- القواعد التوليدية التحويلية وهي نظام من القواعد أو التنظيم القواعدي الذي يقرن الأصوات اللغوية بالدلالات الفكرية والكامن ضمن الكفاية اللغوية، وهي قواعد علمية تتناول كفاية المتكلم اللغوية، فمتكلم اللغة ينتج جمل لغته؛ لأنه اكتسب بصورة ضمنية قواعد اللغة الكامنة ضمن كفايته اللغوية، وهذه القواعد تقود عملية التكلم ولا تخضع للملاحظة مباشرة، بل تستنبط من الجمل.(٢)

---

(١). المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة (ص ١٥٧-١٥٨)، محاضرات في اللسانيات، هويدي والطائي (ص ١٧٩)، صور التحويل بالاستبدال في الجملة العربية، عائشة غربي (ص ٣١)، أصول النظرية التوليدية في التراث النحوي القديم من خلال كتاب لمع الأدلة لابن الأنباري، حدو حياة (ص ٣٦-٣٧)، الجهود اللسانية عند مازن الوعر، عامر بن شتوح (ص ٤٣-٤٤).

(٢). انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية "الجملة البسيطة"، ميشال زكريا (ص ١٢، ٢١)، الجملة العربية بين النحو التوليدي التحويلي والنحو الوظيفي "مقاربة لسانية"، فاكية بن عبود ونسيبة بن حجام (ص ٢٢).

ولهذه القواعد ثلاثة مكونات: فونولوجي، ودلالي، وتركيبي أو نحوي، فالمكون الصوتي أو الفونولوجي

(Phonological componen) هو الذي يظهر منطوقا في البنية السطحية، ويقوم بتخصيص كل تركيب لغوي بنطق خاص، انطلاقا من لفظ كل مورفام على حدة.

أما المكون الدلالي (Semantic Component): فهو الذي يوضح البنية العميقة، ويعين معنى الجملة وطريقة تفسيرها.. وهذان المكونان تفسيريان يقتصر عملهما على تحديد تفسير صوتي ودلالي.(١)

أما المكون الثالث فهو المكون التركيبي أو النحوي (Syntactic Component) وهذا المكون هو القلب عند تشومسكي لهذا النظام، وهو الذي يعكس المظهر الإبداعي للغة، وله مكونان هما: المكون التوليدي الأساسي والمكون التحويلي(٢).

المكون التوليدي الأساسي أو النحو التوليدي (Generative Grammar): هو طائفة من القواعد التي تطبق على معجم محدود من الوحدات فتولد؛ مجموعة محدودة أو غير محدودة من الائتلافات.. وتكسبه القدرة على

---

(١). انظر: الجملة العربية بين القدامى والمحدثين "دراسة موازنة"، حسين جزيري (ص ٣٥)، النحو التوليدي التحويلي عند تشومسكي التطورات وعناصر التحويل، الرجوبي (ص ٧٨)، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية "الجملة البسيطة"، ميشال زكريا (ص ١٥-١٦)، النحو التوليدي والتحويلي، شريفة رحمي (ص ٢٦٤- ٢٦٥)، الجهود اللسانية عند مازن الوعر، عامر بن شتوح (ص ٤٨-٥١).

(٢). نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، مازن الوعر (ص٥٥)، النحو التوليدي التحويلي عند تشومسكي التطورات وعناصر التحويل، الرجوبي (ص ٧٨)، الجهود اللسانية عند مازن الوعر، عامر بن شتوح (ص ٥٠).

إنتاج وتوليد عدد لا محدود أو لا متناهي من الجمل، انطلاقا من عدد محصور أو متناه من قواعد اللغة وأنظمتها، وهو حصيلة جميع القواعد الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية(١).

المكون التحويلي أو النحو التحويلي (Transformation Grammar): وهو التغييرات أو القواعد التي يدخلها المتكلم والمستمع على تركيب؛ فينقل أو يحول البنيات العميقة المولدة من أصل المعنى إلى بنيات ظاهرة على سطح الكلام، فالقواعد التحويلية وهي اختيارية أو إلزامية تولد عددا كبيرا من الجمل انطلاقا من البنية العميقة بصورة بنيات سطحية متعددة(٢)، ويعتمد النحو التحويلي مقدما على وجود قواعد توليدية؛ لأنه تطوير وامتداد لها، فبإدخال عناصره على النحو التوليدي يصبح تحويليًا(٣).

---

(١). انظر: مدخل إلى اللسانيات، محمد محمد يونس (ص ٨٤)، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية "الجملة البسيطة"، ميشال زكريا (ص ١٦)، النحو التوليدي والتحويلي، شريفة (ص ٢٦٥)، اللسانية التوليدية والتحويلية، عادل فاخوري (ص ٩-١٠)، حول لسانيات الجملة، آراء ونظريات نعوم تشومسكي، مريج نسيم ومكدود فريد (ص ١٢)، النظرية التحويلية التوليدية في الفكر العربي، بدرة فرخي (ص ١٦)، محاضرات في اللسانيات، هويدي والطائي (ص ١٧٨)، اللسانيات التوليدية، مصطفى غلفان (ص ٢٨-٢٩).

(٢). الجملة العربية بين النحو التوليدي التحويلي والنحو الوظيفي "مقاربة لسانية"، فاكية بن عبود ونسيبة بن حجام (ص ٢٤)، حول لسانيات الجملة، آراء ونظريات نعوم تشومسكي، مريج نسيم ومكدود فريد (ص ١٣-١٤)، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية "الجملة البسيطة"، ميشال زكريا (ص ١٦)، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، مازن الوعر (ص٥٥).

(٣). النظرية التحويلية التوليدية في الفكر العربي، بدرة فرخي (ص ١٧).

أبرز عناصر النحو التحويلي أو قواعد التحويل:

١- التقديم والتأخير أو إعادة الترتيب (ermutation).

٢- الحذف (Deletion).

٣- الزيادة والنقصان (Addition).

٤- الإحلال (التعويض) (Replacement).

٥- التوسعة التوسيع (Expansion).

٦- التضييق التقلص الاختصار[١].

ويعنى هذا البحث بدراسة عنصر الإحلال دراسة تأصيلية عند سيبويه في الكتاب، وذكر أبرز صوره التي جاءت في الكتاب، وذكر الفوائد اللغوية له، وما له من ضوابطه وقيود...

(١). حول لسانيات الجملة، آراء ونظريات نعوم تشومسكي، مريج نسيم ومكدود فريد (ص ١٣)، التوجيه اللساني للبنى المحولة بالاستبدال، رابح بومعزة (ص ١٠٤)، النحو التوليدي التحويلي عند تشومسكي التطورات وعناصر التحويل، الرجوبي (ص ٨٣)، صور التحويل بالاستبدال، عائشة غربي (ص ٣٤)، المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة (ص: ١٤٨).

المبحث الثَّاني: بين يدي عنصر الإحلال (Replacement)

نظرة نقدية عامة

تعددت المصطلحات الَّتي ذكرها الدَّارسون والباحثون لهذا العنصر؛ فمنهم من ترجمه بالإحلال[١]، وبعضهم ذكر التَّعويض[٢]، وقسم ذكر الإحلال والتَّعويض معًا، ويرى بعضهم أنَّهما وجهان لعملة واحدة[٣]، وبعضهم ذكر الاستبدال[٤]، وتواجهنا هنا مشكلة تعددت المصطلحات، وتداخل المفاهيم، والخلط بين العلوم؛ لأنَّ جعل مصطلح الاستبدال دون تقييد مرادفًا للإحلال

---

(١). الاتجاه التوليدي في النحو العربي الحديث – دراسة في فكر خليل أحمد عمايرة من خلال كتاب في نحو اللغة وتراكيبها، زكموط بوبكر (ص: ١٠٧)، النحو التوليدي التحويلي عند تشومسكي التطورات وعناصر التحويل، الرجوبي (ص ٨٥).

(٢). حول لسانيات الجملة، آراء ونظريات نعوم تشومسكي، مريج نسيم ومكدود فريد (ص ١٣)، النحو التوليدي والتحويلي، شريفة رحمي (ص ٢٦٥)، النظرية التوليدية التحويلية وتطبيقاتها في النحو العربي، أحمد المنصوري و أسمهان الصالح (ص: ٣٣٠)، المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة (ص: ١٤٨)، حول لسانيات الجملة آراء ونظريات تشومسكي، مريج نسيم ومكدود فريد (ص ١٣).

(٣). التراكيب النحوية بين الأصلية والفرعية في ضوء النظرية التوليدية التحويلية، مجدي الهنداوي (ص ١٣٨-١٣٩)، علم اللغة التقابلي، أحمد ياقوت)ص ٦٩)، قواعد التحويل في شعر عبد الله البردوني، عبير طاهير وصافيه تيطيري (ص ١٧).

(٤). التوجيه اللساني للبنى المحولة بالاستبدال، رابح بومعزة (ص ١٠٧)، أنماط التحويل في الجملة الفعلية، هبة النعيمي (ص ١٠٣)، صور التحويل بالاستبدال، عائشة غربي (ص ٣٤)، إبداعية تحويل الجملة العربية دراسة في التوليد والتحويل في سورة يوسف، سلوى فارح وبية ربيعي (ص: ١٢)، الاتجاهات النحوية لدى القدماء، حليمة عمايرة (ص ٥٥).

يقود إلى الخلط بين عناصر التحويل وبين عناصر تماسك النص، وشتان ما بين العلمين؛ فالاستبدال دون تقييد من عناصر تماسك النص، أي: عنصر نصاني، والإحلال من قواعد التحويل فهو عنصر تحويلي..وهذا مما قد يؤدي إلى اللبس والخلط بين المصطلحين والعلمين، لذا ينبغي أن يدرسا دراسة مستقلة وافية توضح حد المصطلحين والفرق بينهما، وقد آثرت استخدام الإحلال حتى لا يحدث خلط بين قواعد التحويل وبين عناصر التماسك النصي علمًا أنَّ أكثر من استخدم مصطلح الاستبدال قرنه وقيَّده بالتحويل فقال التحويل بالاستبدال[١]، أو بوب له تحت قواعد التحويل[٢] حتى يميزه عن الاستبدال الذي يعد عنصرًا من عناصر الاتساق.

الإحلال (Replacement) لغة واصطلاحا:

الإحلال لغة: ذكرت مصادر اللغة ومعاجمها معاني كثيرة ومختلفة لـ(حلل وأحلَّ) وما اشتق منهما، وقد اقتصرت على ماله صلة بموضوع الدِّراسة؛ فالإحلال مصدر أحلَّ. يقال: أحل فلان أهله بمكان كذا وكذا، إذا أنزلهم[٣]. وأَحَلَّهُ أَنزله؛ أحلَّه فحلَّ أي: أنزله فنزل[٤]. فمعنى الإحلال هنا يتوجه نحو: إنزال شيء مكان شيء، ووضعه في مكانه.

---

(١). أنماط التحويل في الجملة الفعلية، هبة النعيمي (ص ١٠٣)، إبداعية تحويل الجملة العربية دراسة في التوليد والتحويل في سورة يوسف، سلوى فارح وبية ربيعي (ص ١٢).

(٢). صور التحويل بالاستبدال، عائشة غربي (ص ٣٤).

(٣). تهذيب اللغة، الأزهري (٣/ ٢٨٤)، لسان العرب، ابن منظور (١١/ ١٦٤).

(٤). شمس العلوم، نشوان الحميري (٣/ ١٢٩٤)، مختار الصحاح، الرازي (ص ٧٩).

الإحلال (Replacement) اصطلاحا:

ذكر الباحثون والدَّارسون كما تقدَّم ترجمات عدة لهذا العنصر، فذكروا الإحلال وهو أدقها، والاستبدال مقرونًا بالتَّحويل، والتَّعويض، ولكنَّهم يتَّفقون على مفهوم واحد لها كما في البيان التَّالي:

أ- الإحلال: هو إحلال عنصر جديد بدل التَّركيب الأساسي للجملة، بحيث يكون دالّا على وروده في الذهن، ويعبر عنه رياضيا بـ: أ ـــــ> ب، أو هو نمط من أنماط التَّحويل، ويتمثل في أن يحلَّ عنصر مكان آخر متضمِّنًا معناه، مع إضافة دلالة جديدة(١).

ب- الإحلال : هو استبدال عنصر في الجملة بعنصر آخر يكون متضمِّنًا معناه، علاوة على أنَّ الثَّاني يمكن أن يحمل دلالة جديدة، ويشار لهذا القانون بـ: أ ـــــ> ب(٢).

ت- يقصد بالاستبدال الذي يعد عنصرا تحويليا أو التَّحويل بالاستبدال: هو إمكانية إقامة وحدة لغوية أو وحدة إسنادية مقام وحدة لغوية أو وحدة

---

(١). الاتجاهات النحوية لدى القدماء في ضوء المناهج المعاصرة، حليمة عمايرة (ص ٥٥، ٢٣٨).

(٢). الاتجاه التوليدي في النحو العربي الحديث – دراسة في فكر خليل أحمد عمايرة من خلال كتاب في نحو اللغة وتراكيبها، زكموط بوبكر (ص ١٠٧)، الجملة العربية بين القدامى والمحدثين "دراسة موازنة"، حسين جزيري (ص ٤٣).

إسنادية أخرى لغرض دلالي[١]، وهو أيضا إحلال مكون مكان مكون تركيبي آخر[٢].

ث- الاستبدال (Replacement): هو إحلال عنصر مكان عنصر آخر، ويعبِّر عنه النَّحويون بالمعادلة الآتية :أ ـــ ب؛ أي: أنَّ العنصر ب حلَّ محلَّ العنصر أ[٣].

مما تقدم فعنصر الإحلال (Replacement) له جانبان؛ جانب لفظي، وجانب معنوي دلالي، اللَّفظي يتجلَّى بإحلال لفظة مكان أخرى، أو إحلال عنصر تركيبي مكان مكون تركيبي آخر، وهو بهذا الجزئية يطابق معناه اللغوي، والجانب الثَّاني يتجلَّى فيما يتضمَّنه العنصر والتَّركيب الجديد من معاني وأغراض دلالية إضافية.

الإحلال عند القدماء –لمحة تاريخية تأصيلية–:

ذكر الإحلال عند النُّحاة في القرن الثَّامن الهجري وما بعده، وممن ذكره أبو حيان (ت ٧٤٥هـ) في التذييل والتكميل في باب الاستثناء إذا كان بدلًا[٤]،

---

(١). التوجيه اللساني للبنى المحولة بالاستبدال، رابح بومعزة (ص ١٠٧)، التحويل في النحو العربي، رابح بومعزة، (ص: ٦٠)، الجملة في القرآن الكريم –صورها وتوجهها البياني–، رابح بومعزة (ص ٢٣)، قواعد التحويل في شعر عبد الله البردوني، عبير طاهير وصافيه تيطيري (ص: ١٠٩)، أنماط التحويل في الجملة الفعلية، هبة النعيمي (ص ١٠٣)، صور التحويل بالاستبدال، عائشة غربي (ص ٥٢).

(٢). أنماط التحويل في الجملة الفعلية، هبة النعيمي (ص ١٠٣).

(٣). صور التحويل بالاستبدال، عائشة غربي (ص ٣٤).

(٤). التذييل والتكميل، أبو حيان (٨/ ٢٢٢).

وابن هشام (ت ٧٦١هـ) في شرح شذور الذهب في باب البدل[١]، وناظر الجيش (ت ٧٧٨) في تمهيد القواعد في باب عطف البيان[٢]، وخالد الأزهري (ت ٩٠٥هـ) في شرح التَّصريح في باب العطف[٣]، ثم الصبان (ت١٢٠٦هـ) في باب الاستثناء[٤]، ويقصد به إقامة شيء مقام شيء أو أن يحل شيء محل شيء آخر ويقوم مقامه، كإحلال البدل محل المبدل منه، أو التابع محل متبوعه، والإحلال بهذا التَّوظيف يوافق معناه اللغوي الذي يتوافق إلى حد ما مع مفهوم الإحلال عند التَّحويليين في جانبه الأول كما ذكر سابقًا.

أمَّا ما قبل القرن الثَّامن الهجري فلم يذكر النُّحاة واللُّغويون هذا العنصر بلفظه، وإنما ذكروا ألفاظًا ومصطلحات مرادفة له، وكذلك ذكر بعض العلماء وصفًا دقيقًا وشاملًا لهذا العنصر، ومن أبين الإشارات الدالة على الإحلال ومفهومه في تراثنا النحوي ما يأتي:

أولًا: سيبويه: وهو محور الدِّراسة، ذكر سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ) إشارات ونصوصًا وأداءات لغوية كثيرة تتقاطع مع الإحلال ومفهومه عند التَّحويليين، وسيفصَّل القول لاحقًا.

ثانيًا: ابن جنِّي (ت: ٣٩٢هـ)، يعد ابن جنِّي حقلًا خصبًا ومستودعًا كبيرًا لمعظم النظريات الحديثة، ومنها التَّوليدية التَّحويلية بكافة عناصرها، ومن

---

(١). شرح شذور الذهب، ابن هشام (ص ٥٦٣).

(٢). تمهيد القواعد، ناظر الجيش (٧/ ٣٣٨٣).

(٣). شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهري (٢/ ١٥٠-١٥١).

(٤). حاشية الصبان (٢/ ٢١٥).

الإشارات الدَّالة على عنصر الإحلال قوله:" العرب إذا غيرت كلمة من صورة إلى أخرى، اختارت أن تكون الثَّانية مشابهة لأصول كلامهم ومعتاد أمثلتهم، وذلك أنَّك تحتاج إلى أن تنيب شيئًا عن شيء، فأولى أحوال الثَّاني بالصَّواب أن يشابه الأول، ومن مشابهته له أن يوافق أمثلة القوم، كما كان المناب عنه مثالًا من مثلهم أيضًا "(١). فابن جنّي في هذا النَّصِّ يشرح عملية الإحلال شرحًا وافيًا ومفصلًا وما تتطلبه من ضوابط وقيود، وكذلك قوله "أن تنيب شيئا عن شيء" نجد أنَّه يتقاطع بشكل كبير مع مفهوم الإحلال، ويشي كذلك بمصطلح النِّيابة وهو في هذا الموضع مرادف للإحلال. وفي موضع آخر عقد بابًا وعنونه بـ"باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض"، تكلَّم فيه عن إحلال الحروف بعضها مكان بعض، قال: وذلك أنَّهم يقولون: إنَّ إلى تكون بمعنى مع، ويحتجون لذلك بقول الله تعالى:﴿ ۞ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴿٥٢﴾ ﴾ ، [سورة آل عمران: ٥٢]، أي: مع الله(٢).

ثالثًا: ذكر أبو البركات الأنباري أنَّه "وقد يستغنى بالحرف عن الحرف في بعض الأحوال إذا كان في معناه"(٣).

وقال في موضع آخر: "..قد يستغنون ببعض الألفاظ عن بعض، إذا كان في الملفوظ دلالة على المحذوف لعلم المخاطب"(٤). فما ذكره الأنباري يصنَّف

---

(١). الخصائص، ابن جني (٢/٦٦- ٦٧).

(٢). الخصائص، ابن جني (٢/٣٠٦- ٣١٥).

(٣). الإنصاف، أبو البركات الأنباري (٢/٣٩٦) مسألة : ٦٨.

(٤). الإنصاف، أبو البركات الأنباري (١/٧٨) مسألة :١٣.

في باب الإحلال في النَّحو التَّحويلي، فهو يتقاطع مع الإحلال في المفهوم والمصطلح لما بين الإحلال والاستغناء من تقارب. وقال السَّيوطي :"قد يستغنون بالشيء عما هو في معناه"(١).

رابعًا: باب التَّعويض. قال ابن فارس: من سُنن العرب التَّعويض: وهو إقامة الكلمة مقامَ الكلمة، فيقيمون الفعل الماضي مقام الرَّاهن، كقوله جلَّ ثناؤه: ﴿ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[سورة النمل: ٢٧]، المعنى: أم أنت من الكاذبين. ومنه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]،بمعنى: أنتَ عليها(٢)، وقد ذكر صورًا عدة للتَّعويض أو الإحلال منها: إقامة المصدر مقام الأمر، وإقامة الفاعل مقام المصدر، وإقامة المفعول مقام المصدر...، وتجدر الإشارة إلى أنَّ مصطلح التَّعويض ظهر قبل ابن فارس، فقد ظهر في مراحل مبكرة من نشأة النَّحو ولا سيما في باب الإعلال والتَّعويض عند الحديث عن حرف العلة المحذوف، لكن ما يسجل لابن فارس أنَّ المفهوم الَّذي وضعه للتَّعويض هو عينه المفهوم الَّذي وُضِعَ للإحلال في النَّظرية التَّحويلية، أي أنَّ ابن فارس سابق ومتقدم لما جاءت به نظرية تشومسكي، فقد تقدَّم أنَّ بعض الباحثين ترجم مصطلح (Replacement) بالتَّعويض، وهذا دليل واضح على سبق ابن فارس..

---

(١) . الأشباه والنظائر، السيوطي (٧٨/١).

(٢). الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس (ص ١٧٩)، المزهر في علوم اللغة، السيوطي (١/ ٢٦٧).

الإحلال في كتاب سيبويه

يزخر كتاب سيبويه بثروة فريدة غير مسبوقة، وكنوز لغوية نفيسة لا زالت تؤتي أكلها على الرغم من تعاقب الأزمان والقرون، ومن هذه النَّفائس والدُّرر الَّتي استوقفتني انتشار صور الإحلال وأنواعه في ثنايا صفحات الكتاب وأبوابه بشكل واضح، علمًا أنَّ سيبويه لم يستعمل لفظ الإحلال في كتابه، بل استعمل ألفاظًا ومصطلحات أخرى مقاربة له في الدَّلالة والمفهوم، واستعمل تراكيب وأوصافًا تحمل معنى الإحلال ومفهومه بشكل دقيق، ومن أبرز الدلائل على معالجة سيبويه لمسائل وأداءات لغوية توضح عنصر الإحلال وما يتعلَّق به ما يأتي:

أولًا: ذكر سيبويه أنَّ العرب "يستغنون بالشَّيء عن الشَّيء الَّذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطًا... وأما استغناؤهم بالشَّيء عن الشَّيء فإنَّهم يقولون: يَدَعُ، ولا يقولون: وَدَعَ، استغنوا عنها بـ(تَرَكَ)، وأشباهُ ذلك كثير"(١)، فهذا النَّصُّ يتقارب مع فكرة الإحلال من حيث المفهوم فما ذكر عند التَّحويليين يشابه قول سيبويه "يستغنون بالشَّيء عن الشَّيء".

وقال سيبويه أيضًا: "واعلم أنَّهم لم يستعملوا عسى فعلك، استغنوا بأن تفعل عن ذلك... واعلم أنَّ من العرب من يقول: عسى يفعل، يشبهها بكاد يفعل، فيفعل حينئذ في موضع الاسم المنصوب في قوله: عسى الغوير أبؤسًا. فهذا

(١). الكتاب، سيبويه (١/ ٢٥).

مثل من أمثال العرب أجروا فيه عسى مجرى كان"[1]. ذكر سيبويه في هذا النَّصِّ ثلاث صور للاستغناء توضح الإحلال الواقع؛ فهم يستغنون عن العنصر (أ)، ويستخدمون مكانه العنصر (ب)، فالعنصر (ب) حل محل العنصر (أ)؛ فقد استغنوا في باب اسم عسى بالمصدر المؤول"أن تفعل" عن المصدر الصريح "فعلك"؛ لأنَّه يحلَّ محل المفرد...، وقالوا: عسى يفعل؛ لأنَّ عسى تجري مجرى أو تحلَّ محل كاد، كذلك أجروا عسى مجرى كان في المثل، وتجدر الإشارة إلى أن توظيف سيبويه للاستغناء واسع جدا، وقد اقتصر هنا فقد على صور الاستغناء التي تتقارب مع فكرة الإحلال وتوضحها.

ثانيًا: ذكر سيبويه في الكتاب ألفاظًا وأداءات وتراكيب عدة تتقاطع وتتقارب مع عنصر الإحلال، علمًا أنَّ هذه بعض هذه الألفاظ والتَّراكيب لها دلالات أخرى، ولكنَّ الدِّراسة اقتصرت على ما استخدم منها مقاربًا وموافقًا لعنصر الإحلال، وممَّا وقفت عليه ما يأتي:

١- بمنزلة كذا، جاء في الكتاب: منذ بمنزلة من في الأيام، علمت بمنزلة عرفت، لا بمنزلة ليس، هل بمنزلة قد، أن مع الفعل بمنزلة المصدر، عسى بمنزلة لعلَّ، ذا بمنزلة الَّذي، أسير بمنزلة سرت، إنه بمنزلة أجل...[2]. وهذا التعبير (بمنزلة) له حضور واسع في الكتاب حيث وقفت على ما يزيد على خمسين موضعًا استعمل فيها هذا التعبير بمعنى الإحلال، فقول سيبويه بمنزلة كذا مرادف

(١). الكتاب، سيبويه (٣/ ١٥٨) ذكر المحقق محرى والصواب مجرى.

(٢). الكتاب، سيبويه (١/ ١٧، ٤٠، ٥٨، ١٠٠، ٣٩٠؛ ٢/٣٧٥، ٤١٦؛ ٣/ ٢٤، ١٥١)

للإحلال في كثير من المواضع التي ذكرت في الكتاب، وبعضها خرج إلى دلالات أخرى ليست موطن الدِّراسة.

٢- مجرى كذا أو يجري مجرى أو ما أجري مجرى، جاء في الكتاب: ما أجري مجرى ليس، حتَّى تجري مجرى الواو وثُمَّ، الجمع مجرى الواحد، المؤنث يجري مجرى المذكر(١). وقد استعمل سيبويه هذا التَّعبير وما اشتق منه بكثرة، فما وقفت عليه يزيد على عشرة مواضع في مسائل وأبواب مختلفة من الكتاب.

٣- معنى كذا، جاء في الكتاب: أَعبد الله أنت الضاربُه؛ لأنَّك إنَّما تريد معنى أنت الَّذى ضربه، الواو في معنى مع، جَعَلتُ متاعَك، يدخله معنى أَلقيتُ، فيصير كأَنَّك قلت: أَلقيتُ متاعَك، إلا على معنى ولكن(٢).

٤- في موضع كذا، جاء في الكتاب: رويد في موضع الفعل، نفعل في موضع فعلنا، وأما ما هو في موضع الفعل فقولك: مه، وصه(٣).

٥- تقوم مقامها أو مقام كذا، جاء في الكتاب: أسماء الأفعال عملت عملها فهي تقوم مقامها، وحده مقام واحده(٤).

٦- يقع على كذا، جاء في الكتاب: المؤنث يقع على المذكر، واحد يقع على الجميع(٥).

٧- بدل، جاء في الكتاب: جعل الحذر بدلا من احذر، حمدا بدل من أحمد الله(٦).

---

(١). الكتاب، سيبويه (١/ ٥٧، ٩٦؛ ٢/ ٢/ ٤٩، ٣٥١).

(٢). الكتاب، سيبويه (١/ ١٣٠، ١٥٧، ٢٧٤؛ ٢/ ٣٢٥).

(٣). الكتاب، سيبويه (١/ ٢٤٣-٢٤٤، ٢٥٢؛ ٣/ ٢٤؛ ٤/ ٢٢٩).

(٤). الكتاب، سيبويه (١/ ٢٤٣، ٣٧٨).

(٥). الكتاب، سيبويه (٣/ ٥٦١، ٥٨٢).

(٦). الكتاب، سيبويه (١/ ٣١٢، ٣٤١، ٣٥٣).

٨- مكان كذا، جاء في الكتاب: أفعال مكان أفعل[١].

ثالثًا: تعددت الصُّور والأنواع الَّتي يمكن أن تصنَّف تحت باب الإحلال في الكتاب، كإحلال الاسم مكان الاسم, نحو: الجمع مكان الواحد[٢]، وإحلال الفعل مكان الفعل، نحو: سرت بمنزلة أسير[٣]، وإحلال الاسم مكان الفعل، كما في إعمال المشتقات[٤]، وإحلال الفعل مكان الحرف، نحو: عسى بمنزلة لعلَّ[٥]، وإحلال الحرف مكان الحرف، نحو: هلْ بمنزلة قدْ[٦], وإحلال الحرف مكان الفعل، نحو: ما منزلة ليس[٧]، وهناك إحلال تركيب مكان مفردات، كالمصادر المؤولة[٨]، وهناك إحلال مفردات مكان تركيب، نحو: المصادر الَّتي تنوب عن أفعالها كـ"سقيًا" سقاك الله[٩].

---

(١). الكتاب، سيبويه (٣/ ٥٦٨).

(٢). الكتاب، سيبويه (٢/ ٤٩).

(٣). الكتاب، سيبويه (٣/ ٢٤).

(٤). الكتاب، سيبويه (١/ ١٨١).

(٥). الكتاب، سيبويه (٢/ ٣٧٥).

(٦). الكتاب، سيبويه (١/ ١٠٠).

(٧) الكتاب، سيبويه (١/ ١٤٦).

(٨). الكتاب، سيبويه (١/ ٣٩٠).

(٩). الكتاب، سيبويه (١/ ٣٥٣، ٣١٢، ٣٤١).

القسم الثَّاني: الدِّراسة التَّطبيقية

إحلال اسم الفاعل محل الفعل المضارع

قال سيبويه في باب من اسم الفاعل الَّذى جرى مجرى الفعل المضارع فى المفعول فى المعنى: فإذا أردت فيه من المعنى ما أردت في (يَفعَلُ) كان نكرة منوَّنًا، وذلك قولك: هذا ضارب زيدًا غدًا، فمعناه وعمله مثل هذا يضرب زيدًا غدًا، فإذا حدَّثت عن فعل في حين وقوعه غير منقطع كان كذلك، وتقول: هذا ضاربٌ عبدَ الله الساعةَ، فمعناه وعمله مثل هذا يضرب زيدًا الساعةَ، وكان زيد ضاربًا أباك، فإنَّما تُحدِّث أيضًا عن اتِّصال فعل فى حال وقوعه، وكان موافقًا زيدًا، فمعناه وعملُه كقولك: كان يضرب أباك، ويوافقُ زيدًا، فهذا جرى مجرى الفعل المضارع فى العمل والمعنى منوَّنًا[1].

ما ذكره سيبويه يتعلق بإعمال اسم الفاعل المنكر، وهذا عند التَّحويليين يقوم على إحلال الاسم (اسم الفاعل) محل الفعل المضارع، وقد قيَّده سيبويه هنا بشروط، فلا بدَّ حتَّى يقع موقع (يفعل) أن يكون نكرة منونة دالّا على الحال والاستقبال، وأن يعتمد..، فحينئذ يجري مجرى الفعل المضارع في العمل والمعنى، في العمل حيث يرفع الفاعل إن كان لازمًا، وينصب المفعول متعديا، وفي المعنى للدلالة على الحال أو الاستقبال كالمضارع[2].

---

(١). الكتاب، سيبويه (١/ ١٦٤)، شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (٢/ ٢٦).

(٢). مسألة إعمال اسم الفاعل المنكر فيها خلاف بين البصريين والكوفيين وما ذكر يمثل رأي سيبويه والبصريين إلا الأخفش انظر: شرح المفصل: ابن يعيش (٤/ ٩٩-١٠٣)، التذييل والتكميل: أبو حيان (١٠/ ٣٣٧- ٣٣٩)، حاشية الصبان (٢/ ٤٤٤).

وما ذكره سيبويه تناوله جُلُّ النُّحاةِ من بعده، قال المبرِّد: إن جعلت اسم الفاعل في معنى ما أَنت فيه ولم ينقطع، أَو ما تفعله بعد ولم يقع، جرى مجرى الفعل المضارع في عمله وتقديره؛ لأَنَّه في معناه.. وذلك قولك: زيد أكل طعامك السَّاعة، إذا كان في حال أكل، وزيد آكل طعامًا غدًا، كما تقول: زيد يأكل السَّاعة، إذا كان في حال أكل، وزيد يأكل غدا، وتقول: مررت برجل ضارب زيدًا، فتصفه به؛ لأَنَّه نكرة مثله، كما تقول: مررت برجل يضرب زيدا[1]. وقال ابن السَّرَّاج: تقول: هذا ضاربٌ زيدًا, إذا أردت بضاربٍ ما أنت فيه، أو المستقبل، كمعنى الفعل المضارع له[2].

وقد تكلَّم العلماء كابن السَّرَّاج، وأبي البركات الأنباري، والعُكْبَري، وابن يعيش، وغيرهم، عن علة هذا الإحلال، ومسوغاته، وذكروا علتين لهذا الإحلال؛ أولًا: أُعمل اسم الفاعل؛ لأَنَّه جار على الفعل المضارع في حركاته، وسكناته، وعدد حروفه، فـ(ضَارِب) على زنة (يَضْرِب)، و(يُكْرِم) على زنة (مُكْرِم)...والثَّاني: الأَصل في الأَسماء ألا تعمل، كما أنَّ الأَصل في الأفعال ألا تعرب، إلا أنَّ المضارع أعرب لمشابهة اسم الفاعل، فينبغي ألا يعمل اسم الفاعل

(١) المقتضب، المبرد (٤/ ١٤٩).

(٢). الأصول، ابن السراج (١/ ١٢٥).

إلا ما أشبه منه المضارع في الحال والاستقبال، نحو قولك: هذا ضاربٌ زيدًا غدًا، ومُكرِمٍ عمرًا الساعة[1].

وإضافة لما تقدَّم فيعمل اسم الفاعل إذا اعتمد على شيء قبله، كأن يقع بعد الاستفهام، نحو: أضارب زيد عمرًا؟، أو حرف النِّداء، نحو: يا طالعًا جبلًا، أو النَّفي، نحو: ما ضارب زيد عمرًا، أو يقع صفة، نحو: مررت برجل ضارب زيدًا، أو حالًا، نحو: جاء زيد راكبًا فرسًا، أو إذا وقع خبرا، وهذا يشمل خبر المبتدأ، نحو: زيد ضارب عمرًا، وخبر ناسخه، أو مفعوله، نحو: كان زيد ضاربًا عمرًا، وإن زيدا ضارب عمرًا، وظننت زيدًا ضاربًا عمرًا، وأعلمت زيدًا عمرًا ضاربًا بكرًا[2].

أمَّا الشَّواهد فقد ذكر سيبويه عدة شواهد شعرية تحت هذا الباب، ومنها قال سيبويه: ومما جاء فى الشِّعر منوَّنًا من هذا الباب قوله: [من الكامل]

إنّى بحَبْلِكَ واصِلٌ حَبلِى... وبِرِيشِ نَبْلِكَ رَائشٌ نَبلِى[3]

---

(١). الأصول، ابن السراج (١/ ١٢٣، ١٢٥)، أسرار العربية، أبو البركات الأنباري (ص ٤٩)، البديع في علم العربية، ابن الأثير (٥٠٦/١)، اللباب في علل البناء والإعراب، العكبري (١/ ٤٣٧)، شرح المفصل، ابن يعيش (٤/ ٨٢-٨٤)، اللمحة في شرح الملحة، ابن الصائغ (١/ ٣٤١).

(٢). التعليقة على كتاب سيبويه، أبو علي الفارسي (١/ ٢٨٢)، البديع في علم العربية، ابن الأثير (٥٠٦/١)، المقدمة الجزولية في النحو (ص١٥٠)، شرح المفصل، ابن يعيش (١/ ٢٤٣)، شرح التسهيل، ابن مالك (٣/ ٧٢-٧٤)، شرح ابن عقيل (١٠٧/٣).

(٣). الكتاب، سيبويه (١/ ١٦٤)لم ينسبه، تهذيب اللغة، الأزهري (٥/ ٥١)، شرح أبيات سيبويه، أبو محمد السيرافي (١/ ٢٦٨) ، لسان العرب، ابن منظور (١١/ ١٣٥) نسبوه لامرئ القيس، والبيت لامرئ القيس في ديوانه (ص ١٤٤).

قال أبو محمد السَّيرافي: "الشَّاهد فيه على تنوين (واصل)، وإعماله عمل الفعل، ونصب (حبلي) به، وكذلك (رائش) منون، وقد نصب (نبلي)"[1].

مما تقدَّم فقد حل اسم الفاعل المنكر هاهنا محل الفعل المضارع معنى وعملًا، أمَّا المعنى فيكون على معنى (يَفعَلُ)، وأمَّا عملًا فيرفع الفاعل..وينصب المفعول، وذلك لما بينهما من مشابهة ومقايضة؛ أمَّا المشابهة فاسم الفاعل جار على الفعل المضارع في حركاته، وسكناته، وعدد حروفه. وأما المقايضة فالأَصل في الأَسماء ألا تعمل، كما أنَّ الأَصل في الأفعال ألا تعرب، إلا أنَّ المضارع أعرب لمشابهة اسم الفاعل، وعمل اسم الفاعل لمشابهته المضارع في الحال والاستقبال..، فكل منهما أعطى صاحبه حكمًا من أحكامه. ويلحظ كذلك أنَّ هذا النَّمط من الإحلال يعتمد على البنية العميقة لتحليل البنية السَّطحية وتوجيهها وتحديد نوعها من اللزوم والتَّعدي، مما يدل على عمق التفكير النَّحوي عند سيبويه والنُّحاة من بعده، وهذا يعزز فكرة التَّأثر بالنَّحو العربي ومحاكاته عند التَّحويلين وغيرهم، فعند التَّحويليين حلَّ العنصر (أ) وهو اسم الفاعل محل العنصر (ب) الفعل، وأدَّى وظيفته؛ فرفع الفاعل إن كان من اللازم، ونصب المفعول إن كان متعديا، وهذا الإحلال كما تقدَّم ليس عشوائيًا، بل له قواعد تضبطه، ليس فقط على مستوى اسم الفاعل المنكر، بل تنتظم جميع المشتقات، وكذلك المصدر...

(١). شرح ابيات سيبويه، أبو محمد السيرافي (١/ ٢٦٨).

إحلال الواحد موقع الجميع

قال سيبويه: "وأمَّا ثلثُمائةٍ إلى تسعِمائةٍ فكان ينبغى أن تكون في القياس مئين أو مئات، ولكنَّهم شبَّهوه بعشرين وأَحَدَ عَشَرَ، حيث جعلوا ما يبيَّنُ به العددُ واحدًا؛ لأنَّه اسم لعدد كما أَنَّ عشرين اسم لعدد. وليس بمستنكر في كلامهم أنْ يكون اللَّفظ واحدًا والمعنى جميع، حتَّى قال بعضهم في الشِّعر من ذلك مالا يُسْتَعْمَلُ فى الكلام"(١).

وقال علقمة بن عبدة: [من الطويل]

بِها جِيَفُ الحَسْرَى فأمَّا عِظامُها... فَبِيضٌ وأَمَّا جِلْدُها فَصَلِيبُ(٢)

قال القرطبي: "إِنَّما يريد جلودها فوحَّد؛ لأَنَّه قد علم أَنَّه لا يكون للجماعة جلد واحد"(٣)، فجلدها حل محل جلودها؛ لأنَّ المعنى يدل على ذلك.

وذكر سيبويه قول الشَّاعر: [من الرجز]

لا تُنكِرُوا القَتْلَ/ وَقَدْ سُبِينا... فِي حَلقِكُمْ عَظْمٌ/ وَقَدْ شَجِينَا(٤).

---

(١). الكتاب، سيبويه (١/ ٢٠٩).

(٢). شرح ديوان علقمة بن الفحل، الأعلم الشنتمري (ص ٢٧)، الكتاب، سيبويه (١/ ٢٠٩)، المقتضب، المبرد (٢/ ١٧٣)، معاني القرآن الأخفش الأوسط (١/ ٢٤٥) تفسير الطبري (٧/ ٥٥٨)، معاني القرآن وإعرابه الزجاج (١/ ٣٤٠)، شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (٢/ ١٠١)، ما يجوز للشاعر في الضرورة، القزاز (ص ١٨٠)، تفسير القرطبي (١/ ١٩٠)، ضرائر الشعر، ابن عصفور (ص ٢٥٢).

(٣). تفسير القرطبي (١/ ١٩٠).

(٤). الكتاب، سيبويه (١/ ٢٠٩)، مجاز القرآن، أبو عبيدة (٢/ ٤٤) ذكر الجزء الثاني، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (١/ ٨٣)ذكر تنكري مكان تنكروا، شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (٢/

يريد في حلوقكم، فاكتفى بالواحد عن الجمع[١]، فحل المفرد هنا محل الجمع، بدلالة الإضافة إلى الجمع.

قال سيبويه: ومما جاء فى الشِّعر على لفظ الواحد يراد به الجميع: [من الوافر]

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطنِكُمُ تَعِفُّوا... فإِنَّ زمانَكُمْ زَمَنٌ خَمِيصُ[٢]

أراد في بعض بطونكم فاكتفى بالواحد عن الجمع؛ لأَنَّ إِضافة الجمع تدل على أَنَّ البطن بمنزلة البطون[٣].

وقال سيبويه: ومثل ذلك فى الكلام قوله تبارك وتعالى: ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا ﴿٤﴾ ﴾[سورة النساء: ٤]، وقَرِرْنا به عينا، وإن شئت قلت: أعينا وأنفسا[٤].

١٠١-١٠٢) نسبه للمسيب بن زيد مناة الغنوي، المحتسب، ابن جني (٢/ ٨٧) ذكر الجزء الثاني ونسبه لطفيل، لسان العرب، ابن منظور (١٤/ ٤٢٣) نسبه للمسيب بن زيد مناة.

(١). معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (١/ ٨٣؛ ٩/٤)، الأصول في النحو، ابن السراج (١/ ٣١٤)، علل النحو، الوراق (ص ٥١٢).

(٢). الكتاب، سيبويه (١/ ٢٠٩)، معاني القرآن وإعرابه الزجاج (٥/ ٩٣)، الأصول في النحو، ابن السراج (١/ ٣١٣)، شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (١٠٤/٢)، المحتسب، ابن جني (٢/ ٨٧)، المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي (٢/ ٣٤)، المفصل، الزمخشري (ص ٢٦٨)، شرح المفصل، ابن يعيش (٤/ ١٠)، مجهول القائل لم أقف على قائله على الرغم من البحث الجاد.

(٣). شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (١٠٤/٢)، علل النحو، ابن الوراق (ص ٥١٦).

(٤). الكتاب، سيبويه (١/ ٢١٠).

حيث وحَّد النَّفس هنا؛ لأنَّه أراد الهوى، والهوى يكون جماعة، فاكتفى بالواحد عن الجمع لذلك، ولم يذهب الوهم إلى أنَّه ليس بمعنى جمع؛ لأنَّ قبله جمعا(١). قال ابن الوراق: "النَّفس والعين يراد بهما الجمع، فاكتفى بالواحد فيه، لدلالة الكلام عليه على الإرادة"(٢).

أمَّا شرح بداية نص سيبويه فذكر الأخفش أن نظير وضع المفرد موضع الجمع في الشَّواهد السَّابقة قوله: تِسْعُ مئة وإنَّما هو تِسْعُ مئات أو مِئِين، فجعله واحدًا، وذلك أنَّ ما بين العشرة الى الثَّلاثة يكون جماعة، نحو: ثلاثة رجال وعشرة رجال، ثم جعلوه في المِئِينَ واحدًا(٣). وقال أبو سعيد السيرافي: "ليس بمستنكر في كلام العرب أن يكون اللفظ واحدًا، ويكون عبارة عن جميع، ولا سيما في باب العدد"(٤)، وقال أبو البركات الأنباري: "فإن قيل: فَلِمَ قالوا: ثلاثمائة، ولم يقولوا ثلاث مئين؟ قيل: كان القياس أن يُقال: ثلاث مئين إلا أنَّهم اكتفوا بلفظ المائة؛ لأنَّها تدل على الجمع، وهم يكتفون بلفظ الواحد عن الجمع"(٥).

تتجلى عملية الإحلال عند سيبويه بوضع المفرد مائة موضع الجمع مئين أو مئات، وفي بيت علقمة بوضع المفرد جلد موضع الجمع جلود، وفي الثَّاني بوضع

---

(١). معاني القرآن، الأخفش الأوسط (١/ ٢٤٥)، تفسير الطبري (٧/٥٥٩).

(٢). علل النحو، ابن الوراق (ص ٥١٦).

(٣). معاني القرآن، الأخفش الأوسط (١/ ٢٤٩).

(٤). شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (٢/ ١٠٢).

(٥). أسرار العربية، أبو البركات الأنباري (ص ٢٢٣).

المفرد حلق موضع الجمع حلوق، وفي الثَّالث بوضع المفرد بطن موضع الجمع بطون، وفي الآية الكريمة بوضع المفرد نفس موضع الجمع أنفس، وفي قول العرب بوضع عين موضع الجمع أعين؛ فالبنية السَّطحية الظاهرة لها أنَّها مفردات أما البنية العميقة فهي تعبر عن الجمع.

أما عن حكم إحلال المفرد محل الجمع فالراجح أنَّه جائز في الكلام نظمًا ونثرًا، وما ذكره سيبويه من شواهد قرآنية وشعرية وقول العرب دليل على جوازه، وذهب الفرَّاء كذلك إلى أَنَّه جائز في الكلام غير مختصٍّ بالشِّعر، وجاز التَّوحيد عنده؛ لأَنَّ أكثر الكلام يواجه به الواحد(١). قال أبو عبيدة: "والعرب تضع لفظ الواحد فى معنى الجميع"(٢). وقال الزجاج: "..واحد في معنى جماعة، وهذا جائز في اللُّغة إذا كان في الكلام دليل على الجماعة"(٣)، وقال أيضا: "وإذا كان الموضع الذي لا يُلْبِسُ ذكرُ الواحد فيه، فهو ينبئ عن الجماعة"(٤).

وقال ابن جنّي: وقد شاع عنهم وقوع المفرد في موضع الجماعة...وهو كثير(٥). وقد عده ابن فارس

(١). معاني القرآن، الفراء (٢/ ١٠٢)، خزانة الأدب، البغدادي (٧/ ٥٦١).
(٢). مجاز القرآن، أبو عبيدة (٢/ ٤٤).
(٣). معاني القرآن وإعرابه الزجاج (١/ ٣٤٠).
(٤). معاني القرآن وإعرابه الزجاج (٢/ ٧٤).
(٥). المحتسب، ابن جني (٢/ ٨٧).

وتبعه الثَّعالبي من سُنن العرب ذكر الواحد والمراد الجميع[١]. وقال أبو البركات الأنباري: وهم يكتفون بلفظ الواحد عن الجمع... والشَّواهد على هذا النحو كثيرة[٢].

أما المبرِّد فقد حمل هذا الإحلال على الجواز للضرورة الشعرية، وذكر شواهد سيبويه الشعرية، وكذلك القزاز وابن عصفور[٣]. وحمل الزَّمخشري في المفصل هذا الإحلال على الشاذ، وذكر الشاهد الأول من شواهد سيبويه[٤].

أما أبو حيان فقد تباين موقفه وتناقض حيث قال في التذييل: "وهذا عند س من أقبح الضرائر، يريد: جلودها، وبطونكم، وحلوقكم"[٥]، وقال في البحر: "وهذا عند سيبويه لا يجوز إِلَّا في الضَّرورة"[٦]. ثم ذكر في موضع آخر في التذييل ما يعارض ويناقض ذين النصين فقال: "ويظهر من كلام س جواز ذلك فى الكلام؛ لأنَّه شبه به ما يجوز في الكلام، قال س: ومثل ذلك فى الكلام قوله تبارك وتعالى: ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا ۝٤ ﴾ ، وقررنا به عينا"[٧].

---

(١). الصاحبي في فقه اللغة العربية، ابن فارس (ص ١٦١)، فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي (ص ٢٢٧).

(٢). أسرار العربية، ابو البركات الأنباري (ص ١٧٠).

(٣). المقتضب، المبرد (٢/ ١٦٩-١٧٠)، ما يجوز للشاعر في الضرورة، القزاز (ص ١٨٠)، ضرائر الشعر، ابن عصفور (ص ٢٥١- ٢٥٢).

(٤). المفصل، الزمخشري (ص ٢٦٨)، شرح المفصل، ابن يعيش (٤/ ١٠).

(٥). التذييل والتكميل، أبو حيان (٢/ ٨٤).

(٦). تفسير البحر المحيط، أبو حيان (١٠/ ٥٤٩).

(٧). التذييل والتكميل، أبو حيان (٩/ ٢٨٠).

فالتباين في الحكم الذي ذكره أبو حيان واضح ومتناقض، ويبدو أنَّه استدرك في الموضع الثَّاني من التَّذييل وذكر الرأي الصَّحيح لسيبويه. وممن وهم أيضًا البغدادي فقال: "وظاهره أنَّه غير ضرورة، ونص سيبويه على أنَّه ضرورة"(١).

وما نسبه أبو حيان ومن بعده البغدادي لسيبويه من أنَّه من أقبح الضَّرائر أو مقصور على الضَّرورة وهم لا يقوم على دليل قاطع، بل إنَّ قول سيبويه ليس بمستنكر واحتجاجه بشواهد من الشِّعر والقرآن الكريم وقول العرب ينقض ما ذكراه، وكذلك فإنَّ أبا سعيد السَّيرافي في شرحه للكتاب وأبا محمد السَّيرافي في شرحه لأبيات الكتاب لم يذكرا أنَّ سيبويه قصره على الضرورة(٢)، وقول أبي حيان في الموضع الثَّاني من التذييل يمكن أن يدخل في باب الاستدراك، فيكون من باب تصويب الوهم الَّذي وقع فيه.

وقد تبين من خلال التَّحليل السَّابق أنَّ عملية إحلال المفرد أو مجيء المفرد موضع الجمع غير مطلقة؛ بل مضبوطة ومقيدة، فيشترط عدم وقوع اللبس والوهم، وأن يكون في الكلام دليل لفظي أو معنوي على الجماعة.

أمَّا الغرض والوظيفة من هذا الإحلال الَّذي عُدَّ من سنن العربية فهو مظهر من مظاهر اتِّساع اللُّغة، قال المهلبي: "ليس إقامة الواحد مقام الجمع ضرورة، ولكن توسُّعًا، وقد جاء ذلك كثيرا على غير وجه الضرورة"(٣)، وكذلك أشار

---

(١). خزانة الأدب، البغدادي (٧/ ٥٥٩).

(٢). شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (٢/ ١٠١-١٠٤) شرح أبيات سيبويه، أبو محمد السيرافي (١/ ٩٢- ٩٣).

(٣). المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي (٢/ ٣٤).

القزاز إلى فائدة الاتساع[1]، ويتجلى الاتساع هنا باستخدام أداءات لغوية موضع أخرى، ولا شك أن هذا الاتساع في الاستعمال مظهر من مظاهر فصاحة اللغة وبلاغته، دال على المرونة في التعبير والأداء، ولا يخفى لما لهذا الاتساع من درو في تحديد الدلالة وتوضيحها باستعمال اللفظ المناسب لأداء المعنى البعيد بناء على الإشارات اللفظية والمعنوية الموجودة في النص وسياقه كما في هذه المسألة، وهذا يعطي المتكلم القدرة على التفنن والتنويع في أداء المعنى المطلوب بألفاظ وعبارات متنوعة، ويسهم في فهم الأداءات والتراكيب واستنباط معانيها، وهذا المظهر يوافق مبدأ الكفاية عند تشومسكي.

إحلال اسم الفعل موقع الفعل

قال سيبويه: "باب من الفعل سُمِّي الفعلُ فيه بأسماء لم تؤخذ من أمثلة الفعل الحادث، وموضعها من الكلام الأَمر والنَّهي، فمنها ما يتعدَّى المأمور إلى مأمور به، ومنها ما لا يتعدَّى المأمورَ، ومنها ما يتعدَّى المنهيَّ إلى منهي عنه، ومنها ما لا يتعدَّى المنهيَّ.

أَمَّا ما يتعدَّى فقولك: رويد زيدًا، فإنَّما هو اسم لقولك: أَرودِ زيدًا، ومنها هَلُمَّ زيدًا، إنَّما تريد هاتِ زيدًا، ومنها قول العرب: حَيَّهَلَ الثَّريدَ. وزعم أبو الخَطَّاب أنَّ بعض العرب يقول: حَيَّهَلَ الصَّلاَة، فهذا اسمُ ائتِ الصلاةَ، أي: ائتوا الثَّريدَ وأتوا الصَّلاةَ،... وأمَّا ما لا يتعدَّى المأمورَ ولا المنهيَّ إلى مأمورٍ به ولا إلى منهي عنه، فنحو قولك: مَهْ مَه، وصَهْ صه، وآهٍ وإيهٍ، وما أَشبه

(١). ما يجوز للشاعر في الضرورة، القزاز (ص ١٨٠-١٨١).

ذلك"[1]. ثم قال: وهي أسماء للفعل..سمِّي به الأمر والنَّهي..فهي تقوم مقام فعلهما[2]. وقد ذكر سيبويه شواهد عدة تحت هذا الباب وتحت هذا باب متصرَّف رويد...وختم الباب بقوله: "فقد تَبَيَّنَ لك أنَّ رُوَيْدَ فى موضع الفعل"[3].

يناقش سيبويه في هذا الباب إحلال اسم الفعل –اسم فعل الأمر– موقع الفعل، وقد جعلها في قسمين؛ قسم يتعدَّى إلى مأمور به أو إلى منهي عنه، وقسم لا يتعدَّى المأمور أو المنهي، فالقسم الأول: يحل محل الفعل المتعدي، والقسم الثَّاني: يحل محل الفعل اللازم، وقد توسع سيبويه في ذكر الأمثلة والشَّواهد على هذا الإحلال، علما أنَّ جميع الأمثلة والشَّواهد التي ذكرها تقع في باب الأمر لا النهي، قال أبو سعيد السيرافي في توضيح هذا: "فإن قال قائل: لم فصل سيبويه بين الأمر والنَّهي في أول هذا الباب، وليس في شيء من هذه الأفعال نهي، بل لا يجوز أن يكون فيها نهي؛ لأنَّه ليس شيء من هذه المصادر الَّتي هي اسم الفعل يقدر فيها (لا) الَّتي هي للنَّهي، وإنَّما تقع موقع الأمر المحض، قيل له: إنَّما سماه نهيًا بالمعنى، لا بدخول حرف نهي؛ لأنَّه إذا

(١). الكتاب، سيبويه (١/ ٢٤١– ٢٤٢).

(٢). الكتاب، سيبويه (١/ ٢٤٢– ٢٤٣).

(٣). الكتاب، سيبويه (١/ ٢٤٤)، انظر تفصيل المسألة: شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (٢/ ١٤١– ١٤٥).

قال: اتركها، وامنعها، فالمعتاد في الكلام أن يقال نهى عنها، وإذا قال: صه صه، فأمره بالسكوت والكف، فقد نهاه عن الكلام"[١].

وقد تناول جلُّ العلماء قضية وقوع هذه الأسماء موقع الأفعال، فيرى المبرِّد، وأبو سعيد السَّيرافي، وأبو محمد السَّيرافي، وابن فارس، والشَّنتمري، وابن يعيش، وغيرهم أَنَّك إذا قلت: رويدك زيدًا، إنَّما تريد: أرودْ زيدا[٢]. وقال أبو سعيد السَّيرافي في تعليقه وشرحه على هذا الباب: "واعلم أنَّ هذا الباب مشتمل على أسماء وضعت موضع فعل الأمر"[٣].

وقد فصل بعضهم القول في أسماء الأفعال كالزَّمخشري وابن مالك، وصيروها في ثلاثة أقسام؛ أسماء للمضارع، نحو: أف بمعنى: أتضجر، وأوه بمعنى: أتوجع... وأخرى للماضي، نحو: هيهات ذاك، أي: بعد، وشتان زيد وعمرو، أي: افترقا وتباينا... وأخرى للأمر؛ تقع في ضربين متعد للمأمور وغير متعد له. فالمعتدي نحو قولك: رويدا زيدًا، أي: أروده وأمهله. ويقال: تيد زيدًا، بمعنى: رويد، وهلم زيدًا، أي: قربه وأحضره.. وها زيدًا، أي: خذه، وحيهلَّ

(١). شرح كتاب سيوبه، أبو سعيد السيرافي (٢/ ١٤٣).

(٢). المقتضب، المبرد(٢٧٧/٣)، شرح كتاب سيوبه، أبو سعيد السيرافي(٢/ ١٤٥)، شرح أبيات سيوبه، أبو محمد السيرافي(٧١/١)، الصاحبي في فقه اللغة العربية، ابن فارس(ص٧٣)، النكت في تفسير كتاب سيبويه، الشنتمري (٤٥١/١)، شرح المفصل، ابن يعيش (٢٨/٣).

(٣). شرح كتاب سيوبه، أبو سعيد السيرافي (٢/ ١٤٢).

الثَّريد، أي: ائته، وبله زيدًا، أي: دعه، وتراكها ومناعها، أي: اتركها وامنعها... وغير المتعدي نحو قولك: صه، أي: اسكت، ومه، أي: اكفف.(١)

وقد جعل بعض النُّحاة المتأخرين هذه القضية من باب الإنابة أو ما ناب عن الفعل معنى واستعمالًا، كابن مالك، وابن النَّاظم، وابن هشام، والأشموني، وغيرهم(٢).

قال ابن مالك: [من الرجز]

ما نابَ عن فِعل كَـ(شتَّان) وَ(صَهْ)... هو اسم فِعل وكذا (أَوَّه) وَ(مَهْ)(٣)

قال ابن الناظم: "أسماء الأفعال ألفاظ نابت عن الأفعال معنى واستعمالا، كشتان بمعنى: افترق، وصه، بمعنى: اسكت، وأوه، بمعنى: أتوجع...واستعمالها كاستعمال الأفعال؛ من كونها عاملة غير معمولة".(٤)

ومما يدلك على أن هذه الأسماء وضعت موضع الأفعال وحلت محلها أنها مبنية، قال ابن جنّي في توضيح بنائها: "وأصل بناء هذا الكلم الموضوعة للأمر

---

(١). المفصل، الزمخشري(ص١٩٢-١٩٣)، شرح المفصل، ابن يعيش(٣/ ٨-١١)، شرح الكافية الشافية، ابن مالك (٣/١٣٨٤-١٣٨٥).

(٢). شرح ابن الناظم (ص ٤٣٥)، أوضح المسالك، ابن هشام (٤/ ٧٨)، شرح الأشموني (٣/ ٩١)، شرح الصبان (٣/ ٢٨٧).

(٣). شرح ابن الناظم (ص٤٣٥)، أوضح المسالك، ابن هشام (٤/٧٨)، شرح ابن عقيل (٣/٣٠٢)، شرح الأشموني (٣/٩١)، شرح الصبان (٣/٢٨٧)، متن ألفية ابن مالك، ضبطها وعلق عليها: عبد اللطيف الخطيب (ص ٤١).

(٤). شرح ابن الناظم (ص٤٣٥)، انظر: أوضح المسالك، ابن هشام (٤/٧٨-٨٥)، شرح الأشموني(٣/٩١)، شرح الصبان(٣/٢٨٧).

عندي أنَّها تضمَّنت معنى لام الأمر، ألا ترى أنَّ (صَه) بمعنى: اسكت، وأصل اسكت لتسكت، وكذلك (حذار) معناه: احذر، وأصل احذر: لتحذر، وكذلك رويد زيدًا هو اسم: انظر زيدًا، وأصل انظر: لتنظر، فمعنى لام الأمر موجود في جميع ذلك، فهذه علة بنائها الصَّريحة"[١].

ومن الأمثلة والشَّواهد الَّتي ذكرها سيبويه في هذا الباب إضافة لما تقدم فقال: مما ما جاء اسمًا للفعل وصار بمنزلته ومما تعدَّى فقول الشَّاعر: [من الرجز]

مَناعِها مِن إبِلٍ مناعها... ألا تَرَى الموْتَ لَدَى أَرْباعِها[٢]

قال سيبويه: "وهذا اسم لقوله لهُ: امنعها"[٣].

قال الشَّاعر: [من الرجز]

تَراكِها مِن إبِلٍ تَراكِهَا... ألا ترى الموتَ لَدَى أَوْراكِهَا[٤]

قال سيبويه: "فهذا اسم لقوله لهُ: اتُرْكْها"[٥].

---

(١). التمام في أشعار هذيل، ابن جني (ص ١٥)، الخصائص، ابن جني (٣/ ٥١)، شرح المفصل، ابن يعيش (٣/ ٤٦).

(٢). الكتاب، سيبويه (٢٤٢/١)لم ينسبه، شرح أبيات سيبويه، أبو محمد السيرافي (٢/ ٢٦١) نسبه لراجز من بكر بن وائل، تاج العروس، الزبيدي (٢٢/ ٢١٩) قال الزبيدي: أنشد سيبويه لرجل من بكر بن وائل، وقال أَبو عبيدة في كتاب أيّام العرب: إنَّه لرجل من بني تميم.

(٣). الكتاب، سيبويه (١/ ٢٤٢).

(٤). الكتاب، سيبويه (٢٤١/١، ٣/ ٢٧١)لم ينسبه، لسان العرب، ابن منظور (١٠/ ٤٠٥)نسبه للطفيل بن يزيد الحارثي.

(٥). الكتاب، سيبويه (١/ ٢٤٢).

قال الهُذَليُّ: [من الطويل]

رُوَيْدَ عَلِيًّا جُدَّ ما ثَدْيُ أُمِّهِمْ... إلينا ولكنْ بُعْضُهُمْ مُتَمايِنُ[1]

أي: أرود عليًا، بمعنى: أمهل عليًا.

قال سيبويه: "وسمعنا من العرب من يقول: والله لو أردت الدَّراهم لأعطيتك رُوَيْدَ ما الشِّعْرَ، يريد: أَرود الشِّعر، كقول القائل: لو أردت الدَّراهم لأَعطيتك، فدع الشِّعر"[2]. فـ(رويد) حلت محل (دع) و(ما) زائدة.

وبناء على ما تقدَّم فالإحلال هنا له مظاهران؛ إحلال في المعنى، وإحلال في الوظيفة أو العمل، أما المعنى فهذه الأسماء النَّائبة عن أفعالها تتضمن معنى الفعل الَّذي تنوب عنه لذا قسمت لثلاثة أنواع؛ اسم فعل ماض، ومضارع، وأمر؛ فهيهات بمعنى: بعد، وأف بمعنى: أتضجر، وصه بمعنى: اسكت. أما الوظيفة أو العمل فهي تعمل عمل فعلها الَّذي نابت عنه، فهي إما لازمة أو متعدية. ويلحظ أنَّ البنية العميقة –الفعل– هنا هي الموجِّهة والمفسِّرة لهذا الإحلال من حيث بيان المعنى، والوظيفة أو العمل.

---

(١). ديوان الهذليين (٤٦/٣) وروي ودهم متماين مكان بغضهم متماين، ونسب للمعطل وهو أحد بني رهم بن سعد بن هذيل(٤٠/٣)، الكتاب، سيبويه (١/ ٢٤٣) نسبه للهذلي، شرح أبيات سيبويه، أبو محمد السيرافي (١/ ٧١) نسبه لمالك بن خالد الهذلي، النكت في تفسير كتاب سيبويه، الشنتمري (١/ ٤٥١) نسبه للهذلي.

(٢). الكتاب، سيبويه (١/ ٢٤٣).

إحلال المصدر المنصوب محل الفعل

قال سيبويه في باب ما ينصب من المصادر على إضمار الفعل غير المستعمل إظهاره:...سَقيًا وَرْعيًا، ونحو قولك: خَيْبةً، ودَفرًا، وجَدْعًا، وعَقْرًا، وبؤسًا، وأُفَّةً، وتُفَّةً، وبُعْدًا، وسُحْقًا. ومن ذلك قولك: تَعْسًا وتَبًّا، وجُوعًا، وجُوسًا،...وإنَّما ينتصب هذا وما أشبهه إذا ذُكر مذكور فدعوت له أو عليه على إضمار الفعل، كأَنّك قلت: سقاك الله سقيًا، ورعاك الله رعيًا، وخيبك الله خيبةً، فكل هذا وأشباهه على هذا ينتصب. وإنَّما أُختُزل الفعل ها هنا لأنَّهم جعلوه بدلًا من اللَّفظ بالفعل، كما جُعل الحذر بدلًا من احذرْ، وكذلك هذا كأَنَّه بدل من سقاك اللهُ، ورعاك اللهُ ، ومن خَيَّبَك الله.

وما جاء منه لا يظهر له فِعلٌ فهو على هذا المثال نصب، كأَنَّك جعلت بَهرًا بدلًا من بَهَرَك اللهُ، فهذا تمثيل ولا يُتكلَّم به، وممَّا يدلُّك أيضًا على أنَّه على الفعل نُصب، أنَّك لم تذكر شيئًا من هذه المصادر لتَبني عليه كلامًا كما يبنى على عبد الله إذا ابتدأته، وأَنَّك لم تجعله مبنيًّا على اسم مضمر في نِيَّتك، ولكنَّه على دعائك له أو عليه[1]. وقال في موضع آخر: "ألا ترى أنَّك تقول للسائل عن تفسير سقيًا وحمدًا: إنَّما

هو سقاك اللهُ سقيًا وأَحمدُ الله حمدًا، وتقول: حمدًا بدل من أَحمد الله، وسقيًا بدل من سقاك اللهُ"[2].

---

(١). الكتاب، سيبويه (١/ ٣١١-٣١٣)، انظر: اللامات، الزجاجي (ص ١٢٢-١٢٣)، شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (٥/ ٢٢٦).

(٢). الكتاب، سيبويه (٣٥٣/١).

ومن أبرز النُّحاة الَّذين عالجوا هذه المسألة ابن السَّرَّاج، والزَّجَّاجي، وأبو سعيد السَّيرافي، وابن الشَّجري، وابن يعيش، وابن مالك، وأبو حيان، وغيرهم(١). قال ابن السَّرَّاج: سقيًا، ورعيًا، وخيبةً، ودفرًا، وجدعًا، وعقرًا، وبؤسًا، وأفةً، وتفةً له، وبعدًا، وسحقًا، وتعسًا، وتَبًّا، وبَهْرًا؛ وجميع هذا بدل من الفعل، كأنَّه قال: سقاك الله ورعاك، وأمَّا ذكرهم (لَكَ) بعد (سقيًا) فليبينوا المعنى بالدعاء(٢).

وقال أبو سعيد في شرح قول سيبويه وإيضاحه: سقاك الله سقيًا، ورعاك رعيًا، وخيبك الله خيبةً، فهذا وما أشبهه ينتصب على الفعل المضمر، وجعلوا المصدر بدلًا من اللَّفظ بذلك الفعل، ومعنى قولنا: بدل من ذلك الفعل أنَّهم استغنوا بذكره عن إظهاره،كما قالوا: الحذر الحذر، أي: احذر الحذر، ولم يذكروا احذر، وبعض هذه المصادر لا يستعمل الفعل المأخوذ منه، وبعض يستعمل، فممَّا لم يستعمل قولهم: بهرًا، كأنَّك قلت: بهرك الله، إذا دعا عليه، وهذا تمثيل ولا يتكلم به، وكذلك لا يتكلم بالفعل من جوسًا وجودًا في معنى: جوعا... وهذه المصادر لم يذكرها الذَّاكر ليخبر عنها بشيء كما يخبر عن زيد إذا قال: زيد قائم، أو عبد الله قائم، وهذا معنى قوله: لتبني عليه كلامك كما

---

(١). الأصول، ابن السراج (٢/٢٥١-٢٥٢)، اللامات، الزجاجي (ص١٢٢-١٢٣)، شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (٥/٢٢٦)، أمالي ابن الشجري (٢/٤٣٣)، شرح المفصل، ابن يعيش (١/٢٨٠)، شرح الكافية الشافية، ابن مالك (١/١٣١)، ارتشاف الضرب، أبو حيان (٣/١٣٦٠).

(٢). الأصول، ابن السراج (٢/ ٢٥١-٢٥٢).

تبني على عبد الله، يعني: تبني عليه خبرا، ولم تجعل هذه المصادر أيضًا خبرًا لابتداء محذوف فترفعها، وهذا معنى قوله: إنَّك لم تجعله مبنيًّا على اسم مضمر يعني: خبرًا لاسم مضمر، وإنما هو دعاء منك لإنسان كقولك: سقيًا ورعيًا، أو دعاء عليه كقولك: تعسًا، وتبًّا، وجدعًا، وتركوا الفعل استغناء بعلم المخاطب، وربما جاءوا به توكيدًا فقالوا: سقاك الله سقيا[1]، وأضاف ابن يعيش...فلو أظهرت الفعل صار كتكرار الفعل،... وبعضهم يظهر الفعل تأكيدًا، فيقول: سقاك الله سقيًا، ورَعاك الله رعيًا، وليس بالكثير،...وباب سقيًا، ورعيًا، وحمدًا لا يطَّرد فيه القياس[2].

وقال أبو حيان يحذف عامل المصدر..وجوبًا؛ لكونه بدلا من اللفظ بالفعل؛ منها المصادر التي تستعمل في الدعاء للإنسان، أو عليه، فإن كان له فعل انتصب به، وإن لم يكن له فعل قدر من معناه، فمن المتعدي سقيًا ورعيًا في الدعاء،.. أي: سقاك الله ورعاك،.. وجدعًا وعقرًا في الدعاء عليه، ومن اللازم في الدعاء عليه بعدًا، وسحقًا، وتعسًا، ونسكًا، وبؤسًا، وخيبة، وجدعًا، وتبًا[3].

---

(١). شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (٢/ ٢٠٤-٢٠٥)، انظر أيضا: تمهيد القواعد، ناظر الجيش (٤/ ١٨٤٧)، شرح التصريح، خالد الأزهري (١/ ٥٠٠).

(٢). شرح المفصل، ابن يعيش (١/ ٢٨٠، ٢/ ١٢)، انظر أيضا: تمهيد القواعد، ناظر الجيش (٤/ ١٨٤٧)، شرح التصريح، خالد الأزهري (١/ ٥٠٠).

(٣). ارتشاف الضرب، أبو حيان (٣/ ١٣٦٠)، التذييل والتكميل، أبو حيان (١٨٩/٧).

مما تقدَّم فقد أوضح النُّحاة وفي مقدمتهم سيبويه مسألة حذف عامل المصدر في باب الدُّعاء له أو عليه نحو: سقيًا ورعيًا، وخيبةً وعقرًا، وما جاء في هذا الباب سماعي لا يقاس عليه، وقولنا في تفسير المصدر: سقاك الله، أو رعاك الله؛ هذا تمثيل للتَّوضيح، ولا يتكلَّم به، وهذا التَّفسير أو القول هو البنية العميقة المفسِّرة لهذه المصادر التي جعلت بدلًا من اللفظ بالفعل استغناء بها عنه.

ونجد في نص سيبويه وأقوال النُّحاة من بعده نقاطًا مهمَّة تتصل بالنَّظرية التَّوليدية التَّحويلية؛ منها أنَّ سيبويه يتكلم في هذا الباب عن بنيتين، بنية سطحية منطوقة حلَّ المصدر فيها محل الفعل وأدى وظيفته المتمثلة بالدُّعاء للمذكور له أو عليه، وسميت فيما بعد مصادر نائبة عن أفعالها...، وبنية عميقة لا يتكلم بها، توضح عملية الإحلال الَّتي حصلت وتفسر البنية السَّطحية، وقد بقي أثر هذا الإحلال أو أثر البنية العميقة المتمثل بنصب المصدر، والإحلال يتجلَّى هنا في قيام العنصر (أ) وهو المصدر المنصوب مقام العنصر (ب) وهو الفعل المضمر المتروك إظهاره، ومسوغ الإحلال هنا أنَّ المصدر جُعل بدلًا من الفعل، فلو ذكر لكان من باب التكرار؛ لذا حذف للعلم به، وهذا الإحلال أدى الوظيفة والدلالة المتمثلة في الدعاء للمذكور له أو عليه ولكن بإيجاز، وهذا يدل على بلاغة اللغة العربية، وفصاحتها.

أمَّا مصطلح البدل الَّذي ذكره سيبويه هاهنا إذ قال ما معناه: والمصدر بدل من اللفظ بالفعل، فهو بهذا الوصف يتقارب مع عنصر الإحلال ومفهومه عند التَّحوليين.

وقضية أخرى مهمَّة أنَّ سيبويه جعل الإحلال هنا مقيسًا على إحلال آخر، فكما أنَّ الاسم المنصوب في باب التَّحذير بدل من اللَّفظ بالفعل، فكذلك في باب المصادر النَّائبة عن أفعالها، فالإحلال في هذه المسألة له دور في قياس الأحكام، وله دور في التَّوجيه والتَّقعيد.

وتجدر الإشارة أنَّ بعض هذه المصادر ذُكِرَ بالرفع ، وبعضها أظهر معه الفعل؛ فلا إحلال فيها في ذين الحالتين..

الإحلال في قول العرب "ما زاد إلا ما نقص"

قال سيبويه في "باب ما لا يكون إلا على معنى ولكن:..ومثل ذلك أيضًا من الكلام فيما حدثنا أبو الخطاب: ما زاد إلا ما نقص، وما نفع إلا ما ضر، فما مع الفعل بمنزلة اسم، نحو: النُّقصان، والضَّرر، كما أنَّك إذا قلت: ما أحسنَ ما كلَّم زيدًا، فهو ما أحسنَ كلامَ زيدًا، ولولا ما لم يجز الفعل بعد إلا في ذا الموضع، كما لا يجوز بعد ما أحسنَ بغير ما، كأنَّه قال: ولكنَّه ضر، وقال: ولكنَّه نقص؛ هذا معناه"(١).

يتجلَّى في هذه الأداءات والتَّراكيب الَّتي عنون لها سيبويه تحت "باب ما لا يكون إلا على معنى ولكن" نمطين من الإحلال؛ إحلال إلا بمعنى ولكن، وإحلال ما والفعل مكان الاسم؛ فإلا بمنزلة ولكن، وما والفعل بمنزلة الاسم، الأول منهما إحلال حروف، والثَّاني إحلال تركيب محل اسم، وهذا النَّمط من الإحلال الوارد في هذا الباب كثير، قال سيبويه: "وهذا الضَّرب في القرآن

(١). الكتاب، سيبويه (٢/ ٣٢٥-٣٢٦)، انظر: شرح أبيات سيبويه، أبو محمد السيرافي (٢/ ٦٣).

كثير"[١]، وقال أيضًا: "ومثل ذلك في الشِّعر كثير"[٢]، وقد نقل حرفيا عنوان سيبويه كل من أبي سعيد السيرافي، وأبي علي الفارسي، وأبي محمد السيرافي[٣].

وقد تكلَّم ابن السَّرَّاح عن النَّمط الأول من هذا الإحلال فقال: (إلا) في تأويل (لكن) إذا كان الاستثناء منقطعًا عند البصريين، ومعنى سوى عند الكوفيين,.. وإنَّما ضارعت (إلا) (لكن)؛ لأنَّ (لكن) للاستدراك بعد النفي, فأنت توجب بها للثَّاني ما نفيت عن الأول, فمن ههنا تشابها، تقول: ما قام أحدٌ إلا زيد, فزيد قد قام[٤].

وقد فسَّر ابن يعيش اختيار سيبويه لـ(ولكن) فقال:... قدرها سيبويه بـ (لكن). وذلك من قِبَل أنَّ (لكن) لا يكون ما بعدها إلا مخالفا لِما قبلها، كما أنَّ (إلا) في الاستثناء كذلك[٥].

أمَّا النَّمط الثَّاني من الإحلال في هذه التراكيب فقال سيبويه: ما مع الفعل بمنزلة اسم، وهذا من إحلال التركيب محل الاسم، وهذا الاحلال قيَّده سيبويه بقوله: فلولا ما لم يجز الفعل بعد إلا في ذا الموضع، كما لا يجوز بعد ما أحسنَ بغير ما.

---

(١). الكتاب، سيبويه (٢/ ٣٢٥).

(٢). الكتاب، سيبويه (٢/ ٣٢٧).

(٣). الكتاب، سيبويه (٢/ ٣٢٥-٣٢٧)، شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (٣/ ٦٩-٧٣)، التعليقة، أبو علي الفارسي (٢/ ٥٧)، شرح أبيات سيبويه، أبو محمد السيرافي (٢/ ٦٣).

(٤). الأصول، ابن السراج (١/ ٢٩٠).

(٥). شرح المفصل، ابن يعيش (٢/ ٥٤).

قال أبو سعيد السَّيرافي: وقوله: ما زاد إلا ما نقص، وما نفع إلا ما ضر؛ فما مع الفعل بمنزلة المصدر، وكأنَّه قال: ما زاد إلا النقصان، ولا نفع إلا الضرر، وفي (زاد) و(نفع) ضمير فاعل جرى ذكره، كأنَّه قال: ما زاد النَّهر إلا النُّقصان، وما نفع زيد إلا الضَّرر، على معنى ولكنَّه نقص، ولكنَّه ضر، وتقديره: ما زاد ولكن النُّقصان أمره، وما نفع ولكن الضَّرر أمره، فالنُّقصان والضَّرر مبتدأ وخبره محذوف وهو: أمره، وهو نحو ما ذكره أبو بكر مبرمان في تفسير من فسره له(١).

وقال ابن يعيش: فـ(ما) الأولى نافية، و(ما) الثَّانية مع الفعل بعدها في موضع مصدر منصوب، وفي (زاد) ضمير يعود إلى مذكور, وكذلك في (نفع)، والمعنى: ما زاد النَّهر إلا النُّقصانَ، وما نفع زيد إلا الضُّرَّ، أقام النُّقصان مقام الزيادة، والضَّرَّ مقام النَّفع، كما يقال: الجوع زاد من لا زاد له، فهذا وأشباهه لا يجوز في المستثنى فيه إلَّا النصب على لغة بني تميم وغيرهم، لتعذُّر البدل(٢).

أما الشَّواهد الَّتي ذكرها سيبويه فهي أربعة من القرآن الكريم وسبعة من الشِّعر، قال: فمن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ ﴿٤٣﴾﴾ ، [سورة هود: ٤٣] أي: ولكن من رحم يعصم أو معصوم(٣).

---

(١). شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (٣/ ٧٢)، البديع في علم العربية، ابن الأثير الجزري (١/ ٢٢٩).

(٢). شرح المفصل، ابن يعيش (٢/ ٥٨).

(٣). الكتاب، سيبويه (٢/ ٣٢٥)، الأصول، ابن السراج (١/ ٢٩١)، النكت في تفسير كتاب سيبويه، الشنتمري (٢/ ٢٣٨).

قال أبو سعيد السَّيرافي: "فمن رحم يعني: من رحمه الله تعالى، ومن رحمه الله تعالى معصوم، فكأنَّه قال: لكن من رحم الله معصوم، وما بعد (إلا) غير الَّذي قبله، ومثله من الكلام لو جاء سيل عظيم يخاف منه الغرق أن يقول قائل: لا عاصم اليوم من هذا السيل إلا من أقام في الجبل، فالمقيم في الجبل ليس بعاصم. ومعناه: ولكن المقيم في الجبل معصوم منه"(١).

ومن الشواهد الشِّعرية الَّتي ذكرها سيبويه قوله: ومثل ذلك من الشِّعر قول النَّابغة: [من الطويل]

ولا عيبَ فيهمْ غيرَ أنْ سيوفَهم... بهنَّ فلولٌ من قِراعِ الكَتائِبِ(٢)

أي: ولكن سيوفهم بهن فلول(٣).

أما حكم هذا النَّمط وما شاكله في الاستثناء فقد تعددت الآراء في تخريجه وتوجيهه، وقد فصل أبو حيان القول وذكر آراء العلماء فيه(٤)، ولكن أرجح ما قيل نصه: وإذا كان الاستثناء منقطعًا،..ولم يصح إغناء المستثنى عن المستثنى منه نحو: ما زاد إلا ما نقص، وما نفع إلا ما ضر، ففي زاد ونقص ضميران

---

(١). شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (٣/ ٧١).

(٢). ديوان النابغة الذبياني (ص ٤٤)، الكتاب، سيبويه (٢/ ٣٢٦)، شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (٣/ ٧٠)، شرح أبيات سيبويه، أبو محمد السيرافي (٢/ ٦٤)، النكت في تفسير كتاب سيبويه، الشنتمري (٢/ ٢٣٩).

(٣). الكتاب، سيبويه (٢/ ٣٢٦)، شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (٣/ ٧٠).

(٤). للمزيد من الفائدة فقد فصل أبو حيان في الموقع الإعرابي لـ"ما نقص" في التذييل والتكميل (٨/ ٢٢٤- ٢٢٦)، وانظر أيضا: تمهيد القواعد، ناظر الجيش (٥/ ٢١٥١)، شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهري (١/ ٥٤٦)، حاشية الصبان (٢/ ٢١٧-٢١٨).

فاعلان، فالمعنى: لكنه نقص, ولكنه ضر, وما مصدرية, كأنَّه قال: ما زاد إلا النَّقص, وما نفع إلا الضر, إذ لا يقال: زاد النقص، ولا نفع الضرر؛ فهذا الذي لا يمكن أن يتوجه عليه العامل أو يتسلط عليه، ولا يجوز فيه تفريغ ما قبل إلا للاسم الواقع بعدها، لا يصح فيه عند جميع العرب إلا النصب، يتعيّن فيه النصبُ إجماعًا واتفاقًا[1]، وقد سبق بيان حكمه عند ابن يعيش في شرحه لقولهم: ما زاد إلا ما نقص، وما نفع إلا ما ضر، فقال: فهذا وأشباهه لا يجوز في المستثنى فيه إلَّا النصب على لغة بني تميم وغيرهم، لتعذُّر البدل.

ممَّا تقدَّم فيعدُّ الاستثناء المنقطع مظهرًا من مظاهر الإحلال في العربية، فالاستثناء المنقطع له بنيتان؛ سطحية وعميقة، سطحية تتجلى بإلا، وما ينوب عنها كغير وسوى، وبنية عميقة تكون بمعنى ولكن، وما عنون به سيبويه يشي بهذا الإحلال؛ فقال: باب ما لا يكون إلا على معنى ولكن، وفي الشَّواهد الَّتي ذكرها سيبويه إحلال آخر إضافة إلى هذا، بنيته السطحية ما والفعل، وبنيته العميقة الاسم.

(١). ارتشاف الضرب، أبو حيان (٣/ ١٥١١)، التذييل والتكميل، أبو حيان (٨/ ٢٢٤-٢٢٥)، الجنى الداني، المرادي (ص ٥١٥)، توضيح المقاصد، المرادي (٢/ ٦٧٠)، أوضح المسالك، ابن هشام (٢/ ٢٢٩)، تمهيد القواعد، ناظر الجيش (٥/ ٢١٥١)، شرح الأشموني (١/ ٥٠٧)، شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهري (١/ ٥٤٦)، همع الهوامع، السيوطي (٢/ ٢٥٧)، حاشية الصبان (٢/ ٢١٧-٢١٨).

أمَّا الوظيفة التي أدَّاها هذا الإحلال فقد ذكرها كل من ابن يعيش وأبي حيان وهي تتمثَّل في نصب هذا الأداء على الاستثناء المنقطع الذي لا يمكن أن يتوجه عليه العامل أو يتسلط.

ويلحظ أنَّ سيبويه استحضر في ذهنه ولم يكن غائبا عن فكره ما جاءت به النَّظرية التَّوليدية التَّحويلية، فما ناقشه سيبويه في هذه المسألة يمثِّل عنصرين أو مكونين من مكونات النظرية التحويلية؛ أولا: البنية العميقة والسطحية. وثانيا:الإحلال. ولكنَّ طريقة المناقشة والعرض مختلفة، أمَّا الجوهر فهو متقارب إلى حدٍّ ما، وبناء على هذا لا يستبعد أن يكون تشومسكي اطلع على الكتاب، وتأثر به سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وقد صرَّح تشومسكي باطلاعه على علوم العربية ولا سيَّما النحو كما ذكر سابقا.

إحلال ذا محل الَّذي:

قال سيبويه في باب إجرائهم ذا وحده بمنزلة الَّذي: "وليس يكون كالَّذي إلا مع ما ومَنْ في الاستفهام، فيكون ذا بمنزلة الَّذي، ويكون ما حرف الاستفهام"(١).

الأصل في (ذا) أنَّه اسم إشارة للقريب المذكر... وهذا النَّصُّ الَّذي ذكره سيبويه يعالج مسألة إحلال ذا محل الَّذي، أي: إحلال اسم الإشارة محل الاسم الموصول، ولا يكون هذا الإحلال إلا في باب الاستفهام مع ما ومن خاصة،

(١). الكتاب، سيبويه (٢/ ٤١٦)، انظر: شرح كتاب سيبويه، السيرافي (٣/ ١٨٣)، شرح أبيات سيبويه، أبو محمد السيرافي (٢/ ٥٣).

وقد ذكر سيبويه شاهدين يوضِّحان هذا الإحلال، قال: "أمَّا إجراؤهم (ذا) بمنزلة الَّذي فهو قولك: ماذا رأيت؟ فيقول: متاعٌ حسنٌ"(١).

فـ(ما) اسم استفهام مبني في محل رفع مبتدأ، و(ذا) اسم موصول مبني بمعنى الَّذي في محل رفع خبر المبتدأ، ورأيت صلة الموصول والعائد محذوف تقديره رأيته.

والشَّاهد الثَّاني قول الشَّاعر لبيد بن ربيعة: [من الطويل]

أَلا تَسْأَلانِ المرْءَ ماذا يُحاوِلُ... أنَحْبٌ فيُقْضَى أَمْ ضَلالٌ وباطلُ(٢)

فـ(ما) استفهام.. مبتدأ، و(ذا) موصول مع صلته خبره، و يحاول: صلته، والعائد محذوف، والتقدير: ما الشيء الذي يحاوله؟.(٣)

وما ذكره سيبويه في هذا الباب مجمع عليه لدى العلماء والنُّحاة بلا خلاف؛ فقد ذكروا لـ(ماذا) عدة استعمالات من أبرزها: أن تأتي (ما) استفهامًا، وهي اسم تام مرفوعُ الموضع بالابتداء، و(ذا) خبرُه، وهي بمعنى الَّذي، وما بعده من

---

(١). الكتاب، سيبويه (٢/ ٤١٧)، انظر: شرح كتاب سيبويه، السيرافي (٣/ ١٨٣)، شرح أبيات سيبويه، أبو محمد السيرافي (٢/ ٥٣).

(٢). ديوان لبيد بن ربيعة العامري (ص ٨٤)، الكتاب، سيبويه (٢/ ٤١٧)، شرح كتاب سيبويه، السيرافي (٣/ ١٨٣)، شرح أبيات سيبويه، أبو محمد السيرافي (٢/ ٥٣)، المفصل، الزمخشري (ص ١٩٠)، شرح المفصل، ابن يعيش (٢/ ٣٨٧)، شرح التسهيل، ابن مالك (١/ ١٩٧)، التذييل والتكميل، أبو حيان (٣/ ٤٤)، الجنى الداني، المرادي (ص ٢٣٩)، تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد، ابن هشام (ص١٥٣).

(٣). الجنى الداني، المرادي (ص ٢٣٩)، المقاصد النحوية، العيني (٤٠٦/١)، شرح التصريح على التوضيح، الوقاد (١٦٤/١).

الفعل والفاعل صلته، والعائد محذوف، وهذا في قولنا: ماذا رأيت؟ أو ماذا صنعت؟. والاستعمال الثَّاني: أن تجعل (ما) و(ذا) جميعا بمنزلة (ما) وحدها، وتكون قد ركَّبت من كلمتين كلمة واحدة، نحو: إنمَّا، وحَيْثُمَا، ونحوهما من المركبة، وتكون (ما) مع (ذا) في موضعِ نصب بـ"رأيت/صَنَعْتَ". والاستعمال الثَّالث: البقاء على الأصل؛ (ما) استفهامية، و(ذا) للإشارة، نحو: من ذا الذَّاهب؟ وماذا التَّواني؟[1].

وما يعنيني هنا الاستعمال الأول فهو يمثِّل صورة من صور الإحلال؛ قال ابن مالك: "وكذلك (ذا) بعد استفهام بـ(ما) أو (من) يقع موقع الَّذي، وموقع كل واحد من فروعه المبنية عليها، نحو: ماذا علمت أخير أم شرٌّ؟ وماذا أنفقت أدرهمان أم ديناران؟ وماذا صليت أركعةٌ أم تسليمةٌ؟ ومن ذا خطبت أهندٌ أم دعدٌ؟".[2]

وقد وضع العلماء شروطًا لمجيء ذا موقع الذي؛ أحدها: أن لا تكون للإشارة، والثَّاني: ألا تكون ملغاة، أي: أن تجعل مع (ما) أو (من) اسمًا واحدًا مستفهمًا به. والثَّالث: أن يتقدمها استفهام بـ(ما) باتِّفاق، أو بـ(من) على

(١). الكتاب، سيبويه (٢/ ٤١٦-٤١٧)، الأصول، ابن السراج (٢/ ٢٦٣-٢٦٤)، التعليقة، أبو علي الفارسي (٢/ ١١٨)، المفصل، الزمخشري (ص ١٩٠-١٩١)، البديع في علم العربية، نشوان الحميري (٢/ ٢٤٠-٢٤١)، شرح التسهيل، ابن مالك (١/ ١٩٦)، التذييل والتكميل، أبو حيان (٣/ ٤٤)، الجنى الداني، المرادي (ص ٢٣٩)، مغني اللبيب، ابن هشام (ص ٣٩٥-٣٩٧).

(٢). شرح التسهيل، ابن مالك (١/ ١٩٦).

الأصحِّ[1]، علمًا أنَّ الكوفيين أثبتوا مجيء ذا بمعنى الَّذي في غير (ماذا)، وهذا شاذٌّ عند البصريين[2].

أما الفرق بين الاستعمالين الأول والثَّاني ففي الأول: إذا قلت: ماذا صنعت؟، كانت (ما) مبتدأ، و(ذا) بمعنى الَّذي خبره،... وجوابه في الأفصح (خير) بالرفع حتَّى يطابق بين السُّؤال والجواب؛ لأنَّ الاستفهام حينئذ يكون بجملة اسمية. وفي الثَّاني: ماذا؟ بجملته في موضع نصب مفعولًا مقدمًا بـ(صنعت) ولا ضمير في (صنعت)، وكأنَّك قلت: أي شيء صنعت؟ وجواب هذا في الأفصح (خيرًا) بالنَّصب حتَّى يطابق بين السُّؤال والجواب؛ لأنَّ الاستفهام حينئذ يكون بجملة فعلية. ويظهر الفرق الثَّاني بينهما بالبدل، فعلى الاستعمال الأول رفع البدل؛ لأنَّه بدل من (ما) وهي في محل رفع، وفي الثَّاني بالنَّصب على البدلية من (ماذا)؛ لأنَّه في محل نصب بالمفعولية مقدمًا، فجوابُ الأول مرفوعٌ، وجواب الثَّاني منصوبٌ؛ لأنَّ الجواب بدلٌ من السُّؤال[3].

وممَّا تقدَّم فما ذكره سيبويه، وأجمع عليه النُّحاة والعلماء من بعده من وقوع (ذا) موقع الَّذي، وموقع كل واحد من فروعه المبنية عليها يمثل صورة من صور

---

(١). أوضح المسالك، ابن هشام (١/ ١٦٣-١٦٤)، تمهيد القواعد، ناظر الجيش (٢/ ٦٧١)، المقاصد النحوية، العيني (٤٥٦/١)، شرح الأشموني (١٤٥/١)، حاشية الصبان (١/ ٢٣١).

(٢). شرح المفصل، ابن يعيش (٢/ ٤٢٩).

(٣). شرح المفصل، ابن يعيش (٢/ ٣٨٦- ٣٨٧)، شرح التسهيل، ابن مالك (١/ ١٩٦-١٩٧) التذييل والتكميل، أبو حيان (٣/ ٤٤)، شرح ابن الناظم (ص ٦٢)، شرح الأشموني (١٤٥/١)، حاشية الصبان (١/ ٢٣١).

الإحلال لدى التَّحويليين، وقد أدَّت (ذا) وظيفة الاسم الموصول وحملت دلالته، فما بعده من الفعل والفاعل صلته، والعائد محذوف كما تقدم.

أمَّا مصطلح الإجراء الَّذي ذكره سيبويه في هذه المسألة فهو يقارب مفهوم عنصر الإحلال، ويلتقي معه في الدَّلالة على قوع شيء موقع شيء، فسيبويه في هذه المسألة عبَّر عن عنصر الإحلال بمصطلح الإجراء.

إنَّ بمعنى أجلْ

قال سيبويه في هذا باب آخر من أبواب إنَّ: "وأما قول العرب في الجواب إنَّه، فهو بمنزلة أجل. وإذا وصلت قلت: إنَّ يا فتى، وهي الَّتي بمنزلة أجل"(١).

قال الشَّاعر: [من مجزوء الكامل]

بَكَر العَوَاذلُ في الصَّبُو... حِ يَلُمْنَنِي وَأَلُومُهُنَّهْ

ويَقُلْنَ شيبٌ قد عَلا... كَ وقدْ كَبِرْتَ فقلتُ: إنَّه(٢)

(١). الكتاب، سيبويه (٣/ ١٥١)، انظر: الكتاب، سيبويه (٤/ ١٦٢)، الأصول، ابن السراج (١/ ٢٥٩)، شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (٣/ ٣٧٦)، شرح أبيات سيبويه، أبو محمد السيرافي (٢/ ٣٢٣).

(٢). الكتاب، سيبويه (٣/ ١٥١) لم ينسبه، المنتخب، كراع النمل (ص ٦٢٢) نسبه لعبد الله بن قيس الرقيات، وذكر يَبْتَدِرْ... نَ مَلَامَتِي مكان في الصبوح يلمنني، الأصول، ابن السراج (٢/ ٣٨٣) ذكر البيت الثاني فقط ولم ينسبه، إعراب القرآن، النحاس (٣/ ٣١) نسبه لابن قيس الرقيات، معاني القراءات، الازهري (٢/ ١٥١) ذكر البيت الثاني ونسبه لابن قيس الرقيات، اللمع، ابن جني (ص٤٣) لم ينسبه.

المعنى: يلمنني على اللهو والغزل، وألومهُنَّ على لومهنَّ لي، ويقلن لي: قد شبت وقد كبرت، فأقول: نعم. يريد أنَّه يأتي ما يأتي على علم فيه بأمر نفسه(١).

يتجلى الإحلال هنا بمجيء (إنَّ) بمنزلة (أجل)، فـ(إنَّ) هنا حلت محل (أجل)، وأدت وظيفتها في الجواب، وقد ذكر سيبويه شاهدين -قول العرب والشاهد الشِّعري- ويوضِّح الشَّاهدان مسألتين؛ المسألة الأولى: الإحلال؛ حيث نُزِّلت (إنَّ) فيهما منزلة (أجل) في الجواب، والمسألة الثانية: إلحاق هاء السَّكت الَّتي تبين الحركة..

قال ابن السَّرَّاج: "الحروف كلها لك أن تقف عليها على لفظها, فالصَّحيح فيها والمعتل سواء, وقد ألحق بعضهم الهاء في الوقف لبيان الحركة، فقال: إنَّهْ, يريدون (إنَّ) ومعناها (أَجَلْ)"(٢), وذكر شاهد سيبويه الشِّعري.

وقال أبو محمد السيرافي: ذكر سيبويه قبل هذا الموضع من الباب أنَّ الهاء التي تدخل لبيان الحركة في الوقف في غير الأشياء الَّتي حذف منها حروف المد واللين كقولهم: (ثمَّهْ) إذا وقفوا على الهاء لبيان حركة الميم، و (هَلمَّهْ) إذا وقفوا، ومثل ما ذكرنا... قول العرب: (إنَّهْ) في الوقف، وهذه (إنَّ) التي بمنزلة (أَجَلْ) في الجواب(٣).

---

(١). شرح أبيات سيبويه، أبو محمد السيرافي (٢/ ٣٢٤).

(٢). الأصول، ابن السراج (٢/ ٣٨٣)، ذكر يريدون (أنَّ) والصواب يريدون (إنَّ) فالمكسورة تأتي بمنزلة أجل.

(٣). شرح أبيات سيبويه، أبو محمد السيرافي (٢/ ٣٢٣).

قال ابن الوراق: "وأمَّا (إنَّ) الَّتي بمعنى (نعم) فإنَّما استعملت على هذا الوجه؛ لأنَّ (نعم) إيجاب واعتراف، و(إنَّ) تحقيق وإثبات، فلتضارعهما في المعنى حملت (إنَّ) على (نعم)[1].

ومن الآيات الَّتي تقع في هذا الباب وتعددت توجيهات النُّحاة والعلماء فيها قراءة المدنيين والكوفيين لقوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴿٦٣﴾ ﴾ ، [سورة طه: ٦٣][2]، وما يعنينا هنا من هذه التَّوجيهات المتعددة ما يخصُّ الإحلال وهو ما ذكره الزَّجَّاج بقوله: "والَّذي عندي – والله أعلم – وكنت عرضته على عالِمَيْنَا – محمد بن يزيد وعلى إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن زيد القاضي– فقبلاه وذكرا أنَّه أجود ما سمعاه في هذا وهو أنَّ (إنَّ) قد وقعت موقع (نعم)، وأنَّ اللام وقعت موقعها، وأنَّ المعنى هذان لهما ساحران"[3].

وذكر أبو جعفر النَّحَّاس أنَّ من التَّوجيهات الَّتي ذكرت لهذه القراءة أنَّ (إنَّ) بمعنى (نعم)، قال: "حكى الكسائي عن عاصم قال العرب: تأتي بـ(إنَّ) بمعنى (نعم)، وحكى سيبويه أنَّ (إنَّ) تأتي بمعنى (أجل). وإلى هذا القول كان محمد بن يزيد وإسماعيل بن إسحاق يذهبان. قال أبو جعفر: ورأيت أبا إسحاق

---

(١). علل النحو، ابن الوراق (ص ٤٥١).

(٢). هذه قراءة المدنيين والكوفيين وقد أجمع القراء على تشديد نون (إنّ) إلّا ابن كثير وحفصا عن عاصم فإنهما خفّفاها. انظر: إعراب القرآن، النحاس (٢/٣٠)، الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه (ص ٢٤٢).

(٣). معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣/ ٣٦٣)، الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه (ص٢٤٣)، معاني القراءات، الأزهري (٢/ ١٥١)، سر صناعة الإعراب، ابن جني (٢/ ٥٨)، حجة القراءات، ابن زنجلة (ص ٤٥٥).

وأبا الحسن علي بن سليمان يذهبان إليه"[١]. ثم ذكر أبو جعفر النَّحَّاس شواهد عدة على مجيء (إنَّ) بمعنى (نعم)، ثم قال: "فعلى هذا جائز أن يكون قول الله -عزّ وجلَّ-: "إِنَّ هذانِ لَساحِرانِ" بمعنى (نعم)"[٢].

ومن الشَّواهد على مجيء (إنَّ) بمعنى (نعم) قول الشَّاعر: [من الكامل]

قالوا: غَدَرْتَ فقلتُ: إنَّ ورُبَمَا... نالَ العُلَى وشَفَى الغَلِيلَ الغادِرُ[٣]

أي: نعم. قال ابن يعيش: "وقد جاءت (إنَّ) بمعنى (نعم) كثيرًا"[٤].

ومن الشَّواهد النَّثرية الَّتي أُحتُج بها على مجيء (إنَّ) بمعنى (نعم) قول عبد الله بن الزُّبير -رضي الله عنه- لابن الزَّبير الأسدي لما قال له: لعن الله ناقة حملتني إليك. فقال: إنَّ وراكبها. أراد: نعم، ولعن راكبها[٥]، ومما ذكر أيضا قولنا: إنِّ الحمد لله؛ فالعرب تجعل (إنَّ) في معنى (نعم) كأنه أراد: نعم الحمد لله، وذلك أنَّ خطباء الجاهلية كانت تفتتح في خطبتها بنعم[٦].

---

(١). إعراب القرآن، النحاس (٣/٣١)، انظر: شمس العلوم، نشوان الحميري (١/ ١٢٤).

(٢). إعراب القرآن، النحاس (٣/٣١)، انظر: شمس العلوم، نشوان الحميري (١/ ١٢٤).

(٣). إعراب القرآن، النحاس (٣/٣١)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني (١/ ٣٥٨) نسبه لمسعود الأسدي، التذكرة الحمدونية، ابن حمدون (٣/ ٣٧-٣٨) نسبه لمسعود بن عبد الله الأسدي، شمس العلوم، نشوان الحميري (١/ ١٢٤).

(٤). شرح المفصل، ابن يعيش (٢/ ٣٥٨).

(٥). غريب الحديث، ابن قتيبة (١/ ٥٣٧-٥٣٨)، الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه (ص٢٤٣)، شرح التسهيل، ابن مالك (٢/ ٣٢)، تمهيد القواعد، ناظر الجبش (٣/ ١٣٦٠).

(٦). إعراب القرآن، النحاس (٣/٣١)، شمس العلوم، نشوان الحميري (١/ ١٢٤).

والَّذي ذكره سيبويه من مجيء (إنَّ) بمنزلة (أجل) أو (نعم) في الجواب قال به جمهور العلماء ولا سيما المتقدمون وأخذوا به، وبعضهم زاد شواهد أخرى إضافة لما ذكر سيبويه، ومن هؤلاء العلماء الأخفش، والكسائي، والمبرِّد، وكراع النمل، والزَّجَّاج، والنَّحَّاس، وابن جنِّي في اللُّمع، والزَّمخشري، وابن يعيش، وغيرهم مما لا يتسع المقامة لذكره(١)، إلا أبا عبيدة، فقد ذكر أبو حيان والمرادي أنَّ أبا عبيدة أنكر أن تكون (إنَّ) بمعنى (نعم)، تكون المؤكدة والهاء اسمها، والخبر محذوف(٢).

ولقد جهدت في تخريج هذا الرأي -أنكر أبو عبيدة أن تكون (إنَّ) بمعنى (نعم)- الَّذي نصَّ على الإنكار، فلم أقف عليه في مجاز القرآن، ولم أقف على مقالة أبي عبيدة هذه على الرَّغم من كثرة المصادر الَّتي رجعت إليها، وجلّ المصادر الَّتي ذكرت رأي أبي عبيدة نقلت ما نصه "أَيْ: إِنَّه كان كما يقلن، قال أَبو عبيد: وهذا اختصار من كلام العرب يكتفى منه بالضَّمير؛ لأَنَّه قد علم معناه"(٣)، ولم تزد على ذلك، ولم تذكر أنَّ أبا عبيدة أنكر مجيء (إنَّ) بمعنى

(١). المنتخب من كلام العرب، كراع النمل (ص٦٢١-٦٢٢) ، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣/ ٣٦٣)، إعراب القرآن، النحاس (٣/ ٣١)، اللمع، ابن جني (ص ٤٢- ٤٣)، المفصل، الزمخشري (ص ٣٩٧)، شرح المفصل، ابن يعيش (٢/ ٣٥٨-٣٥٩).

(٢). ارتشاف الضرب، أبو حيان (٣/ ١٢٧١)، الجنى الداني، المرادي (ص ٣٩٨-٣٩٩).

(٣). الصحاح، الجوهري (٥/ ٢٠٧٣-٢٠٧٤)، مختار الصحاح، الرازي (ص ٢٤)، لسان العرب، ابن منظور (١٣/ ٣١).

(نعم)، فأبو عبيدة ذكر أنَّها في الشَّاهد المؤكدة، والهاء اسمها..ولكنه لم ينكر رأي سيبويه ولم يتطرق له.

وقال ابن عصفور معلقًا على قول ابن الزُّبير السَّابق: "وفي ذلك خلاف بين النَّحويين فمنهم من ذهب إلى أنها بمعنى (نعم)، كأنَّه قال: نعم وراكبها. ومنهم من ذهب إلى أن الاسم والخبر محذوفان لفهم المعنى، وهذا أولى عندي؛ لأنَّه قد تقرر أنَّها تنصب الاسم وترفع الخبر, ولم يستقر فيها أن تكون بمعنى (نعم)"(١).

أما ابن مالك فقد رجح مذهب سيبويه وانتصر له، فقال: أنكر بعض العلماء كون (إنَّ) بمعنى (نعم)، وزعم أنَّ (إنَّ) في قوله.."وقد كبرت فقلت: إنَّه" مؤكدة ناصبة للاسم رافعة للخبر، وجعل الهاء اسمها، والخبر محذوفًا... والَّذي زعم هذا القائل ممكن في البيت المذكور، فلو لم يوجد شاهد غيره لرجح قوله، ولكنَّ الشَّواهد على كون (إنَّ) بمعنى (نعم) مؤيدها ظاهر، ودافعها مكابر، فلزم الانقياد إليها، والاعتماد عليها. وذكر قول عبد الله بن الزُّبَيْر – رضي الله عنه– لابن الزَّبير الأسدي السابق، وذكر ثلاثة شواهد شعرية وجهها على مجيء (إنَّ) بمعنى (نعم)، ثم قال: ونبهت في هذا الباب على ورود (إنَّ) بمعنى (نعم) ليعلم بها، فتعامل بما تعامل (نعم) من عدم الاختصاص، وعدم الإعمال، وجواز الوقف عليها(٢).

---

(١). شرح جمل الزجاجي "الشرح الكبير"، ابن عصفور (١/ ٤٤٤).

(٢). شرح التسهيل، ابن مالك (٢/ ٣٢-٣٣)، تمهيد القواعد، ناظر الجيش (٣/ ١٣٥٩-١٣٦١).

بينما خالفه أبو حيان بقوله: مذهب سيبويه والأخفش أنَّ (إنَّ) ترادف (نعم)، فلا إعمال لها، واختاره ابن مالك، وزعم أنَّ الشواهد قاطعة بذلك من لسان العرب، وأنكر ذلك أبو عبيدة، وهو اختيار ابن عصفور، ثم قال أبو حيان: وما ذكروه لا ينهض أن يكون دليلًا على مرادفة (إنَّ) لـ(نعم) إذ يحتمل أن تكون هي العاملة، ثم ذكر شواهد ابن مالك جميعًا وجهها على (إنَّ) العاملة، وقال: وهذا المذهب أولى؛ لأنَّه قد تقرر فيها أنَّها تنصب الاسم وترفع الخبر, ولم يستقر فيها أن تكون بمعنى (نَعَمْ)[1].

وبناء على ما تقدَّم فسيبويه وجمهور العلماء ولا سيما المتقدمون يرون أنَّ (إنَّ) تأتي بمعنى (أجل) أو (نعم) في الجواب، أما أبو عبيدة فيرى أنها عاملة، ولم أقف على ما يثبت ما نسب لأبي عبيدة من إنكار مجيء (إن) بمعى (أجل) أو (نعم)، أما ابن عصفور فذكر الرأيين وأخذ بالرأي الثاني معللًا ذلك، وأرى أنَّ كلا الرأيين صحيح، ولكل رأي ما يعضده من أدلة، فبأي الرأيين أخذت أصبت، فاختلاف العلماء وتعدد التَّوجيهات يدلُّ على سعة اللُّغة العربية وقدرتها التعبيرية.

وما وجه به سيبويه من مجيء (إنَّ) بمعنى (أجل) يمثل صورة من صور الإحلال عند التَّحويلين؛ حيث حلَّت (إنَّ) محل (أجل/ نعم)، وأدت وظيفتها، وأعطت دلالتها ومعناها المتمثِّل في الإيجاب والإثبات كما في الشَّواهد السَّابقة،

(١). التذييل والتكميل، أبو حيان(٥/١٢٨- ١٣١)، ارتشاف الضرب، أبو حيان(٣/ ١٢٧١)، مغني اللبيب، ابن هشام (١/٥٦-٥٧).

والعلة في هذا الإحلال كما ذكر ابن الوراق هي المضارعة في المعنى؛ فـ(نعم) إيجاب واعتراف، و(إنَّ) تحقيق وإثبات، وما ذكره سيبويه من توجيه أولى عندي؛ لأنَّه يقوم على تقدير واحد، وهذا الإحلال قيده سيبويه بأن يقع في الجواب، أما إذا عددناها العاملة، فيلزم أن نقدر شيئين وأكثر؛ الاسم، والخبر، وما يتعلَّق بهما من متمِّمات.

إحلال المضاف إليه محل المضاف

قال سيبويه في باب أسماء القبائل والأحياء وما يضاف إلى الأب والأمّ: "أمَّا ما يضاف إلى الآباء والأمَّهات فنحو قولك: هذه بنو تميمٍ، وهذه بنو سلولٍ، ونحو ذلك. فإذا قلت: هذه تميمٌ، وهذه أسدٌ، وهذه سلولٌ، فإنَّما تريد ذلك المعنى، غير أنَّك إذا حذفت المضاف تخفيفًا، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة يوسف: ٨٢]، ويطؤهم الطَّريق، وإنَّما يريدون: أهل القرية، وأهل الطَّريق، وهذا في كلام العرب كثير، فلمَّا حذفت المضاف وقع عل المضاف إليه ما يقع على المضاف؛ لأنَّه صار في مكانه فجرى مجراه، وصرفت تميمًا وأسدًا؛ لأنَّك لم تجعل واحدًا منهما اسمًا للقبيلة؛ فصارا في الانصراف على حالهما قبل أن تحذف المضاف، ألا ترى أنَّك لو قلت: اسأل واسطًا كان في الانصراف على حاله إذا قلت: أهل واسطٍ، فأنت لم تغير ذلك المعنى وذلك التَّأليف، إلا أنَّك حذفت"(١).

(١). الكتاب، سيبويه (٣/ ٢٤٦-٢٤٧).

تحدَّث كثير من العلماء عن هذا الإحلال المتمثل في إقامة المضاف إليه مقام المضاف بعد حذفه، فلا يكاد كتاب من كتب اللُّغة والنَّحو يخلو من هذه المسألة[1]، وكلام سيبويه في هذا الباب يخصُّ ما يضاف إلى الأباء والأمَّهات من أسماء القبائل، فقولنا: هذه تميمٌ، وهذه أسدٌ، وهذه سلولٌ، يقصد بها: هذه بنو تميمٍ، وهذه بنو أسدٍ، وهذه بنو سلولٍ، فحذف المضاف وأحل المضاف إليه محله، فوقع على المضاف إليه ما يقع على المضاف؛ لأنَّه صار في مكانه فجرى مجراه، وصرفت تميمًا وأسدًا؛ لأنَّك لم تجعل واحدًا منهما اسما للقبيلة؛ فصارا في الانصراف على حالهما قبل أن تحذف المضاف، وهذا ما فسره أبو سعيد السيرافي، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، فجرى لفظه على ما كان، وهو مضاف إليه، فيقال: هذه تميمٌ وهؤلاء تميمٌ، ورأيت تميمًا، ومررت بتميمٍ، وأنت تريد هؤلاء بنو تميم، فتحذف المضاف وتقيم المضاف إليه مقامه في الإعراب، فإن كان المضاف إليه منصرفًا بقيته على صرفه وإن كان غير منصرف منعته الصرف[2].

---

(١). انظر: المقتضب، المبرد (٣/٢٣٠)، الأصول، ابن السراج (٢/ ٢٥٥)، تصحيح الفصيح، ابن درستويه (ص ٢٥٣)، شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (٣/ ١٧)، المسائل الحلبيات، أبو علي الفارسي (ص ١٨٧-١٨٨)، شرح الكافية الشافية، ابن مالك (٢/ ٩٦٨).

(٢). شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (٤/ ١٧)، ذكر أبو سعيد السيرافي أن آباء القبائل وأمهاتها إذا لم تضف إليها البنون، قد تأتي على ثلاثة أوجه وقد اقتصرت هنا على الوجه الأول؛ لأنه هو الذي يفسر قول سيبويه في المسألة المذكورة لمزيد من الفائدة انظر (٤/١٧-٢٢)، انظر أيضا: النكت في تفسير كتاب سيبويه، الشنتمري (٢/ ٤٦٤-٤٦٩).

وقد قصد بتميم وأسد وسلول أبناء القبيلة لذلك صرفه، ولو كان المقصود القبيلة لمنع الصَّرف للعلمية والتَّأنيث؛ لأنَّ القبيلة مؤنثة.

ومما يتَّصل بهذا الإحلال أيضا عند سيبويه؛ فكما حذفت المضاف تخفيفًا فيما يضاف إلى الأباء والأمهات من أسماء القبائل كذلك حذف في قوله عزَّ وجلَّ: "واسأل القرية"، ويطؤهم الطَّريق، وأنَّما يريدون: أهل القرية، وأهل الطَّريق، وهذا في كلام العرب كثير؛ أي: حذف المضاف وإقامة المضاف مقامه كثير.

وقد جعل ابن السَّرَّاج وأبو علي الفارسي هذا الحذف والإحلال من باب الاتِّساع، فقال ابن السَّرَّاج: "فأمَّا الاتِّساع في إقامة المضاف إليه مقام المضاف فنحو قوله: "واسأل القرية"، تريد: أهل القرية، وقول العرب: بنو فلانٍ يطؤهم الطَّريق, يريدون: أهل الطَّريق"(١). وقال أبو علي الفارسي: فأمَّا الَّذي فيه من الاتِّساع فإقامة المضاف إليه مقام المضاف في... قولهم: البُرُّ أرخص ما يكون قفيزان، والتَّقدير: أرخص أحواله بيع قفيزين، أو تسعير قفيزين، فأقيم المضاف إليه مقامه لكثرة ذلك في كلامهم والعلم بالمعنى(٢).

وجعله ابن درستويه من باب الإيجاز فقال: "من كلامهم أن يحذف المضاف إيجازًا، أو يقام المضاف إليه مقامه إذا كان مما لا يلبس، كما قال الله عز وجل: "واسأل القرية"، أي: أهل القرية، وكما تقول العرب: اجتمعت اليمامة،

(١). الأصول، ابن السراج (٢/ ٢٥٥).

(٢). المسائل الحلبيات، أبو علي الفارسي (ص ١٨٧-١٨٨).

يريدون: اجتمع أهل اليمامة، وذلك أنَّه قد علم أنَّ القرية لا تسأل، واليمامة لا تجتمع، وإنَّما الاجتماع والمسألة لأهلهما، فلم يلبس"[١].

وقال ابن يعيش في إيضاح الإحلال في الآية الكريمة: "قد أعربوا المضاف إليه بإعراب المضاف لوقوعه موقعه، ومباشرته العامل، نحو قوله تعالى: "واسأل القرية"، فالأصل: فاسأل أهل القرية، فالقرية مخفوضة كما ترى بإضافة الأهل إليها، فلمَّا حذف المضاف أقيم المضاف إليه مقامه، فباشره العامل، فانتصب انتصاب المفعول به، وإن لم يكن إيَّاه في الحقيقة،كذلك أعطوه حكمه في غير الإعراب من التَّأنيث والتَّذكير"[٢].

قال ابن مالك: [من الرجز]:

وَمَا يَلِي المُضَاف يَأْتِي خلفًا... عَنهُ فِي الاعْرَاب إِذا مَا حُذِفا[٣]

مما تقدَّم فقد أجمع النحاة على إحلال المضاف إليه محل المضاف ولا سيَّما في باب ما يضاف إلى الأب والأمِّ من أسماء القبائل والأحياء بعد حذفه لدليل لفظي أو معنوي، وإعطائه ما يستحقه من أحكام ووظائف كإعراب وتأنيث وتذكير، والغرض والفائدة من هذا الإحلال بيان مظهر من مظاهر الاتِّساع والإيجاز في اللُّغة، ممَّا يعكس ما تتمتَّع به اللُّغة من إمكانات في توليد أداءات جديدة، وما تتمتَّع به من فصاحة وبلاغة تتجلَّى في الإيجاز والحذف.

---

(١). تصحيح الفصيح، ابن درستويه (ص ٢٥٣).

(٢). شرح المفصل، ابن يعيش (٢/ ١٩٥).

(٣). شرح الكافية الشافية، ابن مالك (٢/ ٩٦٧)، متن ألفية ابن مالك، ضبطها وعلق عليها: عبد اللطيف الخطيب (ص ٢٧).

إحلال الواو مكان الباء في باب القسم

قال سيبويه: "والواو الَّتي تكون للقسم بمنزلة الباء، وذلك قولك: واللهِ لا أفعل"(١).

قال أبو سعيد السَّيرافي: "ذلك أنَّ (واو) القسم لما كانت هي الخافضة مكان (الباء)، جاز أن تدخل عليها حروف العطف فتقول: واللهِ، ووالرَّحمنِ، ووالله ثمَّ واللهِ لأخرجَنَّ"(٢). وقال ابن الورَّاق: "والخفض يقع بالواو دون الباء، والدَّليل على ذلك أَنَّه يحسن أَن تدخل على واو العطف، كم تدخل على الباء، فتقول: ووالله لأَفعلَنَّ، كما تقول: وباللهِ، فدلَّ على أَنَّها بمنزلة الباء"(٣).

إنَّ أصل حروف القسم الباء(٤)، أمَّا واو القسم فحرف يجر الظَّاهر دون المضمر، وهو فرع الباء(٥)، لذا يتجلَّى الإحلال عند سيبويه هنا في إحلال حرف الواو مكان حرف الباء، فـ(الواو) عنصر تحويلي في البنية السَّطحية يوازي العنصر (باء القسم) في البنية العميقة، حيث يوازيه في الموضع والعمل، فيقع قبل المقسَم به، ويعمل الخفض كالباء. ووضح أبو البركات الأنباري هذا الإحلال فذكر أنَّ واو القسم..لما قامت مقام الباء عملت عملها(٦).

---

(١). الكتاب، سيبويه (٤/ ٢١٧)، انظر: شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (٥/ ٩٣).

(٢). شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (٣/ ٢٣٠).

(٣). علل النحو، ابن الوراق (ص ٢١١).

(٤). المفصل، الزمخشري (ص٣٨٤)، الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور (ص٢٥٥)، الإيضاح في شرح المفصل، ابن الحاجب (١٥٤/٢).

(٥). الجنى الداني، المرادي (ص ١٥٤).

(٦). الإنصاف، أبو البركات الأنباري (٤٨٩/٢).

وقد فسَّر جمهور النَّحويين هذه الإحلال من باب البدل أو الإبدال، فذهب المبرِّد، وابن السَّرَّاج، والزَّمخشري، وابن الورَّاق، وأبو البركات الأنباري في أحد رأييه، والعكبري، وابن عصفور، وكثير من النَّحويين إلى أن الواو بدل من الباء؛ لأنَّ مخرجهما من الشَّفة، ومعنى الباء قريب من معنى الواو؛ لأنَّ الواو للجمع، والباء للإلصاق، والإلصاق جمع في المعنى[1]. قال الزَّمخشري: و(واو) القسم مبدلة عن الباء الإلصاقية في أقسمت بالله، أبدلت عنها عند حذف الفعل،.. فالباء لأصالتها تدخل على المضمر والمظهر، فتقول: بالله، وبك لأفعلنَّ كذا، والواو لا تدخل إلا على المظهر لنقصانها عن الباء[2]. وقال العكبري: و(واو) القسم بدل من الباء؛ لأنَّهم أَرادوا التَّوسعة في أدوات القسم لكثرته في كلامهم، و(الواو) تشبه الباء من وجهين؛ أحدهما: أنَّ الباء للإلصاق والواو للجمع والمعنيان متقاربان، والثَّاني: أنَّهما جميعًا من الشَّفتين..ولكون الواو بدلًا لا تدخل على المضمر؛ لأنَّه بدل من المظهر فلم يجتمع بدلان[3].

بينما ذكر أبو البركات الأنباري وأبو الفداء أنَّها بدل من الباء، ثم ذكرا رأيًا آخر أنَّها عوض عن الباء، قال أبو البركات الأنباري: ألا ترى أنَّ واو القسم لما كانت عوضًا عن الباء لم يجز أن يجمع بينهما؛ فلا يقال: وبالله لأفعلنَّ،

---

(١). المقتضب، المبرد (٤٠/١)، الاصول، ابن السراج (١/ ٤٢٣)، علل النحو، ابن الوراق (ص ٢١١)، المفصل، الزمخشري (ص ٣٨٤)، الإنصاف، أبو البركات الأنباري (٤٩١/٢)، اللباب، العكبري (١/ ٣٧٥)، ، الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور (ص ٢٥٥).

(٢). المفصل، الزمخشري (ص ٣٨٤).

(٣). اللباب، العكبري (١/ ٣٧٥)، الكناش، أبو الفداء (٢/ ٨١).

وتجعلهما حرفَي قسم...لأنَّه لا يجوز أن يجمع بين العوض والمعوض[١]. وقال أبو الفداء: "أمّا الواو فلا تكون إلا عند حذف الجملة الأولى المقسم بها، فلا يقال: حلفت والله؛ لأنَّ الواو عوض عن الباء والفعل؛ لأنَّ الواو للجمع، والباء للإلصاق وما ألصق بالشَّيء فقد جامعه"[٢].

أمَّا أبو حيان فيرى أنَّ الواو أصل، أي: ليست بدلًا من الباء، قال أبو حيان: "تجر في القسم، وتدخل على كل مضارع ظاهر يحسن الحلف به، والواو أصل، وليست بدلًا من الباء في القسم، خلافًا لزاعمه، ولا يصرح بفعل القسم معها، خلافا لابن كيسان[٣]".

ومما تقدم فسواء قلنا بالبدل وهو قول كثير من النُّحاة وقد اعترض أبو حيان على هذا القول؛ لأنَّه يرى بأنَّها أصل، أو قلنا بالتَّعويض كما ذكر أبو البركات الأنباري وأبو الفداء، فالواو هاهنا في باب القسم بمنزلة الباء كما قال سيبويه، وهذا في النَّحو التَّحويلي نمط من أنماط الإحلال، حيث حلت الواو وهي العنصر (أ) محل الباء وهي العنصر (ب)، وأدت عملها ووظيفتها بجر الظَّاهر فقط، والقول الأقرب إلى التَّرجيح قول من قال بالتَّعويض، وهو في هذه المسألة مصطلح مرداف لعنصر الإحلال ومفهومه عند التَّحويليين.

وقد عبر سيبويه في هذه المسألة عن عملية الإحلال الَّتي حصلت بلفظة المنزلة، فقال: بمنزلة الباء، وقولنا بمنزلة يقارب معنى الإحلال في اللُّغة، ويقارب

(١). الإنصاف، أبو البركات الأنباري (١/٣١٤- ٣١٥).

(٢). الكناش، أبو الفداء (٢/ ٨١).

(٣). ارتشاف الضرب، أبو حيان (٤/ ١٧١٧).

معناه عند التَّحويليين ولا سيَّما في جانبه الأول، أمَّا الغرض والفائدة من هذه الإحلال فهي الاتِّساع في أدوات القسم لكثرته في كلامهم كما ذكر العكبري، وقد تقدَّم الحديث عن فوائد الاتِّساع فيما سبق من مسائل.

إحلال قدْ محل ربَّما

قال سيبويه: "وتكون قدْ بمنزلة ربما، وقال الشاعر الهذلي: [من البسيط]

قدْ أتْرُكُ القِرْنَ مُصْفَرًّا أنامِلُهُ... كأنَّ أثْوابَهُ مُجَّت بفِرْصادِ[1]

كأنَّه قال: ربما"[2]. قال أبو محمد السَّيرافي: الشَّاهد: (قد) بمنزلة (ربما)، يريد: ربما تركت القرن مقتولًا[3].

يرى سيبويه أن (قد) في هذا الشَّاهد بمنزلة (ربما)؛ والتَّقدير: ربما أتركُ..، ومن العلماء الَّذين نصوا على هذا الإحلال ووافقوا سيبويه فيما قال المبرِّد، وابن السَّرَّاج، والجوهري، وابن سيدة، وغيرهم[4].

---

(١). الكتاب، سيبويه (٤/٢٢٤)، شرح أبيات سيبويه، أبو محمد السيرافي (٢/ ٣١٧-٣١٨) نسبه لعبيد بن الأبرص، الصحاح، الجوهري (٢/ ٥٢٢) نسبه لعبيد ابن الأبرص، الشاهد في: ديوان عبيد بن الأبرص (ص ٥٦) ولم أجده في ديوان الهذليين؛ قال ابن منظور: قَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: الْبَيْتُ لِعَبِيدِ بْنِ الأَبرص، لسان العرب، ابن منظور (٣/ ٣٤٧).

(٢). الكتاب، سيبويه (٤/ ٢٢٤)، انظر: شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (٥/ ١٠٠)، شرح أبيات سيبويه، أبو محمد السيرافي (٢/ ٣١٨)،

(٣). شرح أبيات سيبويه، أبو محمد السيرافي (٢/ ٣١٨).

(٤). المقتضب، المبرد (١/ ٤٣)، الأصول، ابن السراج (٣/ ١٧٣)، الصحاح، الجوهري (٢/ ٥٢٢)، المخصص، ابن سيدة (٤/ ٢٣٢)، مختار الصحاح، الرازي (ص ٢٤٨).

وأكثر العلماء يرون مجيء (قد) بمنزلة (ربما)، ولكن الخلاف وقع بينهما في معناها، علمًا أنَّ سيبويه لم ينص على معنى محدد لها في هذا الشَّاهد، وقد فهم جماعة من النَّحويين أنَّها للتكثير، ومنهم الزَّمخشري، وأبو حيان، وابن هشام، وغيرهم...(١)

ومن الشَّواهد الَّتي ذكرت على مجيء (قد) بمنزلة (ربما) للدَّلالة على التَّكثير إضافة لشاهد سيبويه ما

ذكره الزَّمخشري قال: قال تعالى: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ ١٤٤﴾ [سورة البقرة: ١٤٤]، "قَدْ نَرى": ربما نرى، ومعناه: كثرة الرُّؤية كقوله وذكر الشَّطر الأول من شاهد سيبويه(٢).

وفهم بعضهم أنَّها للتَّقليل كابن مالك، حيث قال: وإذا دخلت (قد) على المضارع فهي ك(ربما) في التَّقليل والصَّرف إلى معنى المضي، وهذا ظاهر قول سيبويه.. فإطلاقه القول بأنَّها بمنزلة (ربما) تصريح بالتَّسوية بينهما في التَّقليل والصَّرف إلى المضي(٣).

---

(١). الكشاف، الزمخشري (١/ ٢٠١-٢٠٢)، التذييل والتكميل، أبو حيان (١/ ١٠٧)، مغني اللبيب، ابن هشام (ص ٢٣١).

(٢). الكشاف، الزمخشري (١/٢٠١-٢٠٢)، الجنى الداني، المرادي (ص٢٥٨)، مغني اللبيب، ابن هشام (ص٢٣١).

(٣). شرح التسهيل، ابن مالك (١/ ٢٩).

* انظر تفصيل الخلاف في هذه المسألة: خزانة الأدب، البغدادي (١١/ ٢٥٣-٢٥٦).

مما تقدَّم نرى إجماعًا على إحلال (قد) مكان (ربما)، وقد ترتَّب على هذا الإحلال توسُّع في الدَّلالة والمعنى؛ فبعضهم ذهب إلى أنَّ هذا الإحلال يومئ بالتَّكثير، وبعضهم يرى التَّقليل، وما ذكره كلُّ فريق في إثبات معنى التَّكثير أو التَّقليل لا مطعن فيه*.

الإحلال في باب الصِّيَّغ الصَّرفية ومعانيها

في معالجة سيبويه لباب معاني الصِّيَّغ الصَّرفية نجد أكثر من صورة من صور الاستغناء الَّتي ذكرت في الكتاب وهي تقارب إلى حد كبير عنصر الإحلال عند التَّحويلين؛ منها:

قال سيبويه: "وربما استغنى عن انفعل في هذا الباب فلم يستعمل، وذلك قولهم: طردته فذهب، ولا يقولون: فانطرد ولا فاطرد، يعني أنهم استغنوا عن لفظه بلفظ غيره إذ كان في معناه"(١).

وممن ذكر هذا الإحلال أو الاستغناء ابن قتيبة، وابن السَّرَّاج، وأبو سعيد السَّيرافي، وابن يعيش، وأبو الفداء، إذ ذكروا أنَّهم استغنوا عن انطرد أو انفعل بـ(ذهب)(٢). قال ابن السراج: وقالوا: "طردتُه فذَهبَ، استغنى به عن انطرد"(٣).

---

(١). الكتاب، سيبويه (٤/ ٦٦).

(٢). أدب الكاتب، ابن قتيبة (ص ٤٥٨)، الأصول، ابن السراج (٣/ ١٢٦)، شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (٤/ ٤٤٥)، المخصص، ابن سيدة (٤/ ٣٠٨)، شرح المفصل، ابن يعيش (٤/ ٤٤٠)، الكناش، أبو الفداء (٢/٦٩).

(٣). الأصول، ابن السراج (٣/ ١٢٦).

وقال أبو سعيد السيرافي: "وربما استغني عن انفعل في هذا الباب فلم يستعمل، وذلك قولهم: طردته فذهب، ولا يقولون: انطرد، ولا فاطرد "[١].

نلحظ هنا أنَّ مصطلح الاستغناء يرادف الإحلال؛ فذهب حلت محل انطرد، ومسوغ الإحلال أو الاستغناء عند سيبويه أنَّ ذهب تحمل معنى انطرد في هذا السِّياق خاصة، وليس بمطرد، قال ابن قتيبة: "قال سيبويه: وليس هذا مُطّرداً في كل شيء، تقول: طردته فذهب، ولا تقول: فانطرد ولا اطرد"[٢].

ممَّا تقدَّم فقد حلت ذهب وهي العنصر (أ)، محل انطرد (انفعل) وهي العنصر (ب)، ليس هذا فحسب بل أدت دلالتها ومعناها في هذا السِّياق؛ فدلت على معنى المطاوعة.

ومن صور الاستغناء والإحلال أيضا إحلال (أَفعل) محل (فَعَّلَ)، كما أنَّ (فعَّل) تحل محل (أفعل).

قال سيبويه: وقالوا: أسقيته في معنى سقَّيته، فدخلت على (فعَّلْت)، كما تدخل (فعَّلْت) عليها، يعني في (فرَّحت)، ونحوها[٣].

قال ابن قتيبة: "وقد تدخل (أَفْعَلْتُ) عليها – يعني على (فَعَّلْتُ) – في هذا المعنى؛ لأنَّهما يشتركان، كما دخلت (فَعَّلْتُ) عليها، إلا أنَّ ذلك قليل، قالوا: سقَّيتهُ وأَسْقَيْتُه، قلت له: سَقْيًا"[٤].

---

(١). شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (٤/ ٤٤٥)، المخصص، ابن سيدة (٤/ ٣٠٨).

(٢). أدب الكاتب، ابن قتيبة (ص ٤٥٨).

(٣). الكتاب، سيبويه (٤/ ٥٨)، النكت في تفسير كتاب سيبويه، الشنتمري (٣/ ١٧٢).

(٤). أدب الكاتب، ابن قتيبة (ص ٤٦٢).

قال أبو محمد السيرافي:.. أسقيته في معنى سقَّيته..، يريد أنَّه استعمل (أفعلت) في موضع (فعَّلت) إذا أردت أن تقول للإنسان: سقاك اللهَ ورعاك[١].

وقال الجوهري: سَقَّيْتُهُ.. إذا قلت له سَقاكَ الله، وكذلك أَسْقَيْتُهُ[٢].

وقال الرَّضي: "وقد جاء (أَفْعَلَ) بمعنى الدُّعاء، نحو: أَسْقَيْتُه؛ أي: دعوت له بالسُّقْيا، والأكثر في باب الدعاء (فَعَّل)، نحو: جَدَّعَه وعَقَّرَه: أي قال: جدَّعه الله، وعقَّره، وَ(أَفْعَلَ) داخل عليه في هذا المعنى"[٣].

وقد استشهد سيبويه بقول ذي الرُّمَّة على مجيء أسقيته في معنى سقيته، قال ذو الرُّمَّة: [من الطَّويل]

وَقَفْتُ عَلَى رَبْعٍ لِمَيَّةَ نَاقَتِي... فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وأُخَاطِبُهْ

وأُسْقِيهِ حَتَّى كادَ مِمَّا أُبِثُّه... تُكَلِّمُني أَحْجارُهُ ومَلاعِبُهْ[٤]

وأسقيه؛ أي: أدعو له بالسُّقيا[٥]، فالشَّاهد مجيء (أسقي) بمعنى (سقَّى)، لأنَّهما يشتركان في معنى الدُّعاء.

---

(١). شرح أبيات سيبويه، أبو محمد السيرافي (٢/ ٣١٤).

(٢). الصحاح، الجوهري (٦/ ٢٣٨٠)، لسان العرب، ابن منظور (١٤/ ٣٩١).

(٣). شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين (١/ ٩١-٩٢).

(٤). ديوان ذي الرمة بشرح الخطيب التبريزي (ص ٢٨٧) الكتاب، سيبويه (٤/ ٥٨-٥٩)، شرح أبيات سيبويه، أبو محمد السيرافي (٢/ ٣١٤)، النكت في تفسير كتاب سيبويه، الشنتمري (٣/ ١٧٢)، شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين (١/ ٩١-٩٢) نسبوه لذي الرمة.

(٥). الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، البطليوسي (٣/ ٢٨٩)، الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور (ص١٢٨).

فالإحلال هنا يتجلَّى في مجيء أسقيته موضع سقَّيته، أمَّا الغرض والدَّلالة المستفادة من هذا الإحلال فهي التَّعبير عن معنى الدُّعاء له، فصيغة (أَفْعَلَ) هنا جاءت موضع صيغة (فعَّل)، وهي الأكثر في باب الدُّعاء.

ويتصل بهذا صورة ثالثة دالة على الإحلال ذكرها سيبويه في النَّص السَّابق؛ فكما أنَّ صيغة أفعل (أسقى) حلت محل صيغة فعَّل (سقَّى)؛ فكذلك صيغة فعَّل تدخل على أفعل وتحل محلها، قال سيبويه: "وقد يجيء الشَّيء على (فعَّلت) فيشرَك (أفعلت)، كما* أنهما قد يشتركان في غير هذا؛ وذلك قولك: فَرِحَ وفرَّحته، وإن شئت قلت أفرحته؛ وغَرِمَ وغرَّمته، وأغرمته إن شئت؛ كما تقول: فزَّعته وأفزعته..وتقول: مَلُحَ وملَّحته؛ وسمعنا من العرب من يقول: أملحته، كما تقول: أفزعته... ومثل أفرحت وفرَّحت: أنزلت ونزَّلت، وكثَّرهم وأكثرهم، وقلَّلهم وأقلهم"(١).

قال ابن السَّرَّاج: "وسَقَّيتهُ، قلتَ لَهُ: حَيَّاكَ اللهُ وسَقاك، وقالوا: أَسقيتهُ في معنى سَقَّيْتُهُ؛ ودَخلَ (أَفعل) علَى (فَعَّلَ) كدخول (فَعَّلَ) عليه"(٢).

قال أبو سعيد السيرافي في إيضاح قول سيبويه وفي تجلية هذا الإحلال المتبادل بين الصيغتين: "يريد أنَّ الباب في نقل الفعل وتغييره (أفعلت)، وقد استعملوا فيه (فعَّلت)، كفرَّحت وفزَّعت... والباب في الدُّعاء والتَّسمية أو فيما يدعى به له أو عليه (فعَّلت)، كقولك: جدَّعته وعقَّرته، أي قلت له: جدعك

(١). الكتاب، سيبويه (٤/ ٥٥-٥٦).

*في الكتاب (كها) والصواب ما أثبت، انظر: شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (٤/ ٤٣٥)..

(٢). الأصول، ابن السراج (١٢٦/٣).

الله وعقرك، وقد أدخلوا عليه (أفعلت)، فقالوا: أسقيته في معنى سقَّيته؛ تعني به الدُّعاء له بالسُّقيا. فدخلت (أفعلت) على (فعَّلت)، كما تدخل (فعَّلت) عليها"[1].

إنَّ الإحلال فيما تقدم كما وضَّح أبو سعيد السَّيرافي يتجلَّى في أنَّ الباب في أداء معنى الدُّعاء أنْ يكون بصيغة (فعَّل)، وقد تحل صيغة (أفعل) موضع (فعَّل) في أداء معنى الدُّعاء؛ كما في (سقَّيته وأسقيته)، حيث دخلَتْ (أفْعَلْت) على (فعَّلْت) في أداء معنى الدُّعاء، وحلت محلها، والباب في نقل الفعل أو تغييره أو ما يطلق عليه التَّعدية أن يكون بصيغة (أفعل)، وقد تحل صيغة (فعَّل) لتعدية الفعل موضع (أفعل) ؛ كما قالوا: فرَّح وفزَّع... والأصل فيهما أفرح وأفزع... فصيغة (فعَّل) الأكثر فيها الدُّعاء أو بابها الدُّعاء، وصيغة (أفعل) بابها التَّعدية، ومعنى الإحلال فيهما أنَّ كلَّ صيغة منهما قد تحلُّ مكان الأخرى للدَّلالة على معنى الدُّعاء كما في الصِّيغة الأولى، أو الدَّلالة على التَّعدية كما في الصِّيغة الثَّانية.

(١). شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (٤/ ٤٣٨)، المخصص، ابن سيدة (٤/ ٣٠٤).

الخاتمة:

الحمد لله الَّذي بفضلِهِ ومنّهِ وإحسانِهِ أنجزت هذه الدِّراسة، وقد بثثتُ فيها النَّتائج الَّتي توصلتُ إليها، أجمل أهمها بما يأتي:

- كتاب سيبويه زاخر وحافل بانتشار الأداءات والتَّراكيب والمسائل الَّتي تصنَّف تحت عنصر الإحلال عند التَّحويلين، علما أنَّ سيبويه لم يستعمل لفظة الإحلال في كتابه، بل استعمل ألفاظًا ومصطلحات أخرى تقارب عنصر الإحلال، ولا أبالغ إذا قلت: إنَّ سيبويه هو أصل، وتأثَّر به تشومسكي، والقضية لا تعدو تعدد المصطلحات لا غير.
- ذكر سيبويه في الكتاب ألفاظًا وتراكيب عدة تدلُّ على عنصر الإحلال وتقاربه في الدَّلالة والمفهوم، منها: بمنزلة كذا، وهذا التَّعبير (بمنزلة) له حضور واسع في الكتاب، حيث وقفت على ما يزيد على خمسين موضعًا استعمل فيها هذا التَّعبير بمعنى يقارب الإحلال، فقول سيبويه بمنزلة كذا في مواضع كثيرة من الكتاب يراد ويقصد به الإحلال من وجهة نظر التَّحويليين. ومجرى كذا، أو يجري مجرى، أو ما أجري مجرى، حيث استعمل سيبويه هذا التَّعبير وما اشتق منه بكثرة، فقد وقفت على ما يزيد على عشرة مواضع في مسائل وأبواب مختلفة من الكتاب دلَّ فيها على الإحلال. ومعنى كذا، وفي موضع كذا، وتقوم مقامها أو مقام كذا، ويقع على كذا، وبدل من..، ومكان كذا، جاءت كذلك مقاربة للإحلال في بعض المواضع الَّتي استعملت فيها..، وقوله: استغنوا عن لفظه بلفظ غيره إذ كان في معناه، هذا التَّعبير يقارب المفهوم الَّذي ذكره تشومسكي للإحلال.

- تعددت الصُّور الَّتي يمكن أن تصنَّف تحت عنصر الإحلال في الكتاب، كإحلال الاسم مكان الاسم, وإحلال الفعل مكان الفعل، وإحلال الاسم مكان الفعل، وإحلال الفعل مكان الحرف، وإحلال الحرف مكان الحرف، وإحلال الحرف مكان الفعل، وهناك إحلال تركيب مكان مفردات، وإحلال مفردات مكان تركيب.
- استحضر سيبويه في ذهنه –ولم يكن غائبًا عن فكره– وجود بنيتين؛ سطحية وعميقة، وهما فكرتان أساسيتان في نظرية تشومسكي؛ فعندما تكلَّم سيبويه في الباب المصادر النَّائبة عن أفعالها صرح بوجود بنيتين، بنية سطحية منطوقة حلَّ المصدر فيها محل الفعل، وأدَّى وظيفته المتمثِّلة بالدُّعاء للمذكور له أو عليه، وسمِّيت فيما بعد مصادر نائبة عن أفعالها...، وبنية عميقة لا يتكلَّم بها، توضح عملية الإحلال الَّتي حصلت وتفسِّر البنية السَّطحية، وقد بقي أثر هذا الإحلال أو أثر البنية العميقة المتمثِّل بنصب المصدر.
- ما عالجه سيبويه من صور الإحلال يدلُّ على عمق التَّفكير النَّحوي عنده، وعند النُّحاة من بعده، فهو يعتمد على البنية العميقة في تحليل البنية السَّطحية وتوجيهها؛ أي: مبدأ التَّأويل والتَّقدير، كذلك يوجد علاقة وثيقة بين الإحلال والحذف، فما تناوله سيبويه من مسائل يعتمد على أربع ركائز؛ الإحلال، والبنية العميقة والبنية السَّطحية، والحذف، والاتِّساع، وهذه عناصر أساسية في نظرية تشومسكي، بل هي جوهر النَّظرية التَّوليدية التَّحويلية.

- ما عالجه سيبويه من مسائل تحت الإحلال لم يكن مطلقًا وغير مضبوط، بل جعله سيبويه مقيدًا بضوابط وقواعد دقيقة، فلا تحلُّ المشتقات والأوصاف محل الفعل ولا تعمل عمله إلا بشروط، ولا تقع (إن) بمعنى (نعم) إلا في حالات خاصة...
- جعل سيبويه للإحلال دورًا في قياس الأحكام، وله دور في التَّوجيه والتَّقعيد؛ فكما أنَّ الاسم المنصوب في باب التَّحذير بدل من اللَّفظ بالفعل، فكذلك في باب المصادر النائبة عن أفعالها.
- تجلَّى من خلال معالجة المسائل أهمية الاتِّساع المتمثِّل باستخدام أداءات لغوية موضع أخرى، ولا شك أن هذا الاتِّساع في الاستعمال مظهر من مظاهر فصاحة اللُّغة وبلاغته، دالٌّ على المرونة في التَّعبير والأداء، وهذا يعطي المتكلِّم القدرة على التَّفنُّن والتَّنويع في أداء المعنى المطلوب بألفاظ وعبارات متنوعة، ويسهم في فهم الأداءات والتَّراكيب واستنباط معانيها، وله درو بارز في تحديد الدِّلالة وتوضيحها، وتفسير الوظيفة النَّحوية. وهذا المظهر يوافق مبدأ الكفاية عند تشومسكي.
- ذكر ابن فارس مصطلح التَّعويض، وليس بسابق إلى هذا المصطلح، ولكنَّ ما يسجل له أنَّ المفهوم الَّذي وضعه للتَّعويض هو عينه المفهوم الَّذي وضع للإحلال في النَّظرية التَّوليدية التَّحويلية، وما عالجه من مسائل تحته تعدُّ من جوهر الإحلال؛ أي: أنَّ ابن فارس سابق ومتقدِّم لما جاءت به نظرية تشومسكي، فقد تقدَّم أن بعض الباحثين ترجم مصطلح الإحلال

(Replacement) بالتَّعويض، فالمصطلح والمفهوم عينه ذكره ابن فارس إضافة لما عالجه من مسائل موضِّحة له.

- في الختام لا يستبعد أن يكون تشومسكي قد اطَّلع على الكتاب، وحاول محاكاة ما جاء فيه، وتأثَّر به سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، علما أنَّ تشومسكي قد صرَّح باطلاعه على علوم العربيَّة ولا سيَّما النَّحو.

ثبت المصادر والمراجع:

- إبداعية تحويل الجملة العربية دراسة في التوليد والتحويل في سورة يوسف. فارح، سلوى / ربيعي، وبية. رسالة ماستر، جامعة العربي التبسي/ تبسة، الجزائر، ٢٠١٧م.
- الاتجاه التوليدي في النحو العربي الحديث – دراسة في فكر خليل أحمد عمايرة من خلال كتاب "في نحو اللغة وتراكيبها". بوبكر، زكموط. رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح/ ورقلة، الجزائر، ٢٠١٢م.
- الاتجاهات النحوية لدى القدماء في ضوء المناهج المعاصرة. عمايرة، حليمة.ط١، الأردن،دار وائل، ٢٠٠٦م.
- أدب الكاتب (أو) أدب الكتّاب. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، (ت: ٢٧٦هـ). تحقيق: محمد الدالي. (د.ط)، (د.م)، مؤسسة الرسالة، (د.ت).
- ارتشاف الضرب من لسان العرب. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي ، (ت: ٧٤٥هـ). تحقيق: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب. ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٨م.
- أسرار العربية. أبو البركات الأنباري، كمال الدين، (ت: ٥٧٧هـ). تحقيق: محمد بهجة البيطار. (د.ط)، دمشق، مطبوعات المجمع العلمي العربي، (د.ت).
- الأشباه والنظائر في النحو. السُّيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت:٩١١هـ). (د.ت). (د.ط)، بيروت–لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.
- أصول تراثية في اللسانيات الحديثة. حسام الدين، كريم زكي. ط١، القاهرة، دار الرشاد، ٢٠٠١م.
- الأصول في النحو. ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل، (ت: ٣١٦هـ). تحقيق: عبد الحسين الفتلي. ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م.
- أصول النظرية التوليدية في التراث النحوي القديم من خلال كتاب لمع الأدلة لابن الأنباري. حياة، حدو. رسالة ماستر، جامعة محمد خيضر– بسكرة، الجزائر، ٢٠١٧م.
- إعراب القرآن. النحاس، أبو جعفر،(ت: ٣٣٨هـ). تحقيق: زهير غازي. ط٣، بيروت، علم الكتب، ١٩٨٨م.

- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب. البَطَلْيَوسي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن السِّيد، (ت: ٥٢١هـ). تحقيق: مصطفى السقا وحامد عبد المجيد. (د.ط)، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٦م.
- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية "الجملة البسيطة". زكريا، ميشال. ط٢، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٦م.
- أمالي ابن الشجري. ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد، (ت: ٥٤٢هـ). ت: محمود محمد الطناحي. ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، ١٩٩٢م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين. أبو البركات الأنباري، كمال الدين، (ت:٥٧٧هـ). ط١، (د.م)، المكتبة العصرية، ٢٠٠٣م.
- أنماط التحويل في الجملة الفعلية دراسة تطبيقية في القرآن الكريم سورة آل عمران أنموذجا. النعيمي، هبة موفق عبد الحميد. رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠٠٩م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين الأنصاري، (ت: ٧٦١هـ). تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. (د.ط)، صيدا – بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠١م.
- الإيضاح في شرح المفصل. ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن عمر، (ت: ٦٤٦هـ). تحقيق: موسى بناي العليلي. (د.ط)، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٨٣م.
- البديع في علم العربية. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، (ت: ٦٠٦هـ). تحقيق ودراسة: فتحي أحمد علي الدين. ط١، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، ١٤٢٠هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس. الزَّبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني، (١٢٠٥هـ). تحقيق: مجموعة محققين. (د.ط)، (د.م)، دار الهداية، (د.ت).
- التحويل في النحو العربي"مفهومه–أنواعه–صوره". بو معزة، رابح. ط١،الأردن، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٨م.
- تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد. ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين الأنصاري، (ت: ٧٦١هـ). تحقيق: عباس مصطفى الصالحي. ط١،(د.م)، دار الكتاب العربي، ١٩٨٦م.

- التراكيب النحوية بين الأصلية والفرعية في كتاب سيبويه في ضوء النظرية التوليدية التحويلية. الهنداوي، مجدي حسيني. رسالة ماجستير، جامعة طنطا، ٢٠١٤م.
- التذكرة الحمدونية. ابن حمدون، أبو المعالي بهاء الدين،(ت: ٥٦٢هـ).(د.ت). ط١، بيروت،دار صادر، ١٤١٧هـ.
- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، (ت: ٧٤٥هـ). تحقيق: حسن هنداوي. ط١، دمشق، دار القلم(من المجلد ١-٥)، ٢٠٠٠م. ط١، المملكة العربية السعودية-الرياض، دار كنوز إشبيليا (باقي الأجزاء من ٦-١١)، ٢٠٠٥م.
- تصحيح الفصيح وشرحه. ابن درستويه، أَبُو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد، (ت: ٣٤٧هـ). تحقيق: محمد بدوي المختون. (د.ط)، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٩٨م.
- التعليقة على كتاب سيبويه. أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، (ت: ٣٧٧هـ). تحقيق: عوض بن حمد القوزي، ط١، القاهرة، مطبعة الأمانة، ١٩٩٠م.
- تفسير البحر المحيط. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، (ت: ٧٤٥هـ). تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون. ط١، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م.
- التفكير اللغوي بين القديم والجديد. بشر، كمال. (د.ط)، القاهرة، دار غريب، ٢٠٠٥م.
- التمام في تفسير أشعار هذيل. ابن جني، أبو الفتح عثمان، (ت: ٣٩٢هـ). تحقيق: أحمد ناجي القيسي، وخديجة عبد الرازق الحديثي، وأحمد مطلوب. مراجعة: مصطفى جواد. ط١، بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٢م.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك. المرادي: الحسن بن قاسم، (ت:٧٤٩هـ). تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، ط١، القاهرة: دار الفكر العربي ، ٢٠٠١م.
- تهذيب اللغة. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، (ت: ٣٧٠هـ). تحقيق: عبد السلام محمد هارون ومحمد علي النجار، وآخرون. (د.ط)، (د.م)، الدار المصرية للتأليف والنشر، (د.ت).
- جامع البيان في تأويل القرآن، تفسير الطبري. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط١، (د.م)، مؤسسة الرسالة،٢٠٠٠م.

- الجامع لأحكام القرآن "تفسير القرطبي". القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد، (ت: ٦٧١هـ). تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م.
- الجملة العربية بين القدامى والمحدثين.جزيري، حسين. رسالة ماستر، جامعة أبو بكر بلقايد، الجزائر، ٢٠١٧م.
- الجملة العربية بين النحو التوليدي التحويلي والنحو الوظيفي "مقاربة لسانية". عبود، فاكية/ حجام، نسيبة. رسالة ماستر، جامعة العربي بن مهيدي– أم البواقي، ٢٠١٨م.
- الجملة في القرآن الكريم "صورها وتوجيهها البياني". بومعزة، رابح. (د.ط)، سوريا، دار رسلان، ٢٠٠٨م.
- الجنى الداني في حروف المعاني. المرادي، الحسن بن قاسم، (ت:٧٤٩هـ). تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل. ط١، بيروت لبنان: الكتب العلمية ، ١٩٩٢م.
- الجهود اللسانية عند مازن الوعر. شتوح، عامر. رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح/ ورقلة، الجزائر، ٢٠١٤م.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. الصبان، محمد بن علي ، (ت: ١٢٠٦هـ). ضبطه وصححه وخرج شواهده: إبراهيم شمس الدين. ط١، بيروت–لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.
- الحجة في القراءات السبع. ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، (ت: ٣٧٠هـ). تحقيق: عبد العال سالم مكرم. ط٤، بيروت، دار الشروق، ١٤٠١هـ.
- حجة القراءات. ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد، (ت: حوالي ٤٠٣هـ). محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني. ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م.
- حول لسانيات الجملة: آراء ونظريات نعوم تشومسكي. نسيم، مريج/ وفريد، مكدود. رسالة ماستر، جامعة عبد الرحمان ميرة – بجاية، ٢٠١٧م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. البغدادي، عبد القادر بن عمر، (ت: ١٠٩٣هـ). تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. ط٤، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م.
- الخصائص. ابن جني، أبو الفتح عثمان، (ت: ٣٩٢هـ). تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، (د.ت).

- ديوان امرِئ القيس. (ت: ٥٤٥ م). اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ٢٠٠٤م.
- ديوان ذي الرمة بشرح الخطيب التبريزي. مجيد طراد. ط٢، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٦م.
- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، (ت: ٤١هـ). اعتنى به: حمدو طمّاس. ط١، (د.م)، دار المعرفة، ٢٠٠٤م.
- ديوان عبيد بن الأبرص. شرح: أشرف أحمد عدرة. ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٤م.
- ديوان النابغة الذبياني. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط٢، القاهرة، دار المعارف، (د.ت).
- ديوان الهذليين. تحقيق: محمود أبو الوفا. (د.ط)، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥م، (نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب في السّنوات ٤٥/ ٤٨/ ١٩٥٠م).
- سر صناعة الإعراب. ابن جني، أبو الفتح عثمان، (ت: ٣٩٢هـ). تحقيق: حسن هنداوي. ط٢، دمشق: دار القلم، ١٩٩٣م.
- شرح أبيات سيبويه. أبو محمد السِّيرافي، يوسف بن أبي سعيد،(ت:٣٨٥هـ). تحقيق:محمد علي الريح هاشم.راجعه: طه عبد الرءوف سعد. (د.ط)، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٤م.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. الأشموني، أبو الحسن نور الدين علي، (ت: ٩٠٠هـ). (د.ت). ط١، بيروت– لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله، (ت: ٧٦٩هـ). تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. ط٢٠، القاهرة، دار التراث، دار مصر للطباعة: سعيد جودة السحار وشركاه، ١٩٨٠ م.
- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك. ابن الناظم، أبو عبد الله بدر الدين محمد، (ت: ٦٨٦هـ). تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط١، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠م.

- شرح التسهيل "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد". ابن مالك، أبو عبد الله جمال الدين الأندلسي،(ت: ٦٧٢هـ). تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون. ط١، (د.م)، دار هجر، ١٩٩٠م.
- شرح التسهيل المسمى «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد». ناظر الجيش، محب الدين محمد بن يوسف، (ت: ٧٧٨ هـ). دراسة وتحقيق: علي محمد فاخر وآخرون، القاهرة – جمهورية مصر العربية، دار السلام، ١٤٢٨هـ.
- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح. الأزهري، خالد بن عبد الله، (ت: ٩٠٥هـ).ت: محمد باسل عيون السود.ط١،بيروت–لبنان، دار الكتب العلمية، منشورات علي محمد بيضون، ٢٠٠٠م.
- شرح جمل الزجاجي "الشرح الكبير". ابن عصفور، علي بن مؤمن الإشبيلي، (ت: ٦٦٩هـ). تحقيق: صاحب أبو جناح. (رفع عبد الرحمن النجدي). الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية.
- شرح ديوان علقمة بن الفحل، الأعلم الشنتمري. قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: حنا نصر الحتي. ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٣م.
- شرح شافية ابن الحاجب. رضي الدين، محمد بن الحسن الأستراباذي (ت: ٦٨٦هـ). تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد. (د.ط)، بيروت–لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٧٥م.
- شرح شذور الذهب من كلام العرب. ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين الأنصاري، (ت: ٦٧٢هـ). تحقيق: عبدالغني الدقر. ط١، دمشق–سوريا: الشركة المتحدة للتوزيع ، ١٩٨٤م.
- شرح الكافية الشافية. ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله، (ت: ٦٧٢هـ). تحقيق: عبد المنعم أحمد هريري. ط١، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، دار المأمون للتراث، ١٩٨٢م.
- شرح كتاب سيبويه. أبو سعيد السِّيرافي، الحسن بن عبد الله بن المرزبان، (ت: ٣٦٨هـ). تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، ط١، بيروت–لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م.

- شرح المفصل. ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، (ت: ٦٤٣هـ). قدم له ووضع هوامشه وفهارسه إميل بديع يعقوب. ط١، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. نشوان الحميري، ابن سعيد اليمني، (ت: ٥٧٣هـ). تحقيق: حسين بن عبد الله العمري وآخران. ط١، بيروت–لبنان: دار الفكر المعاصر، دمشق–سورية: دار الفكر، ١٩٩٩م.
- الصاحبي في فقه اللغة العربيّة ومسائلها، وسنن العرب في كلامها. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، (ت: ٣٩٥هـ). حقَّقه: عمر الطباع. ط١، بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٩٣م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، (ت:٣٩٣هـ). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.
- صور التحويل بالاستبدال في الجملة العربية –سورة البقرة أنموذجا–. غربي، عائشة. رسالة ماستر، جامعة الشهيد حمَّه لخضر – الوادي، ٢٠١٥م.
- ضرائر الشعر. ابن عصفور، علي بن مؤمن الإشبيلي، (ت: ٦٦٩هـ). تحقيق: السيد إبراهيم محمد. ط١، (د.م)، دار الأندلس، ١٩٨٠م.
- علل النحو. ابن الوراق، أبو الحسن محمد بن عبد الله بن العباس، (ت: ٣٨١هـ). تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش. ط١، الرياض–السعودية، مكتبة الرشد، ١٩٩٩م.
- علم اللغة التقابلي. ياقوت، أحمد سليمان. (د.ط)، (د.م،) دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م.
- غريب الحديث. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، (ت: ٢٧٦هـ). تحقيق: عبد الله الجبوري. ط١، بغداد، مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ.
- فقه اللغة وسر العربية. أبو منصور الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، (ت: ٤٢٩هـ). تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط١، (د.م)، إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م.
- قضايا ألسنية تطبيقية. زكريا، ميشال. ط١، بيروت–لبنان، دار العلم للملايين، ١٩٩٣م.
- قواعد التحويل في شعر عبد الله البردوني، نماذج مختارة " دراسة لسانية". طاهير، عبير / تيطيري، صافيه. رسالة ماستر، جامعة العربي بن مهيدي/ أم البواقي، الجزائر، ٢٠١٧م.

- الكتاب. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت: ١٨٠هـ). تحقيق: عبد السلام هارون. ط٣، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل. الزمخشري، جار الله أبو القاسم، (ت: ٥٣٨هـ). تحقيق: عادل أحمد وعلي معوَّض و فتحي حجازي. ط١، الرياض، مكتبة العبيكات، ١٩٩٨م.
- الكناش في فني النحو والصرف. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود، صاحب حماة، (ت: ٧٣٢ هـ). دراسة وتحقيق: رياض بن حسن الخوام. (د.ط)، بيروت–لبنان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م.
- اللامات. الزَّجَّاجي، أبو القاسم ، (ت: ٣٣٧هـ). تحقيق: مازن المبارك. ط٢، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٥م.
- اللباب في علل البناء والإعراب. العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين، (ت: ٦١٦هـ). ت: عبد الإله نبهان. ط١، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٥م.
- اللسانيات التوليدية "من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة". غلفان، مصطفى. ط١، الأردن– أربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م.
- اللسانية التوليدية والتحويلية. فاخوري، عادل. ط٢ بيروت–لبنان، دار الطليعة، ١٩٨٨م.
- لسان العرب. ابن منظور، جمال الدين، (ت: ٧١١هـ). ط٣، بيروت – لبنان: دار صادر، ١٤١٤هـ.
- اللمحة في شرح الملحة. ابن الصائغ، أبو عبد الله شمس الدين محمد ، (ت: ٧٢٠هـ)، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي. ط١، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ٢٠٠٤م.
- اللمع في العربية. ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي (ت: ٣٩٢هـ). تحقيق: فائز فارس. (د.ط)، الكويت، دار الكتب الثقافية، (د.ت).
- المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطَّيب المتنبّي. المهلبي، أبو العباس عز الدين أحمد الأزدي، (ت: ٦٤٤هـ). تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع. ط٢، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٣م.

- ما يجوز للشاعر في الضرورة. القزاز، أبو عبد الله محمد بن جعفر، (ت: ٤١٢هـ). حققه وقدم له وصنع فهارسه: رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي. (د.ط)، الكويت، دار العروبة / القاهرة، دار الفصحى، (د.ت).
- متن ألفية ابن مالك. ضبطها وعلق عليها: عبد اللطيف بن محمد الخطيب. ط١، الكويت، دار العروبة، ٢٠٠٦م.
- مجاز القرآن. أبو عبيدة، معمَّر بن المثنى التيمي، (ت: ٢١٠). عارضه بأصوله وعلق عليه: محمد فؤاد سزكين. (د.ط)، القاهرة، مكتبة الخانجي ، (د. ت).
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (ت: ٥٠٢هـ). (د.ت). ط١، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤٢٠هـ.
- محاضرات في اللسانيات. الشايب، فوزي. (د.ط)، عمان، وزارة الثقافة، ١٩٩٩م.
- محاضرات في اللسانيات. هويدي،خالد خليل/والطائي،نعمة دهش.(د.ط)،بغداد،دار الكتب والوثائق، ٢٠١٤م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ). تحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الفتاح إسماعيل شلبي. أعده للطبعة الثانية وقدم له: محمد بشير الإدلبي. ط٢، (د.م)، وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٩٩م.
- مختار الصحاح. الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، (ت: ٦٦٦هـ). تحقيق: يوسف الشيخ محمد. ط٥، بيروت – صيدا: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، ١٩٩٩م.
- المخصص. ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل، (ت: ٤٥٨هـ). تحقيق: خليل إبراهم جفال. ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦م.
- المدارس اللسانية المعاصرة. بوقرة، نعمان. القاهرة، الناشر مكتبة الآداب، ٢٠٠٣م.
- مدخل إلى اللسانيات. علي، محمد محمد يونس. ط١، بيروت،–لبنان، دار الكتب الجديدة المتحدة، ٢٠٠٤م.
- مدخل إلى المدارس اللسانية. شنوقة، السعيد. ط١، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٨م.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها. السُّيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، (ت: ٩١١هـ). تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخران. (د.ط)، صيدا ، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٨٦م.
- المسائل الحلبيات. أبو علي الفارسيّ، (ت: ٣٧٧ هـ). تحقيق: حسن هنداوي. ط١، دمشق، دار القلم، بيروت، دار المنارة، ١٩٨٧م.
- معاني القراءات. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي، (ت: ٣٧٠هـ). (د.ت). ط١، السعودية، مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، ١٩٩١م.
- معانى القرآن. الأخفش الأوسط، أبو الحسن المجاشعي، (ت: ٢١٥هـ). تحقيق: هدى محمود قراعة. ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٠م.
- معاني القرآن. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، (ت: ٢٠٧هـ). تحقيق: أحمد يوسف النجاتي/ محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي. ط٣، مصر، دار المصرية للتأليف والترجمة، (د.ت).
- معاني القرآن وإعرابه. الزَّجَّاج، أبو إسحاق إبراهيم بن سهل، (ت: ٣١١هـ). تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي. ط١، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٨م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين الأنصاري، (ت: ٧٦١هـ). تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. ط٣، صيدا– بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٣م.
- المفصل في صنعة الإعراب. الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، (ت: ٥٣٨هـ). تحقيق: علي أبو ملحم. ط١، بيروت، مكتبة الهلال، ١٩٩٣م.
- المقاصد النحوية. العيني، بدر الدين محمود بن أحمد ، (ت: ٨٥٥ هـ). تحقيق: علي محمد، وأحمد محمد السوداني، وعبد العزيز محمد. ط١، القاهرة – جمهورية مصر العربية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠١٠م.
- المقتضب. المبرِّد، أبو العباس، (ت: ٢٨٥هـ). تحقيق: محمد عبد الخالق. (د.ط)، بيروت، عالم الكتب، (د.ت).

- المقدمة الجزولية في النحو. الجزولي، أبو موسى عيسى بن عبد العزيز، (ت: ٦٠٧هـ). تحقيق: شعبان عبد الوهاب محمد، راجعه: حامد أحمد وفتحي محمد أحمد. (د.ط)، (د.م)، طبع ونشر: مطبعة أم القرى، (د.ت).
- الممتع الكبير في التصريف. ابن عصفور، علي بن مؤمن الإشبيلي، (ت: ٦٦٩هـ). (د.ت). ط١، لبنان، مكتبة لبنان، ١٩٩٦م.
- المنتخب من غريب كلام العرب. كراع النمل، أبو الحسن علي بن الحسن، (ت: بعد ٣٠٩هـ). تحقيق: محمد بن أحمد العمري. ط١، مكة المكرمة، جامعة أم القرى (معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ١٩٨٩م.
- نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية. الوعر، مازن. ط١، دمشق، دار طلاس، ١٩٨٧م.
- نظرية تشومسكي اللغوية. ليونز، جون. ترجمة: حلمي خليل. ط١، الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م.
- النظرية التحويلية التوليدية في الفكر اللساني العربي الحديث. فرخي، بدرة عمار علي. رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن، ٢٠٠٣م.
- النكت في تفسير كتاب سيبويه. الشنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان الأعلم، (ت: ٤٧٦هـ). دراسة وتحقيق: رشيد بلحبيب. (د.ط)، المملكة المغربية، ١٩٩٩م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. السُّيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، (ت:٩١١هـ). تحقيق: عبد الحميد هنداوي. (د.ط)، مصر، المكتبة التوفيقية، (د.ت).

البحوث:

- التوجيه اللساني للبنى المحولة بالاستبدال. بومعزة، رابح. مجلة الذاكرة، تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد: الحادي عشر، ٢٠١٨م.
- لقاء مع نوام تشومسكي. الوعر، مازن. مجلة اللسانيات، جامعة الجزائر، ع٦، ١٩٨٢م.
- النحو التوليدي والتحويلي. شريفة رحمي. بحث منشور على الشبكة العنكبوتية.
- النحو التوليدي التحويلي عند تشومسكي التطورات وعناصر التحويل. الرجوبي، محمد سالم. المجلة العملية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد ٢ ، العدد ٨، يونيو ٢٠١٧م.

- النظرية التوليدية التحويلية وتطبيقاتها في النحو العربي. المنصوري، أحمد المهدي/ الصالح، أسمهان. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد التاسع والعشرون (٢)، شباط ٢٠١٣م.

"تم بحمد الله"

الأصول الثلاثية المهملة في الجمهرة المستعملة في القاموس
-دراسة وصفية-

د. عزيزة عطية الله زاهر الشنبري
قسم اللغة والنحو والصرف– كلية اللغة العربية
جامعة أم القرى

الأصول الثلاثية المهملة في الجمهرة المستعملة في القاموس
ـدراسة وصفية ـ

د. عزيزة عطية الله زاهر الشنبري

قسم اللغة والنحو والصرف – كلية اللغة العربية
جامعة أم القرى

تاريخ تقديم البحث: ١/ ١/ ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ١٤/ ٤/ ١٤٤٢ هـ

ملخص الدراسة:

موضوع البحث: الأصول الثلاثية المهملة في الجمهرة، المستعملة في القاموس _دراسة وصفية_.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى توضيح أنواع المهمل وأضربه، والكشف عن أسباب الإهمال، وإحصاء الأصول الثلاثية الصحيحة المهملة في معجم الجمهرة، وجاءت مستعملة في القاموس المحيط.

منهج البحث: اعتمد البحث على المنهج الوصفي.

أهم النتائج: كشفت الدراسة عن عدد الجذور المهملة في الجمهرة والمشتملة على أصوات محددة، ونسبة المستعمل في القاموس مما أهمله ابن دريد، وتوضيح الأساس في تتبع المهمل والمستعمل في كلام العرب.

الكلمات المفتاحية: المهمل، المستعمل، الجمهرة، القاموس المحيط.

The Three principles that are neglected in "Al-Jamharah", but used in "Al-Qamoos"

Dr. Aziza Al shanbary
Arablc LIngulstlcs, Morphology and Syntax – College of Arabic Language
Umm Al-Qura University

Abstract:

This research aims to clarify the types and kinds of the neglected roots as well as revealing the reasons for neglect and listing the three sound fundamentals in Al-Jamharah Lexicon which have been used in Al-Qamous Al-Muheet

Research Methodology: The Research employed the Descriptive Approach

Significant Findings: The study revealed the numbers of neglects word roots in Al-Jamharah including specific sounds as well as the percent of the used roots which Ibn Duraid did not use, in addition to clarifying the principle for listing the neglected and the used in Arab tongue

key words: The Neglected – The Used – Al-Jamharah – Al-Qamous Al-Muheet

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

فتعد ظاهرة الجذور المهملة من الظواهر المهمة في اللغة، حيث ظهرت بشكل واضح في المعاجم اللغوية لا سيما معاجم التقليبات وعلى رأسها العين والجمهرة، إلا أنها لم تحظ بما حظي به نظراؤها من الاهتمام، لذلك جاءت هذه الدراسة ضمن الأبحاث التي تسلط الضوء على تلك الظاهرة من حيث المقصود بالمهمل وأنواعه، وعلى سبب الإهمال في اللغة، كما جاءت موضحة لمنهج ابن دريد في بيان المهمل، كاشفة عن الأصول المهملة في الجمهرة وجاءت مستعملة في القاموس.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

١- الكشف عن أسباب الإهمال.

٢- إحصاء الأصول الثلاثية الصحيحة المهملة في معجم الجمهرة والمكونة من أصوات (ب ،ت، ث، ج، ح، خ).

٣- التعرف على الأصول المهملة في الجمهرة والتي جاءت مستعملة في القاموس المحيط.

حدود البحث:

تتحدد مادة البحث في: الأصول الثلاثية المهملة في الجمهرة والتي جاءت مستعملة في القاموس، والتعريف بمعنى المهمل، وتوضيح سبب الإهمال، وأضرب المهمل وأنواعه، وما الأصول المهملة في الجمهرة و جاءت مستعملة في القاموس، والاقتصار على الجذور الثلاثية الصحيحة المكونة من (صوت الباء والتاء والثاء والجيم والحاء والخاء)، فكان الاقتصار على الثلاثي؛ لأن تتبع الجذور الرباعية والخماسية أمر ثقيل وفيه إطالة قد لا تتناسب وطبيعة هذه الأبحاث[1]، كما كان الاقتصار على الأصول الصحيحة لكثرة التغيرات التي تطرأ على المعتل ، وقد احتاج هذا البحث وقتا وجهدًا من حيث تتبع الجذر الثلاثي الواحد وصوره الستة لكافة كلمات اللغة المشتملة على الأصوات المذكورة، ثم تقسيم الجذور المستعملة في القاموس- وهي مهملة في الجمهرة- إلى حقول دلالية تقريبية؛ حيث من الممكن أن يشترك الأصل الواحد في أكثر من حقل؛ لتعدد الاشتقاقات من الجذور، ثم وضعها في الحقل المتضمن أول معنى ذكره الفيروز آبادي.

---

(١) قال الخليل: "اعلم أن الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين نحو: قد، دق، شد، دش والكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجه، وتسمى مسدوسة وهي نحو: ضرب ضبر، برض بضر، رضب ربض، والكلمة الرباعية تتصرف على أربعة وعشرين وجهًا وذلك أن حروفها وهي أربعة أحرف تضرب في وجوه الثلاثي الصحيح وهي ستة أوجه فتصير أربعة وعشرين وجهًا، يكتب مستعملها. ويلغى مهملها...والكلمة الخماسية تتصرف على مائة وعشرين وجهًا، وذلك أن حروفها، وهي خمسة أحرف تضرب في وجوه الرباعي، وهي أربعة وعشرون حرفًا فتصير مائة وعشرين وجهًا يستعمل أقله ويلغى أكثره". العين (٥٩/١)

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي، وذلك بالرجوع إلى معجم من معاجم التقليبات وهو معجم الجمهرة لابن دريد، وتحديد الجذور المهملة، وجاءت مستعملة في معجم القاموس المحيط للفيروز آبادي.

خطة البحث: جرى تقسيم البحث إلى: (مبحثين وخاتمة):

المبحث الأول: مقدمات تمهيدية،

_ تعريف المهمل والمستعمل.

_ أنواع المهمل.

_ أسباب الإهمال.

_ منهج ابن دريد في الإشارة إلى المهمل.

المبحث الثاني: ما أُهمل في الجمهرة وجاء مستعملا في القاموس المحيط: وهي: المطلب الأول-الأعلام، المطلب الثاني- ما دلّ على صوت، المطلب الثالث- المقترض من اللغات الأخرى، المطلب الرابع- ما جاء على أكثر من صورة لأسباب مختلفة، المطلب الخامس- المشكوك في أصله، أو لم يسمع عن العرب الفصحاء، المطلب السادس- ما تفرد به بعض اللغويين، المطلب السابع-أصول سها ابن دريد عن ذكرها ووردت في القاموس.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

الفهارس.

الدراسات السابقة:

وردت ظاهرة المهمل في بعض الكتب القديمة، مثل كتاب الصاحبي لابن فارس، والمزهر للسيوطي، والخصائص لابن جني، كما تتبعت كتب المعاجم هذه الظاهرة منها العين والجمهرة والتهذيب والتاج، أما الدراسات الحديثة فهناك عدد منها تحدث عن ظاهرة المهمل مثل:

- ظاهرة الأصول المهملة بين معجم العين للخليل ومعجم لسان العرب لابن منظور دراسة تحليلية وصفية: عبد الوهاب صابر عيسوي، منشور في شبكة الألوكة. تناول فيه الأصول المهملة بين العين واللسان مكتفيًا بتتبع هذه الظاهرة على جميع الأصوات الحلقية (ع، ح، هـ، خ، غ) .
- ظاهرة الأصول المهملة في العربية أبعادها وعللها: كفاح إبراهيم، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين. ٢٠٠٩م.
- الفعل الممات: دراسة في معجم الجمهرة لابن دريد: سيف الدين الفقراء، محمد أمين الروابدة، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، مج ٢٤، ع٤، ٢٠٠٩م . واستقصى هذا البحث الأفعال المماتة التي نص عليها ابن دريد، والأسباب التي أدت إلى فناء بعض الأفعال من الاستعمال.
- المهمل في المعجم العربي وسبل استثماره في وضع المصطلح: عبد القادر سلامي، بحث منشور في الندوة الدولية الثانية (قراءة التراث الأدبي واللغوي في الدراسات الحديثة) جامعة الملك سعود، كلية الآداب قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٥_٢٧/ ٤/ ١٤٣٥هـ.

- ظاهرة المهمل في معاجم اللغة: عمر الكفاوين، مجلة جسور المعرفة، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف_ الجزائر، العدد ٨، ٢٠١٦م ، تحدث المؤلف في حدود أربع عشرة صفحة عن ظاهرة المهمل في المعاجم اللغوية وتوضيح مناهج أصحاب المعاجم في إهمالهم بعض الأبنية والألفاظ.

واختلفت هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات **في مجال التطبيق**: حيث اقتصرت على المقارنة بين معجمين وهما جمهرة اللغة لابن دريد والقاموس المحيط للفيروز آبادي، كما اختلفت أيضًا **في طريقة التناول**: وهو عرض الجذور التي أهملت في الجمهرة وجاءت مستعملة في القاموس ووضعها في حقول دلالية.

وباستثناء هذه الدراسات لم أجد بحثًا تحدث عن هذه الظاهرة القديمة الحديثة، فهي قديمة من حيث وجودها في المعاجم اللغوية، وحديثة من حيث إنها لم تأخذ حقها في البحث العلمي، ومن هنا تأتي أهمية الدراسة.

وقد وقع الاختيار على معجم الجمهرة لابن دريد (ت٣٢١هـ) لاعتبارات معينة منها:

أولا- قِدَم المعجم فهو من المعاجم الأصول التي اعتمد عليها مؤلفو المعاجم بعده، حيث كان القصد من البحث المقارنة بين معجمين أحدهما متقدم والآخر متأخر نسبيًا، حتى تتجلى المقارنة بصورة أوضح.

ثانيًا- يعد معجم الجمهرة أحد معاجم التقليبات التي تقوم بحصر ألفاظ اللغة، فيذكر الجذر وتقليباته ويبين المستعمل منه والمهمل.

أما بالنسبة لمعجم القاموس المحيط للفيروز آبادي (ت٨١٧هـ) فاسم الكتاب بالكامل (القاموس المحيط والقابوس الوسيط لما ذهب من كلام العرب

شماطيط) فهو من المعاجم الشهيرة حتى إنه لكثرة استعمال الناس له أنهم أطلقوا كلمة قاموس مرادفة لكلمة معجم، وقد اتبع طريقة مدرسة القافية–وهي جعل الحرف الأخير بابًا والحرف الأول فصلًا– ولهذه الطريقة أثرها في سهولة البحث فيه، ومبالغةً من مؤلفه في الاختصار استعمل بعض الرموز لتدل على كلمات معينه وهي: (م) معروف، (ع) موضع، (د) بلد، (ة) قرية، (ج) جمع، (جج) جمع الجمع، (و) المادة أصلها واوي، (ي) المادة أصلها يائي. ولهذه الأسباب _سهولة البحث فيه، والاختصار_ وقع الاختيار على هذا المعجم.

المبحث الأول: مقدمات تمهيدية.

أولا– تعريف المهمل والمستعمل:

المهمل هو الذي أهمله العرب وتركوه لقلة استعماله وشيوعه، فلم تشتق منه كلامها، إما لأن العرب لم تستعمله أصلاً أو لتنافر أصواته، فالمهمل اسم مفعول من (همل): قال ابن فارس:" الهاء والميم واللام: أصل واحد. أهملت الشيء، إذا خليت بينه وبين نفسه. والهَمَل: السُّدى. والهمل: المال لا مانع له. وهملت العين، مثل همرت. والله أعلم بالصواب."(١) ويقول الخليل:" وما ترك الله الناس هملا، أي: سدى بلا ثواب وبلا عقاب. وإبل هوامل مسيبة لا ترعى. وأمر مهمل، أي: متروك"(٢).

وقد استعملت بعض الألفاظ المرادفة للفظ المهمل كالممات والمتروك، فالمقصود بالممات:" ما كان مستعملا من ألفاظ اللغة، ثم أميت بالهجر أو التطور اللغوي أو النهي عن استعماله فاستغنت عنه اللغة تماما."(٣)، قال ابن دريد:"والبحن: فعل ممات ومنه اشتقاق البحون وهو الرمل المتراكب"(٤)، وأما المتروك: ما ترك استعماله وهو:" ما كان قديما من اللغات ثم ترك واستعمل

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس: (٦/ ٦٧ هـ م ل).

(٢) العين، الفراهيدي: (٤/ ٥٦ هـ م ل).

(٣) موت الألفاظ في العربية، الصاعدي: ٣٥٦

(٤) جمهرة اللغة، ابن دريد: (١/ ٢٨٥ ب ح ن)

غيره."[١]، وجاء في اللسان: "قال شمر: قرحان إن شئت نونت وإن شئت لم تنون، وقد جمعه بعضهم بالواو والنون، وهي لغة متروكة"[٢].

والمستعمل: "هو ما وضع لفائدة مفردًا كان أو مع غيره"[٣]، فهو ما استعمله العرب من أصول واشتقت كلامها منه. والفرق بين المهمل والمستعمل يظهر في تلقي السامع لهذا اللفظ أو ذاك، ومدى فهم المراد منه، فإن فهم المقصود كان مستعملا، وإن كان لا فهو مهمل. يقول المرزوقي:" فإن قيل: فما الفرق بين المهمل والمستعمل؟ حينئذٍ قلت: الفرق بينهما أن الحكيم متى تكلم بكلام مستعمل صح أن يعرف السامع لكلامه مراده بما يقارنه من الدليل غير الكلام، ومتى تكلم بكلام مهمل لم يجز أن يعلم مراده."[٤]

ثانيًا– أنواع المهمل:

للمهمل ثلاثة أنواع وهي:

- النوع الأول– "ما لا يجوز ائتلاف حروفه البتّه، وذلك كالجيم تؤلف مع الكاف أو كاف تقدَّم على جيم، وكعين مع غين، أو حاء مع هاء أو غين، فهذا وما أشبهه لا يأتلف"[٥]، فقد امتاز العرب بخاصية توزيع أصواتهم

(١) المزهر، السيوطي: ١٧٥

(٢) لسان العرب، ابن منظور: (٢/ ٥٥٩ ق ر ح)

(٣) الفروق في اللغة، العسكري: ٧١

(٤) الأزمنة والأمكنة، المرزوقي: ٢٣٢

(٥) الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس: ١/ ٤٧ .

على مدارج النطق وفق نظام صوتي منسجم خالٍ من التنافر المؤذي للسمع يتلقاه السامع بحسن التلقي والقبول.

- النوع الثاني- "ما يجوز تأُلُّف حروفه لكن العرب لم تقل عليه، وذلك كإرادة مريد أن يقول: "عضخ" فهذا يجوز تألفه وليس بالنافر، ألا تراهم قد قالوا في الأحرف الثلاثة: "خضع" لكن العرب لم تقل عضخ"[١].
- النوع الثالث- "وهو أن يريد مريد أن يتكلم بكلمة على خمسة أحرف ليس فيها من حروف الذلق أو الإطباق حرف"[٢]. وحروف الذلق معروفة وهي: الفاء والميم والباء والراء والنون واللام، أما حروف الإطباق فهي: الضاد والطاء والظاء.

ثالثًا- أسباب الإهمال:

١- قرب مخارج الأصوات:

كان الخليل بن أحمد يعلل إهمال الأصول بقرب المخارج، كما يبين أن ائتلاف صوت ما مع أصوات معينة ممتنع لهذا السبب، على النحو الذي فسر فيه امتناع ائتلاف العين مع الحاء، بقوله: "إن العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة؛ لقرب مخرجيهما."[٣]، وبين ابن دريد أن في نطق الأصوات المتقاربة المخارج ثقلا ومشقة على اللسان فقال: " وأعلم أنه لا يكاد يجيء في الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة، لصعوبة ذلك عليهم

(١) ينظر: السابق نفسه.

(٢) ينظر: السابق نفسه.

(٣) العين: (١/ ٦٠).

وأصعبها حروف الحلق، فأما حرفان فقد اجتمعا في كلمة مثل: أحد، أهل، عهد ...."[1] . فهذا تصريح بأن قرب المخرج كان من أسباب إهمال بعض الأبنية والكلمات.

ويرى ابن جني أن: "إهمال ما أهمل مما تحتمله قسمة التركيب في بعض الأصول المتصورة أو المستعملة فأكثره متروك للاستثقال وبقيته ملحقة به ومقفاة على إثره. فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه نحو: سص وطس وظث وثظ وضش وشض، وهذا حديث واضح؛ لنفور الحس عنه والمشقة على النفس لتكلفه."[2]، فابن جني يعلل الاستثقال من جانبين جانب سمعي وهو "نفور الحس عنه "، وجانب نطقي وهو" المشقة على النفس لتكلفه".

وهذا دليل على أن الاستعمال والإهمال يعود إلى حاسة السمع لدى المتلقي "فإذا استحسنت شيئًا أو استقبحته، وجدت ما تستحسنه متباعدًا مخارج الحروف، فاستحسانها واستقباحها إنما قبل اعتبار المخارج لا بعده."[3] فسبب الاستثقال هنا مرده إلى تقارب مخارج أصوات الكلمة الواحدة.

وهذه الصعوبة جعلت كثيرًا من الأبنية مهملة، يقول الخفاجي:" يقع الإهمال في الأبنية التي يصعب النطق بها؛ لضرب من التقارب في الحروف، فلا

(١) جمهرة اللغة، ابن دريد: (١/ ٩).

(٢) الخصائص، ابن جني: (١/ ٥٥).

(٣) الفلك الدائر على المثل السائر، عز الدين: (٤/ ١٧٣).

يكاد يجيء في كلام العرب ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة لصعوبة ذلك على ألسنتهم."[١]

٢- استعمال الأصل وترك غيره:

استعمل العرب الأصل في بعض التراكيب وتركوا غيره لعدم حاجتهم إليه، حيث شبه ابن جني الكلم بالمال" ملقى بين يدي صاحبه وقد أجمع إنفاق بعضه دون بعضه، فميز رديئه وزائفه، فنفاه البتة كما نفوا عنهم تركيب ما قبح تأليفه، ثم ضرب بيده إلى ما أطفَّ له من عُرض جيِّده فتناوله للحاجة إليه، وترك البعض؛ لأنه لم يرد استيعاب جميع ما بين يديه منه لما قدمنا ذكره وهو يرى أنه لو أَخَذ ما ترك مكان أخْذ ما أُخذ لأغنى عن صاحبه ولأدى في الحاجة إليه تأديته، ألا ترى أنهم لو استعملوا لجع مكان نجع لقام مقامه، وأغنى مغناه؟"[٢]

فهذا يعني أن أصول اللغة كثيرة تفيض عن حاجة المتكلم، فهو يختار منها ما يعبر عن أغراضه مع الاهتمام بتناغم الأصوات وتناسقها، ويهمل ما لا يحتاجه منها.

---

(١) سر الفصاحة، الخفاجي: ١٦٨.

(٢) الخصائص (٦٦/١).

٣- خلو الرباعي والخماسي من الأصوات الذلقية والإطباق:

اشترط العرب عند استعمال الرباعي والخماسي أن يكون مشتملًا على صوتٍ أو أكثر من الأصوات الذلقية، قال الخليل: "فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلق أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة، ليست من كلام العرب؛ لأنك لست واجدا من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر."(١). وقال ابن دريد:" واعلم أن أحسن الأبنية عندهم أن يبنوا بامتزاج الحروف المتباعدة؛ ألا ترى أنك لا تجد بناء رباعيًّا مصمت الحروف لا مزاج له من حروف الذلاقة إلا بناء يجيئك بالسين، وهو قليل جدا، مثل عسجد، وذلك أن السين لينة وجرسها من جوهر الغنة فلذلك جاءت في هذا البناء، فأما الخماسي مثل فرزدق وسفرجل وشمردل فإنك لست تجد واحدة إلا بحرف وحرفين من حروف الذلاقة."(٢)

"وإذا كان كذلك فذوات الأربعة مستثقلةٌ غير متمكنة تمكّن الثلاثي؛ لأنه إذا كان الثلاثي أخف وأمكن من الثنائي على قلَّة حروفه فلا محالة أنه أخفّ وأمكن من الرباعي لكثرة حروفه، ثم لا شك فيما بعد في ثقل الخماسي وقوة

---

(١) العين (١/ ٥٢) .

(٢) الجمهرة: (١/ ٤٩) .

الكلفة به فإذا كان كذلك ثقُل عليهم مع تناهيه وطوله أن يستعملوا في الأصل الواحد جميع ما تنقسم إليه به جهات تركيبه"[١].

لذلك فلابد للرباعي والخماسي المستعمل أن يكون مشتملًا على صوت أو أكثر من الأصوات الذلاقة؛ لتخفيف الثقل الناتج عن طولها وهو السبب الحقيقي لإهمالها.

رابعًا– منهج ابن دريد في الإشارة إلى المهمل:

المتتبع لكتاب ابن دريد يجد أنه عبر عن الجذور المهملة بطرق مختلفة، وهي كالآتي:

١- **يذكر الأصل ولا يذكر تقليباته،** ويكتفي بذكر كلمة (أهملت) فقط ، مما يدل على أن هذا الأصل لم يستعمل لا هو ولا تقليباته في كلام العرب ومن أمثلة ذلك: "(ب ت ف) أهملت"[٢]، "(ب ث ظ) أهملت"[٣].

٢- **يذكر الأصل ويشير إلى المستعمل، ولا يذكر ما أهمل منه؛ لأنه كثير** مثال: "(ب ج م) المستعمل هو: بجم"[٤]، "(ب ح ظ) المستعمل: حظب"[٥].

---

(١) المزهر، السيوطي: (١/ ١٩١).

(٢) الجمهرة: (١/ ٢٥٥ ب ت ف).

(٣) السابق (١/ ٢٥٩ ب ث ظ).

(٤) السابق (١/ ٢٧٠ ب ج م).

(٥) السابق (١/ ٢٨١ ب ح ظ).

٣- **يذكر الجذر ويصفه بالمهمل، وإن كانت هناك كلمات مستعملة فهي لغة، أو معرّبة** مثل: "(ب ض ك) [ضبك] أهملت إلا في قولهم: ضبكت الرجل، وضبكته إذا غمزت يديه لغة يمانية"(١)."[بذق] أهملت في الثلاثي وكذلك حالها مع الفاء والقاف. فأما البيذق فليس بعربي"(٢). "(ج ص ع)[عصج] رجل أعصج وهو الأصلع لغة شنعاء لقوم من أطراف اليمن لا يؤخذ بها"(٣).

٤- **يذكر الجذر وما بعده من الجذور ويصفها بالإهمال معًا** مما يصل إلى إهمال اثنتين وأربعين صورة أو اثنتين وسبعين صورة أو تسعين صورة، مثل: "(ث ج ز) أهملت وكذلك حالهما مع السين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء"(٤) ."(ث خَ ز) أهملت وكذلك حالهما مع السِّين والشين والصَّاد والضَّاد والطاء والظاء والعين والغين والفاء والقاف والكاف"(٥). "(دذر) أهملت وكذلك حالهما مع الزّاي والسِّين والشين والصاد والضاد والطاء والعين والغين والفاء والقاف والكاف واللام والميم والنون"(٦).

---

(١) السابق (١/ ٣٥٥ ب ض ك).
(٢) السابق (١/ ٣٠٤ ب ذ ق).
(٣) السابق (١/ ٤٧٩ ج ص ع).
(٤) الجمهرة (١/ ٤١٤ث ج ز).
(٥) السابق (١ / ٤١٨ ث خ ز).
(٦) الجمهرة (٢ / ٦٢٧ د ذ ر).

٥- **قد يذكر سبب إهمال الجذور**: مثل: "(ج ز ق) أهملت وجوهها وكذلك حالهما مع الكاف قال أبو بكر: وقد تقدم قولنا: إن الجيم والقاف لم يجتمعا في كلمة عربية إلا بحاجز، وهي قليلة مع ذاك وكذلك الكاف"(١).

"(ج ف م) [فجم] والفاء والميم لا يجتمعان في كلمة عربية إلا بحاجز بينهما فأما فم فناقص وله باب تراه فيه إن شاء الله"(٢).

(١) السابق (١ / ٤٧١ ج ز ق).

(٢) السابق (١/ ٤٨٨ ج ف م).

المبحث الثاني– ما أهمل في الجمهرة وجاء مستعملًا في القاموس:

تتعدد المعاني للمدخل الواحد في المعجم العربي، وهذا يرجع إلى استخدام المفردة الواحدة في مواقف لغوية مختلفة، فكان من الصعب تقسيم هذه الأصول إلى حقول دلالية، وإنما جاء هذا التقسيم بشكل تقريبي بهدف حصر الجذور وترتيبها، فكانت على النحو الآتي:

المطلب الأول– الأعلام:

والمقصود بها ما كان اسمًا لرجل أو لقبيلة ما أو لقبًا أو كنية أو اسمًا لحيوان أو طيرٍ أو نبات:

١- أسماء الرجال والقبائل، نحو:

(رست): "رُسْتَةُ، بضم الراء: لقب عبد الرحمن بن عمر بن أبي الحسن الزهريّ الأصبهاني."[١]، **(خنج)**: "خُناجٌ، كغراب: قبيلة (بِفُرجَة) .وكقُفل: د بفارس. وخُونَجَة، كَكُورَجَة: ة."[٢]. **(ترد)**: "التَّريدي: عمرو بن محمد، شاعر. وما تُريد، بالضم: ة ببخارى منها: أبو منصور المفسر."[٣]. **(قبذ)**: "قُباذٌ، كغراب: أبو كسرى. وقُباذِيانُ: ع ببلخ. وحنطة قُباذِيَّةٌ: عتيقة ردئية"[٤]، وكأنها من عهد قباذ[٥]. **(بذش)**: "الباذِشُ، كصاحب، والذال معجمة: هو أبو عبد

(١) القاموس: (١ / ١٥٢ ر س ت)

(٢) السابق: (١ / ١٨٧ خ ن ج)

(٣) السابق: (١ / ٢٦٩ ت ر د)

(٤) السابق: (١ / ٣٣٦ ق ب ذ)

(٥) التاج، الزبيدي: (٩/ ٤٥٥ ق ب ذ).

الله بن الباذِشِ، من نحاة المغرب"[١]. **(ختش)**: "خُتَّشُ، بضم الخاء وفتح التاء المشددة: جدّ رُستم بن عبد الله الأُشْرُوسَنِيّ، وأبو نصر أحمد بن علي بن خَتَّاشٍ، ككَتانٍ، البُخاريّ: من المحدّثين."[٢]. **(رخش)**: "إسماعيل بن رخش: محدّث. وتَرَخَّشَ: تحرّك، والاسم: الرُّخشةُ. وارتَخَشَ: اضطرب."[٣]. **(خبك)**: "خَبَكٌ، محركة: جدّ وثير بن المنذر المحدّث .وخَبَنْكٌ، كسمند: ة ببلخ[٤]."[٥]. **(خسك)**: "خُسكٌ، بالضم: والد عبد الملك المحدّث."[٦]. **(خشك)**: "خُشْكٌ، بالضم: لقب إسحاق بن عبد الله النّيسابوريّ، ووالد داود المفسّر. وإبراهيم بن الحسين ابن خُشكان كعثمان بالضم: واعظ. وخاشك، بالتقاء ساكنين: د بمكران."[٧]. **(خقن)**: "خاقانُ: علم، واسم لكل ملك خَقَّنَهُ الترك على أنفسهم، أَي: ملكوه ورأسوه"[٨]، وقال الأزهري: " وليس من العربية في شيء"[٩] .

---

(١) القاموس المحيط: (١ / ٥٨٤ ب ذ ش)
(٢) القاموس: (١ / ٥٩٢ خ ت ش)
(٣) السابق: (١ / ٥٩٤ ر خ ش)
(٤) هي على نصف فرسخ منها، وتعرف بخَوَرْنَق، ينظر: التاج (٢٧/ ١٣٥خ ب ك) .
(٥) القاموس: (١ / ٩٣٨ خ ب ك)
(٦) السابق: (١ / ٩٣٨ خ س ك)
(٧) القاموس: (١ / ٩٣٨ خ ش ك)
(٨) السابق: (١ / ١١٩٤ خ ق ن)
(٩) التهذيب: (٧/ ٢٠ خ ق ن).

٢- أسماء النبات والطير والحيوان:

(**صغب**): "الصُّغابُ، بالضم: بيض القملة. والمِصْغَبَةُ: المسغبة."[١]. (**طهب**): "الطَّهَبُ، محركة: من أسماء الأشجار الصّغار."[٢]. (**لشب**): "اللَّوْشَبُ: الذئب."[٣]. (**ملب**): "المِلابُ، كسحاب: عطر، أو الزعفران."[٤]. (**بنث**): "البَيْنيثُ، على فيعِيل: سمك بحريّ."[٥]. (**بلث**): "البَليثُ: كلأ عامين أسود كالدّرين، وإتباع "دَمِيثٍ". وبلث: جدّ سماك بن مخرمة."[٦]. (**جرث**): "الجِرِّيثُ، كسكّيت: سمك. والجُرَثِيُّ، كقرشيّ: عنب .وتَجَرْثَى: نتأت جِرْثِمَّتُه، أي: حنجرته. جُرَيْثٌ، بالضم: ع."[٧]. (**حبث**): "الحَبِثُ، ككتف: حيّة بتراء."[٨]. (**تنج**): "التُّنْجِيُّ: بالضم: ضرب من الطير."[٩]. (**تلج**): "التُّلَجُ، كصرد: فرخ العقاب. وأتْلَجَهُ فيه: أدخله."[١٠]. (**دسج**): "المِدْسِجُ، كمحسن

---

(١) القاموس: (١ / ١٠٥ ص غ ب)
(٢) السابق: (١ / ١١٠ ط هـ ب)
(٣) السابق: (١ / ١٣٤ ل ش ب)
(٤) السابق: (١ / ١٣٦ م ل ب)
(٥) السابق: (١ / ١٦٥ ب ن ث)
(٦) السابق: (١ / ١٦٥ ب ل ث)
(٧) السابق: (١ / ١٦٦ ج ر ث)
(٨) السابق: (١ / ١٦٧ ح ب ث)
(٩) السابق: (١ / ١٨٢ ت ن ج)
(١٠) السابق: (١ / ١٨٢ ت ل ج)

ومحدّث: دويبّة تنسج كالعنكبوت."[١]. **(مدج)**: "مُدَّجٌ، كقبّر: سمكة بحرية[٢]، وتسمّى: المشّق."[٣]. **(تفح)**: "التّفّاح: م. والمِتْفَحَةُ: منبت أشجاره. والتُّفَّاحَتانِ: رؤوس الفخذين في الوركين."[٤]. **(ذمخ)**: "الذَّمَخُ، محركة، وكعنب: ثمرة شجرة[٥] ."[٦]. **(تقد)**: "التِّقْدَةُ، بالكسر وتفتح: الكزبرة، والكراوياء."[٧]. **(خلر)**: "الخُلَّرُ، كسكّر: نبات[٨]، أو الفول، أو الجلبان، أو الماش. وخُلاَّرٌ، كرمّان: ع بفارس، ينسب إليه العسل الجيد."[٩]. **(تقر)**: "التَّقِرَةُ والتَّقِرُ، ككلمة وكِلِم: أحدهما الكرويا، والآخر التّوابل."[١٠]. **(بقس)**: "البَقْسُ، ويقال: بِقَسِيسٌ: شجر كالآس ورقًا وحبًا، أو هو الشِّمْشاذُ[١١] ، قابض، مجفّف، بلّة الأمعاء ، ونشارته معجونة بالعسل تقوّي الشعر ، وتغزره ، وتمنع

---

(١) القاموس: (١ / ١٨٨ د س ج)

(٢) قال الأزهري:" وأحسبه معربا." التهذيب (١٠/ ٣٥٦ ج د م).

(٣) القاموس: (١ / ٢٠٥ م د ج)

(٤) القاموس: (١ / ٢١٤ ت ف ح)

(٥) تُشبه التِّين. ينظر: التاج (٧/ ٢٥٣ ذ م خ).

(٦) القاموس: (١ / ٢٥١ ذ م خ)

(٧) السابق: (١ / ٢٦٩ت ق د)

(٨) قال ابن سيده: "أعجمي". المحكم (٥/ ١٦٧ خ ر ل).

(٩) القاموس: (١ / ٣٨٧ خ ل ر)

(١٠) السابق: (١ / ٣٥٧ ت ق ر)

(١١) منابته بلاد الرُّوم، تتَّخذ منه المغالِقُ والأبواب، لمتانته وصلابته، ينظر: التاج (١٥/ ٤١٦ ب ق س).

الصّداع ، وبياض البيض تنفع الوثي[١]."[٢]. **(تخس)**: "التُّخَسُ، كصرد: دابّة بحرية تنجّي الغريق ، تمكنه من ظهرها ليستعين على السباحة ، وتسمى الدُّلفين."[٣]. **(بهن)**: "البَيْهَنُ، كحيدر: النَّستَرَن[٤]. والبَهْنانَةُ: الطّيّبة النفس والريح، أو اللّينة في عملها ومنطقها، والضّحّاكة الخفيفة الرّوح. وبَهانِ، كقطام: امرأة. والباهين: تمر، أو نخل لا يزال عليها طلع جديد، وكبائس مُبسِرة وأخر مرطِبة ومثمِرة. والبَهْوَنِيَّةُ من الإبل: ما بين الكرمانيّة والعربيّة."[٥]. **(جسن)**: "الجُسْنَةُ، بالضم: سمكة مستديرة لها زُبانَيان. والجُسَّان، كرمّان: الضاربون بالدفوف. واجسأنّ: صلُب."[٦]. **(قتن)**: "القَتَنُ، محركة: سمكة عريضة قدر راحة الكفِّ. وكأمير: القَزّ المطبوخ الأبيض، والمرأة، أو الجميلة، والرجل، أو الحقير الذّليل منهما، ضدّ، والرّمح، والدّقيق من الأسنّة، والقراد، والرجل لا طُعم له، وقد قَتُنَ، ككرُم، وأقْتَنَ. والمِقْتَنِنُّ، كمطمئنّ، والمِقْتَنُّ: المنتصب. وأسود قاتن: قاتِمٌ. وقَتَنَ المسك قُتُوناً: يَبِسَ، وزالت نُدُوَّتُهُ. وأقْتَنَ. قتل القردان، ونحل

(١) أي: الكسر، ينظر: التاج (١٥/ ٤١٦ ب ق س).
(٢) القاموس: (١ / ٥٣٣ ب ق س)
(٣) السابق: (١ / ٥٣٤ ت خ س)
(٤) من الرَّياحِين، ينظر: التاج (٣٤ / ٢٩١ ب هـ ن).
(٥) القاموس: (١ / ١١٨٢ ب هـ ن)
(٦) السابق: (١ / ١١٨٦ ج س ن)

جسمه. وكسحاب أو غراب: الغبار."[١]. (**هبن**): "الهَبُونُ، كصبور: العنكبوت."[٢].

٣- أسماء المواضع والبلدان:

(**تنب**): "تِنَّبٌ، كقنَّب: ع بالشّام[٣]، منه: محمد بن محمد بن عقيل المحدّث الكاتب الفائق، وصالح التِّنَّبِيُّ، روى أيضاً. وكالتّنّور: شجر عظام بالروم، منه القَطِران."[٤]. (**ثخب**): "ثَخْبٌ: جبل (بنجد) لبني كلاب، عنده معدن ذهب ، ومَعدِن جَزع أبيض."[٥]. (**شلب**): "شِلْبٌ، بالكسر: د غربيّ الأندلس."[٦]. (**طحب**): "طِحابٌ، ككتاب: ع[٧]، وله يوم م."[٨]. (**طغب**): "طُوغابُ، بالضم: د بِأَرزَن الرّوم."[٩]، (**بنت**): "بُنْتُ، بالضم: ة ببلنسية. وبَنَّتَ عنه تَبنيتًا: استخبر، وأكثر السؤال عنه. وبَنَّتَه بكذا: بَكَّته. وبَنَّتَه الحديث: حدّثه

---

(١) القاموس: (١ / ١٢٢٣ ق ت ن)

(٢) السابق: (١ / ١٢٣٩ هـ ب ن)

(٣) قرية كبيرة من قرى حلب، ينظر: معجم البلدان: (٢/ ٤٧)

(٤) القاموس: (١ / ٦٢ ت ن ب)

(٥) السابق: (١ / ٦٢ ث خ ب)

(٦) السابق: (١ / ١٠٢ ش ل ب)

(٧) وهو علم مرتجل مهمل في لغة العرب، موضع كانت به وقعة ويوم من أيامهم، وهو يوم طحاب. ينظر: معجم البلدان: (٤/ ٢٢)

(٨) القاموس: (١ / ١٠٩ ط ح ب)

(٩) السابق: (١ / ١٠٩ ط غ ب)

بكلّ ما في نفسه."[١]. **(خست)**: "خَسْتُ: د بفارس"[٢]. **(سرت)**: "سُرتُ بالضم: د بالمغرب[٣].وسُرْتَةُ: د بجوف الأندلس، منها: قاسم بن أبي شجاع السُّرتي المحدّث[٤]."[٥]. **(دبث)**: "دُبَيْثى، بضم أوّله مقصورًا: ة بواسط."[٦]. **(بنج)**: "البِنْجُ، بالكسر: الأصل، وبالفتح: ة بسمرقند[٧]، ونبت مُسبت م، غير حشيش الحرافيش، مخبّط للعقل، مُجنّن، مُسكّن لأوجاع الأورام والبثور ووجع الأذن، وأخْبَثُهُ: الأسود، ثم الأحمر، وأسلمه: الأبيض. وبَنَّجَهُ تَبْنِيجًا: أطعمه إيّاه، و. القَبَجَةُ: صاحت من جحرها. وانْبَنَجَ انْبِناجًا: ادّعى إلى أصل كريم. وبَنَجَ، كنصر: رجع إلى بِنْجِه"[٨]. **(شلج)**: شَلْجُ: ة ببلاد التّرك[٩]، منه: يوسف بن يحيى الشلجي المحدّث."[١٠]. **(كرج)**: "الكَرَجُ، محركة: بلد أبي دُلف

---

(١) السابق: (١ / ١٤٨ ب ن ت)

(٢) السابق: (١ / ١٥١ خ س ت)

(٣) مدينة على بحر الروم بين برقة وطرابلس وأجدابية في جنوبها إلى البر. ينظر: معجم البلدان: (٣/ ٢٠٧).

(٤) وهي مدينة بالأندلس، وهي شرقي قرطبة منحرفة نحو الجوف، بينها وبين طليطلة عشرون فرسخا. ينظر: معجم البلدان: (٣/ ٢٠٧)

(٥) القاموس: (١ / ١٥٣ س ر ت)

(٦) القاموس: (١ / ١٦٩ د ب ث)

(٧) من قرى روذك من نواحي سمرقند، وهي قصة ناحية روذك، من هذه القرية كان أبو عبد الله الرّوذكي الشاعر. ينظر: معجم البلدان: (١/ ٤٩٨)

(٨) القاموس: (١ / ١٨١ ب ن ج)

(٩) وهي بلد من نواحي طراز من حدود تركستان على سيحون. ينظر: معجم البلدان: (٣/ ٣٥٨)

(١٠) القاموس: (١ / ١٩٥ ش ل ج)

العجليّ، وة بالدّينور[١]. وكقُبَّرٍ: المهر، معرّب: كُرَّه. والكُرَّجِيُّ: المخنّث. والكَرارِجَةُ: سمك خُضر قِصار، كالكُرَيْرِجِ، كقُذَعْمِلٍ. وكَرِجَ الخبز، كفرح، واكْتَرَجَ وكَرَّجَ وتَكَرَّجَ: فسد، وعَلَته خُضرة."[٢]. **(زبح)**: "زَبَحُ، محركة: ة بجرجان[٣]، منها: أبو الحسن عليّ بكر أبي بكر بن محمد المحدّث."[٤]. **(أبد)**: "مأبِدٌ، كمنزل: د بالسَّراة."[٥]. **(بزد)**: "بَزْدَةُ: ة من أعمال نسف[٦]، والنّسبة: بَزْدِيٌّ وبَزْدَوِيٌّ، منها: دِهقانُها المعَمَّر منصور بن محمد بن قُرينة أو مُزينة، وهو الصحيح، آخر من حدّث بالجامع عن البخاري."[٧]. **(بفد)**: "بافْدُ، بسكون الفاء: د بكرمان[٨]، التقى فيها ساكنان، معرّب: بافت."[٩]. **(ثكد)** ثَكْدٌ:

---

(١) الكرج: وهي مدينة بين همذان وأصبهان في نصف الطريق، وإلى همذان أقرب. ينظر: معجم البلدان: (٤/ ٤٤٦)

(٢) القاموس: (١ / ٢٠٣ ك ر ج)

(٣) قال أبو سعد: ظنّي أنّها قرية بنواحي جرجان. ينظر: معجم البلدان: (٣/ ١٣٠)

(٤) القاموس: (١ / ٢٢٢ ز ب ح)

(٥) السابق: (١ / ٣١٨ أ ب د)

(٦) وهي قلعة حصينة على ستّة فراسخ من النسف. ينظر: معجم البلدان: (١/ ٤٠٩)

(٧) القاموس: (١ / ٢٦٨ ب ز د)

(٨) بلدة بكرمان على طريق شيراز من البلاد الحارّة. ينظر: معجم البلدان: (٣٢٦/١)

(٩) القاموس: (١ / ٢٦٨ ب ف د)

ماء لبني تميم[١]، وبضمتين: ماء آخر."[٢]، **(حند)**: "الحُنُدُ، كعُنق: الأحساء، الواحد: كقَبولٍ."[٣]. **(ستد)**: "ساتيدا في قول يزيد بن مفرغ[٤]:

فدير سوى فساتيدا فبصرى ... فحلوان المخافة فالجبال

اسم جبل، أصله: ساتيدما[٥]، حذف الشاعر ميمه، فينبغي أن يذكر هنا، وينبه على أصله."[٦]. **(شبذ)**: "شَبَذُ، محركة: ة بأبِيوردَ، منها: الحافظ رشيد الدين أبو بكر أحمد بن أبي المجد إبراهيم الخالدي الشبذي، وحفيده العلامة شمس الدّين إبراهيم بن محمد ، وابنه العلامة يحي ."[٧]. **(تعر)**:"تِعارٌ، ككتاب: جبل ببلاد قيس[٨]، ورجال . وتَعَرَ، كمنع: صاح. وجرح تَعَّارٌ، ككتّان: لا يَرقَأ. والتَّعَرُ، محركة: اشتعال الحرب."[٩]. **(تكر)**: "التُّكَرِيُّ والتُّكَرُ، بضم التاء وفتح الكاف المشددة فيهما، هكذا في النسخ، والصّواب بفتح التاء وضم الكاف المشددة، كجبّل: للقرية التي بأسفل بغداد، والقائد من قوّاد السّند، ج:

---

(١) ماء بين الكوفة والشأم. ينظر: معجم البلدان: (٨٢/٢)

(٢) القاموس: (١ / ٢٧٠ ث ك د)

(٣) السابق: (١ / ٢٧٩ح ن د)

(٤) ينظر: ديوان يزيد بن مفرغ: ص ٢٨.

(٥) أصله مهمل في الاستعمال في كلام العرب، فإمّا أن يكون مرتجلا عربيّا لأنّهم قد أكثروا من ذكره في شعرهم وإمّا أن يكون عجميّا، قال العمراني: هو جبل بالهند لا يعدم ثلجه أبدا. ينظر: معجم البلدان: (١٦٨/٣)

(٦) القاموس: (١ / ٢٧٦ س ت د)

(٧) السابق: (١ / ٣٣٤ ش ب ذ)

(٨) وبرثم وتعار: جبلان عاليان لا ينبتان شيئا، فيهما النمران كثيرة، وليس قرب تعار ماء، وهو من أعمال المدينة ينظر: معجم البلدان: (٣٣/٢)

(٩) القاموس: (١ / ٣٥٦ ت ع ر)

التَّكاكِرَةُ. وتُكْرورُ، بالضم: د بالمغرب[١]."[٢]. **(لبر)**: "اللَّبِيرَةُ، ويقال: الأَلْبِيرَةُ: د بالأندلس، منها محمد بن صفوان اللَّبِيرِيُّ المحدّث، ويقال: البِيرِيُّ."[٣]. **(بطس)**: "بِطْيَاسُ، كجِرِيَال: ة بباب حلب."[٤]. **(تنس)**: "تِنِّيسُ، كسكّين: د بجزيرة من جزائر بحر الرّوم قرب دمياط، تنسب إليه الثّياب الفاخرة[٥]. وتُونِسُ: قاعدة بلاد إفريقيّة، عُمِّرت من أنقاض مدينة قرطاجنّة. ومحمد بن محمد بنِ التَّنَسِيّ، محركةً: إسكندريّ له نسل."[٦]. **(خرك)**: "خَرِكَ، كعَلِم: لَجَّ. وخارَكُ، كهاجر: جزيرة ببحر فارس[٧]. وخَرَكانُ، محركة: محلّة ببخاراء."[٨]. **(ترم)**: "التِرْيَمُ، كحِذيم: ع. وكأمير: المتواضع لله -تعالى-، والمِلَوَّثُ بالمعايب أو بالدّرن. والتَّرَمُ، محركة: وجع الخوران. ولا تَرَما: لاسيّما. وتارَم، كهاجَر: كورةٌ بأذربيجان[٩]، ود يتاخم فُرَج، وقد تسكّن راؤها."[١٠]. **(بتن)**: "بُتانٌ، كغُراب: ة من عمل طُرَيْثِيثَ[١١]، منها أبو الفضل البُتانِيُّ الفقيه الزاهد، وبالكسر أو

---

(١) بلاد تنسب إلى قبيل من السودان في أقصى جنوب المغرب، وأهلها أشبه الناس بالزنوج. ينظر: معجم البلدان: (٣٣/٢)

(٢) القاموس: (١ / ٣٥٧ ت ك ر)

(٣) السابق: (١ / ٣٤٧ ل ب ر)

(٤) السابق: (١ / ٥٣٣ ب ط س)

(٥) جزيرة في بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط. ينظر: معجم البلدان: (٥١/٢)

(٦) القاموس: (١ / ٥٣٥ ت ن س)

(٧) جزيرة في وسط البحر الفارسي، وهي جبل عال في وسط البحر. ينظر: معجم البلدان: (٣٣٧/٢)

(٨) القاموس: (١ / ٩٣٨ خ ر ك)

(٩) كورة واسعة في الجبال بين قزوين وجيلان، فيها قرى كثيرة وجبال وعرة وليس فيها مدينة مشهورة. ينظر: معجم البلدان: (٢/٦)

(١٠) القاموس: (١ / ١٠٨٢ ت ر م)

(١١) من قرى نيسابور من أعمال طريثيث، منها. أبو الفضل البتاني. ينظر: معجم البلدان (١/ ٣٣٤).

بالفتح والشدّ: ة بحَرّان[١]، منها أحمد بن جابر البَتَّانِيُّ المنجّم. ومحمد بن المهنّى بن الباتِنِيّ، بكسر التاء والنون المشدّدة: م له سماعٌ."[٢]. **(بشن)**: "باشان: ة[٣]بهراة."[٤]. **(ترن)**: "تُرَنُ، كزُفر: ع باليمن[٥] ، ويقالُ للأمة والبغيّ: تُرْنَى، كحُبْلَى، وتُرْنَى وابن تُرْنَى: ولد البغيّ، ويجوز أن تكون تُرْنَى من رُنِيَت، إذا أُديم النّظر إليها."[٦]. **(جزن)**: "جازان: واد باليمن، وحطب جزن: جزل ج: أجزن."[٧]. **(حثن)**: "حُثُن، بضمتين: ع[٨]ببلاد هذيل."[٩]، **(رخن)**: "رخان، كسحاب: ة[١٠]، منها الحسن بن قاسم الرَّخانِيُّ."[١١]. **(ضحن)**: "الضَّحَن، محركة: د، عن ابن سيده، وأنشد بيت ابن مقبل الذي أنشده الجوهري في ض ج ن، فأحدهما مصحّف."[١٢].

---

(١) من نواحي حرّان، ينسب إليها محمد بن جابر البتّاني. ينظر: معجم البلدان (١/ ٣٣٤).
(٢) القاموس: (١ / ١١٧٩ ب ت ن)
(٣) من قرى هراة، منها: أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي صاحب كتاب الغريبين. ينظر: معجم البلدان (١/ ٣٢٢).
(٤) القاموس: (١ / ١١٨٠ ب ش ن)
(٥) ناحية بين مكة وعدن ويليها موزع، وهو المنزل الخامس لحاجّ عدن. ينظر: معجم البلدان (٢/ ٢٧).
(٦) القاموس: (١ / ١١٨٣ ت ر ن)
(٧) السابق: (١ / ١١٨٦ ج ز ن)
(٨) موضع في بلاد هذيل، عن الأزهري، وقال غيره: موضع عند المثلّم بينه وبين مكة يومان. ينظر: معجم البلدان (٢/ ٢١٨).
(٩) القاموس: (١ / ١١٨٨ ح ث ن)
(١٠) من قرى مرو، على ستة فراسخ منها. ينظر: معجم البلدان (٣ / ٣٨).
(١١) القاموس: (١ / ١٢٠٠ ر خ ن)
(١٢) السابق: (١ / ١٢١١ ض ح ن)

المطلب الثاني– ما دلّ على صوت:

(ثهت): "ثهِتَ، كفرح، ثَهتًا وثُهاتًا: دعا، وصوّت. والثَّاهتُ: الحلقوم، أو البَلْدَم، أو جليدة يموج فيها القلب، وهي جِرابه."(١). **(جطح)**: "جِطِحْ، بكسرتين مبنية على السكون، أي: قِرِّي، يقال للعنز إذا استصعبت على حالبها، فتقرّ، أو يقال للسخلة، ولا يقال للعنز."(٢). **(زقح)**: "الزَّقْحُ: صوت القرد."(٣). **(شطح)**: "شِطّح، بالكسر، وتشديد الطاء: زجر للعريض من أولاد المعز."(٤). **(لزح)**: "التَّلَزُّحُ: تحلُّب فيك من أكل رمانة أو إجاصة."(٥). **(شبخ)**: "الشَّبْخُ: صوت الحَلب من اللبن."(٦). **(جلن)**: "جَلَنْ: حكاية صوت باب ذي مصراعين، يردّ أحدهما، فيقول: جَلَنْ، ويردّ الآخر، فيقول: بَلَقْ."(٧).

---

(١) القاموس: (١/ ١٤٩ث هـ ت)

(٢) السابق: (١/ ٢١٥ ج ح ط)

(٣) السابق: (١/ ٢٢٢ ز ق ح)

(٤) السابق: (١/ ٢٢٦ ش ط ح)

(٥) السابق: (١/ ٢٣٩ ل ز ح)

(٦) السابق: (١/ ٢٥٣ ش ب خ)

(٧) السابق: (١/ ١١٨٦ ج ل ن)

المطلب الثالث– المقترض من اللغات الأخرى:

(**دست**): "الدَّسْتُ: الدَّشت، ومن الثياب والورق وصدر البيت، معرّبات. ودَسْتُوَى، بالقصر: ة بالأهواز، والنّسبة: دَسْتُوَانِيٌّ ودَسْتُوائيَّ. ودُوسْتُ، بالضمّ: لقب القاسم بن نصر بن العابد، وجدّ جدّ عبد الكريم بن عثمان بن محمد بن يوسف العلاّف، وذويه. وأبو زرعة محمد بن محمد بن دوستويه: محدّث."[١]. (**شحث**): "شَحِيثًا: كلمة سريانيّة تنفتح بها الأغاليق بلا مفاتيح."[٢]. (**كنث**): "الكُنْثَةُ، بالضمّ[٣]: نَوْرَدَجَةٌ تتخذ من آس وأغصان خلاف، ينضّد عليها الرّياحين ثم تطوى."[٤]. (**بدج**): "أُبْدوجُ السّرج، بالضم: لِبْدُ بِدادَيْهِ، معرّب: أُبْدُود."[٥]. (**دنج**): "الدِّناجُ، بالكسر: إحكام الأمر. والدُّنُجُ، بضمّتين: العقلاء. والدَّاناج: العالِم، معرّب: دانَا، ولقب عبد الله ابن فيروز البصري. وتراب دانِجٌ: دارج."[٦]. (**ستج**): الإِسْتاجُ والإِسْتِيجُ، بكسرهما: الذي يلفّ عليه الغزل بالأصابع لينسج[٧]. وأسْتَجَةُ: د بالمغرب."[٨]. (**شفج**): "الشَّافافَجُ: نبت، معرّب: شاببك، وهو البُرْنوفُ."[٩]. (**صبج**): "الصوْبَجُ،

---

(١) السابق: (١/ ١٥١ د س ت)

(٢) السابق: (١/ ١٧٠ ش ح ث)

(٣) وفي التهذيب:" إعرابه: كنثجة، وبالنبطة: كنثا". (١٠/ ١٠٤ك ن ث) .

(٤) القاموس: (١/ ١٧٥ ك ن ث)

(٥) السابق: (١/ ١٨٠ ب د ج)

(٦) القاموس: (١/ ١٨٩ د ن ج)

(٧) قال الأزهري:" تسميه العجم: استوجة وأسجوتة. وهما معربان". التهذيب (١٠/ ٣٠٣ ج س ت).

(٨) القاموس: (١/ ١٩٣ س ت ج)

(٩) السابق: (١/ ١٩٥ ش ف ج)

ويضم: الذي يُخبز به[١]، معرّب."[٢]. **(فذج)**: "الفُوذَنْجُ، بالضم[٣]: نبت، معرّب."[٤]. **(فنج)**: "الفُنُجُ، بضمّتين: الفُجُجُ الثقلاء[٥]. وكبَقَّمٍ: تابعي، روى عنه وهب بن منبّه، ومُحَدِّثٌ. وكجبل: معرّب: فَنَك[٦]."[٧]. **(قبج)**:"القَبَجُ: الحَجَلُ[٨]. والقَبَجَةُ: تقع على الذّكر والأنثى."[٩]. **(كذج)**: "الكَذَجُ، محركة: المأوى، معرّب: كَدَهْ."[١٠]. **(منج)**:"المِنْجُ: التمر تجتمع منه اثنتان وثلاث، يلزق بعضها ببعض، معرّب: مَنْك، لحبّ مُسكر، وبالضم: الماش الأخضر. ومَنُوجانُ: د. ومَنْجانُ: ة بأصفهان."[١١]. **(طرخ)**: "الطَّرْخَةُ: شبه حوض كبير عند مخرج القناة، دخيل. وطَرْخانُ، بالفتح، ولا تضم ولا تكسر، وإن فعله المحدّثون: اسم للرّئيس الشّريف، خراسانيّة، ج: طَرَاخِنَةٌ. والطَّرْخونُ: نبات،

---

(١) وفي التاج: " هو شي من خشب يبسط به الخبازون الجردق. قال: ولم يأت على هاذا الوزن غيره وغير سوسن، وهو (معرب) " .(٦/ ٦٩ ص ب ج).

(٢) القاموس: (١/ ١٩٦ ص ب ج)

(٣) قال الزبيدي:" (نبت، معرب) عن بوذينه، وهو معروف عند الأطباء، ويقال: فودنج، بإهمال الدال". التاج (٦/ ١٤٢ ف ذ ج).

(٤) القاموس: (١/ ٢٠١ ف ذ ج)

(٥) قال الزبيدي:" ومع ذلك لا إخاله عربيًّا: فتأمل". التاج (٦/ ١٦٣ ف ن ج).

(٦) " وهو دابة يفترى بجلده، أي يلبس منه فراء". ينظر: التاج. (٦/ ١٦٣ ف ن ج) .

(٧) القاموس: (١/ ٢٠٢ ف ن ج)

(٨) الكروان، معرب، وهو بالفارسية كبج؛ معرب لأن القاف والجيم لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب"، ينظر: اللسان (٢/ ٣٥١) وقال الزبيدي:" وشاع بحيث إن كثيرا من الأئمة نقله كأنه عربي، واستعمله القدماء في أشعارهم." التاج: (٦/ ١٦٨ ق ب ج).

(٩) القاموس: (١/ ٢٠٣ ق ب ج)

(١٠) السابق: (١/ ٢٠٦ ك ذ ج)

(١١) القاموس: (١/ ١٤٩م ن ج)

معرّب، أصل عروقه العاقر قرحا، (قاطع شهوة الباه) . وكسكّين: سمك صغار تعالج بالملح."[١]. **(كشخ)**: "الكَشْخَانُ، ويكسر: الدَّيّوث[٢]. وكَشَّخَه تَكْشيخاً، وكَشْخَنَه: قال له: يا كَشْخانُ."[٣]. **(بسذ)**: "البُسَّذُ، كسكّر: المرجان، معرّب."[٤]. **(نخذ)**:"النَّواخِذَةُ: ملاّك سفن البحر، أو وكلاؤهم، معرّبة، الواحدة: ناخُذاة، اشتقوا منها الفعل، وقالوا: تَنَخَّذَ، كترأس."[٥]. **(خمز)**: "الخاميزُ[٦]: مرق السِّكباج المبرد المصفّى من الدّهن، أعجميّ."[٧]. **(مجش)**: "الماجُشُونُ، بضم الجيم: السفينة، وثياب مصبّغة، ولقب، معرّب ماهْ كُونْ. والمِنْجَشانيَّةُ: ع على أميال من البصرة، منسوب إلى مَنْجَشٍ، مولى قيس بن مسعود، وهو من تغييرات النّسب."[٨]. **(برن)**: "البَرْنِيُّ: تمر م، معرّب، أصله: بَرِنِيكْ، أي: الحِمل الجيّد. وعليّ بن عبد الرحمن بن الأشقر بن البَرْنِيّ، وست الأدب بنت المظفّر بن البَرْنِيّ: رَوَيا. والبَرْنِيَّةُ: إناء من خزف، والديك الصغير أوّل ما يدرك ج: بَرانِيُّ. ويَبْرينُ أو أَبْرينُ: ع بحذاء الأحساء. وأَبْرِينَةُ، ويكسر: ة بمرو. وبُرِينُ، بالضم: عبد الله أبو هند الداريّ، صحابيّ."[٩]. **(طجن)**: "الطَّجْنُ: القلو. والمِطَجَّنُ، كمعظّم: المقلوّ في الطاجن، كصاحب وحيدر،

---

(١) القاموس: (١/ ٢٥٦ ط ر خ)

(٢) قال ابن سيده:" وهو دخيل في كلام العرب ." المحكم(٤/ ٥٤٥ خ ك ش) .

(٣) القاموس: (١/ ٢٥٨ ك ش خ)

(٤) السابق: (١/ ٣٣١ ب س ذ)

(٥) السابق: (١/ ٣٣٩ ن خ ذ)

(٦) قال الخليل: " الخاميز اسم أعجمي وإعرابه: عامص وآمص." العين: (٤/ ٢١٢ خ ز م).

(٧) القاموس: (١/ ٥١٠ خ م ز)

(٨) السابق: (١/ ٦٠٥ م ج ش)

(٩) السابق: (١/ ١١٧٩ ب ر ن)

لطابق يقلى عليه، معرّبان."[1]. **(كثن)**: "الكُثْنَةُ، بالضم: شيء يتّخذ من آس وأغصان خلاف، تبسط، وينضّد عليها الرّياحين، أصله: كُثْنا[2]، أو هي نَوَرْدَجَةٌ من القصب والأغصان الرّطبة الوريقة، تحزم، ويجعل جوفها النّور."[3].

(١) السابق: (١/ ١٢١٢ ط ج ن)

(٢) قال ابن منظور: " وأصلها نبطية كثنى ." اللسان (١٣/ ٣٥٥ ك ث ن).

(٣) القاموس: (١/ ١٢٢٧ ك ث ن)

المطلب الرابع– ما جاء على أكثر من صورة:

يأتي الجذر الواحد على أكثر من صورة وذلك لأسباب عدة منها:

- **النمو اللغوي:**

من عوامل نمو اللغة واتساعها القلب والإبدال، فبهما تظهر ألفاظ جديدة لها دلالاتها وتنتشر بين الناس وتجري على الألسنة مما يؤدي إلى التوسع اللغوي وتطور اللغة ونموها، كما أن من أسباب النمو اللغوي الانقلابات الصوتية التي لا تحدث إلا نتيجة لأخطاء السمع، والتي يرجع إليها معظم ما يسمى في اللغة العربية بحالات (تعاقب الأصوات) كما ذكر عبد التواب[١]، فيأتي الجذر الواحد على أكثر من صورة وهي كالآتي:

(**قثب**): "المِقاثِبُ: العطايا."[٢]، وقيل: هي لثغة مهملة[٣]. (**لخب**):"لخَبَ المرأَةَ، كمنع ونصر: نكحها، و. فلانا: لطمه. واللَّخَبُ، محركة: شجر المقل، وبهاء: ة بظاهر عدن أبين. والمِلَخَّبُ، كمعظم: المِلَطَّمُ في الخصومات. والمِلاخَبَةُ: الملاطمة."[٤]، قال ابن سيده في معنى النكاح: "والمعروف عن يعقوب وغيره نخبها"[٥]، وقال جماعة: إنها لثغة لبعض العرب[٦]. (**هسب**):

---

(١) التطور اللغوي، عبد التواب: ١٨٧

(٢) القاموس: (١/ ١٢٢ث ق ب)

(٣) التاج:(٣/ ٥١٨ قثب)

(٤) القاموس: (١/ ١٣٤ ل خ ب)

(٥) المحكم: (٥/ ٢١١ل خ ب)

(٦) التاج: (٤/ ٢٠٤ل خ ب).

"الهَسْبُ: الكفاية، كالحسب."[١]. **(بلت)**: "بَلَتَه يَبْلِتُه: قطعه، وكفرح ونصر: انقطع، كانبلت. والبِلّيتُ: كسِكّيتٍ لفظًا ومعنى، والرجل العاقل اللَّبيب. وقد بَلُتَ، ككَرُمَ. وأبْلَتَهُ يمينا: حلّفه. وكَصُرَدٍ: طائرٌ. وكمَقْعَدٍ: ع. وكمُعَظَّمٍ: المحسَّن من الكلام، والمهر المضمون. وبَلتَيْتُهُ بَلْتاتًا: قطعته. وبَلْتٌ: اسم. وكصُرَدٍ: طائرٌ محترق الرِّيش، إن وقعت ريشة منه في الطير أحرقته.[٢]، قال ابن منظور: " زعم أهل اللغة أن بَلَتَه، مقلوب عن: بَتَلَه"[٣]. **(جلت)**: "جَلَتَه يَجْلِتُه: ضربه، كاجْتَلَتَه. والمجلوت الأَلَيَة: الخَفيفُها. واجتَلَتَه: شربه، أو أكله أجمع. والجَليتُ: الجليد. وجالوت: أعجمي. وجُلَّتا، وتضم اللاّم: ة بالنّهروان.[٤]" وفي جلته بمعنى: ضربه، قال الأزهري: "أصله جلدته، فأدغمت الدال في التاء"[٥]. **(صخت)**: "اصْخاتَّ الجرح: سكن ورَمه، و. والمريض: بَرَأَ."[٦]، وعلق الزبيدي على ذلك فقال: "هذه المادّةُ بالسِّين أشبه. هكذا رأيته في كتاب تهذيب الأفعال، لابن القطاع، وفي الصَّحاح، وقد تقدَّم في (سخت) الإشارة إليه عن ابن منظور وغيره، فكان ينبغي للمصنف أن يذكره في محله. وإذا فرض أنّ الصّاد لغة في السّين، كان يشير إليه أو يذكرهما في المحلين كما هو من

---

(١) القاموس: (١/ ١٤٤ هـ س ب)

(٢) القاموس: (١/ ١٤٧ــ ١٤٨ ب ل ت)

(٣) اللسان: (٢/ ١١ ب ل ت) .

(٤) القاموس: (١/ ١٤٩ ج ل ت)

(٥) التهذيب: (١١/ ٦ ج ل ت).

(٦) القاموس: (١/ ١٥٥ ص خ ت)

عادته"[١]. (**عهت**): "رجل مُتَعَهِّتٌ، أي: ذو نيقة وتعتّه."[٢]، قال الأزهري: " وكأنه مقلوب عن المتعته."[٣]. (**فهت**): "المِفْهوتُ: المبهوت."[٤]، قيل: الفاء أبدلت عن الباء، وقيل: لثغة[٥] ، (**كست**): "الكُسْتُ، بالضم: القُسط."[٦]، لغة في الكُسط و (القُسط) ، كلّ ذلك: عن كُراع ... والكاف والقاف يبدل أحدهما من الآخر[٧]. (**نثت**): "نَثِتَ اللحم، كفرح: قلب ثَنِتَ."[٨]. (**نخت**): "النَّخْتُ: النّقر، والنّتخ[٩]، وأن تأخذ من الوعاء تمرة أو تمرتين ، واستقصاء القول لأحد."[١٠]. (**نقت**): "النَّقْتُ: استخراج المخ."[١١]، قال الجوهري: " لغة في نقوته، إذا استخرجته. كأنهم أبدلوا الواو تاء"[١٢]. (**همت**): "هَمَتَ الثَّريدُ: توارى في الدسم. وأهمَت الكلام والضّحك: أخفاه."[١٣]، وقيل إن الهمت من

---

(١) التاج: (٤/ ٥٨٦ص خ ت).
(٢) القاموس: (١/ ١٥٦ ع ه ت)
(٣) التهذيب: (١/ ١٠٠ع ه ت).
(٤) القاموس: (١/ ١٧٥ ف ه ت)
(٥) التاج: (٥/ ٣٣ ف ه ت).
(٦) القاموس: (١/ ١٥٨ ك س ت)
(٧) ينظر: التاج: (٥/ ٥٩ ك س ت)
(٨) القاموس: (١/ ١٦١ ن ث ت)
(٩) مقلوبه بمعناه.
(١٠) القاموس: (١/ ١٦١ ن خ ت)
(١١) السابق: (١/ ١٦١ ن ق ت)
(١٢) الصحاح (١/ ٢٦٩ن ق ت).
(١٣) القاموس: (١/ ١٦٣ ه م ت)

الهمس، فالتاء بدل من السين[١]. **(دحث)**: "الدَّحْثُ: الرجل الجيد السّياق للحديث."[٢]، كأنه مقلوب الحدث[٣]. **(عفث)**: "الأَعْفَثُ: الرجل الكثير التَّكشُّف."[٤]، والصواب بالتاء بنقطتين[٥]. **(عنث)**: "العُنْثُوَةُ، بفتح العين وضمّها: يبيس الخلى، خاصّة إذا بلي، كالعُنْثَة، مثلثة، ج: عناثي كتراقي. وباعَيْناثَى: ة ببغداد."[٦] ، وفي التاج: العنثوة، كالعنفوة، وقيل: إن الثاء بدل عن الفاء[٧]. **(فحث)**: "فَحَثَ عنه، كمَنَعَ: فحص، كافتحث، والفَحِثُ، ككتف: الحَفِثُ[٨]."[٩]، **(كلث)**: "انْكَلَثَ: تقدم. والمِكْلَثُ، كمِنبرٍ: الماضي في الأمور."[١٠]، قال الزبيدي: وهو خطأ ؛ فإن الماضي في الأمور هو المكلت المصلت، بالتّاء الفوقِيّة[١١]. **(لغث)**: "اللَّغيثُ: الغَليثُ في معنييه."[١٢]. **(بنح)**: "بَنَحَ اللحم، كمنع: قطعه وقسمه. والبُنُحُ، بضمّتين: العطايا، كأنّ

---

(١) التاج: (٥/ ١٤٤ هـ م ت).

(٢) القاموس: (١/ ١٦٩د ح ث)

(٣) ينظر: التاج (٥/ ٢٤٨ د ح ث).

(٤) القاموس: (١/ ١٧٢ ع ف ث)

(٥) ينظر: التاج (٥/ ٣٠١ ع ف ث).

(٦) القاموس: (١/ ١٧٣ ع ن ث)

(٧) ينظر: التاج (٥/ ٣٠٥ ع ن ث).

(٨) وهو القِبة ذات الأطباق من الكرش ينظر: التاج (٥/ ٣٢١ ف ح ث).

(٩) القاموس: (١/ ١٧٤ ف ح ث)

(١٠) السابق: (١/ ١٧٥ ك ل ث)

(١١) التاج: (٥/٣٣٥ ك ل ث).

(١٢) القاموس: (١/ ١٧٥ ل غ ث)

أصله: مُنُحٌ."[١]، يقول الأزهري: " الأصل فيها المنح جمع المنيحة فقلبت الميم باء"[٢]. **(ثعج)**: "الثَّعَجُ، محركة: الجماعة في السّفر."[٣]، قال الخليل:" العثج والثعج والأول أنسب"[٤]. **(ضلج)**: "الضَّوْلَجُ: الفضَّة، والصواب بالصاد المهملة."[٥]. **(ضهج)**: "أضْهَجَتِ الناقة: ألقت ولدها."[٦]، وقال ابن منظور: " أضهجت الناقة: كأضجهت، إما مقلوب وإما لغة؛ عن الهجري"[٧]. **(عبج)**:"العَبَجَةُ، محرّكة: البغيض الطّعام، الذي لا يعي ما يقول، ولا خير فيه."[٨]، وقال إسحاق بن الفرج: سمعت شجاعا السلمي يقول: العبكة: الرجل البغيض الطغامة الذي لا يعي ما يقول ولا خير فيه. قال: وقال مدرك الجعفري: هو العبجة، جاء بهما في باب الكاف والجيم[٩]. **(لخج)**: "اللَّخَجُ، محركة: أسوأ الغمص، وعينٌ لَخِجَةٌ أو الصوابُ: بالمعجمتين."[١٠]، قال الزبيدي:

---

(١) السابق: (١/ ٢١٤ ب ن ح)

(٢) التهذيب: (٥/ ٧٦ح ن ب)

(٣) القاموس: (١/ ١٨٢ ث ع ج)

(٤) العين: (١/٢٢١ع ث ج).

(٥) القاموس: (١/ ١٩٧ ض ل ج)

(٦) القاموس: (١/ ١٩٧ ض ه ج)

(٧) اللسان (٢/ ٣١٦ ض ه ج).

(٨) القاموس: (١/ ١٩٧ ع ب ج)

(٩) ينظر: التهذيب: (١/ ٢٤٨ ع ج ب)

(١٠) القاموس: (١/ ٢٠٤ ل خ ج)

"الصّواب ما قاله أبو منصور: لخخت عينه، (بمعجمتين)[1]، أما الأول فإنه شبيه بالتصحيف، وكذا لححت عينه، بحاءين: إذا التصقت بالغمص. قال: قال ابن الأعرابي وغيره. وأما اللخج فإنه غير معروف في كلام العرب، ولا أدري ما هو"[2]. **(تشح)**: "التَّشْحَةُ، بالضم: الجِدُّ، والحَمِيَّةُ، والأصل: وُشْحَةٌ، قال الطرماح[3]:

ملا بائصاً ثم اعترته حَمِيَّةٌ ... على تُشْحَةٍ من ذائد غير واهن

أي: على حَمِيَّةِ غضب، و.: الجبن، والفرق، أو الحَرد، وخُبث النَّفْس، والحرص، كالتَّشَحِ، محركة في الكل. ورجل أتْشَحُ."[4]، قال الأزهري: "أظن التُّشْحة في الأصل أُشْحَة، فقلبت الهمزة واواً، ثمَّ قُلِبت تاء، كما قالوا: تُراثٌ وتقوى"[5]. **(فثح)**: "الفَثِحُ: كالفحث وزنًا ومعنى، ج: أفثاحٌ."[6]. **(قشح)**: قَشاحِ، كقَطام: الضَّبع. وثوب قاشِح: قاسِح. والقُشاحُ، كغُراب: اليابس."[7]، ويقول الزبيدي: القشاح كالقُساح بالسين، وهذه المادة تركها الجوهري وابن منظور.[8]. **(نظح)**: "أنْظَحَ السنبل: جرى الدّقيق فيه، كأَنْضَحَ

---

(١) التهذيب: (٦/ ٣٠٥ خ ل)

(٢) التاج: (٦/ ١٨٧ ل خ ج).

(٣) ينظر: ديوان الطرماح: ص ٢٧٩ .

(٤) القاموس: (١/ ٢١٤ ت ش ح)

(٥) التهذيب: (٤/ ١٠٥ ح ش ت).

(٦) القاموس: (١/ ١٣٣ ف ث ح)

(٧) السابق: (١/ ٢٣٦ ق ش ح)

(٨) التاج: (٧/ ٦٠ ق ش ح).

بالضَّادِ."[١]، ونقله الأزهريّ وقال: "الّذي حفظناه وسمعناه من الثِّقات نضح السُّنبل (كأَنضَحَ بالضَّاد) المعجمة. قال: والظّاءُ بهذا المعنى تصحيفٌ، إلاّ أن يكون محفوظًا عن العرب فتكون لغة من لغاتهم، كما قالوا: بَضْرُ المرأة لبظرها"[٢]. **(دبخ)**: "دَبَّخَ تَدْبِيخًا: قبّب ظهره، وطأطأ رأسه. وكرمّان: لعبة."[٣]، بالخاء والحاء جميعا، عن أبي عمرو، وابن الاعرابي[٤]. **(سمخ)**: "السِّماخُ، بالكسر: الصِّماخُ. وكمنعه: أصاب سِماخَه فعقره، و. الزرع: طلع أولاً. وإنه لحسن السِّمخَةِ، بالكسر: كأنَّه مأخوذ من السِّماخِ: العِفاص."[٥]. **(صنخ)**: "الصِّنْخُ، بالكسر: السِّنْخُ. وفم صَنِخٌ، ككتف: خرجت أصناخُه. ورجل صُناخِيَّةٌ: ضخم. والصَّنَخَةُ، محركة: الدّرن."[٦]. **(طلخ)**: "الطَّلْخُ: الغرين[٧] الذي تبقى فيه الدّعاميص[٨]، فلا يقدر على شربه، واللّطخ به، والتّسويد، وإفساد الكتابة، واللّطخ بالقذر. والطَّلخاء: الحمقاء، وع بمصر على

---

(١) القاموس: (١/ ٢٤٥ ن ظ ح)

(٢) التهذيب: (٤/ ٢٦٤ ح ظ ن).

(٣) القاموس: (١/ ٢٥٠ د ب خ)

(٤) ينظر: الصحاح: (١/ ٤٢٠ د ب خ).

(٥) القاموس: (١/ ٢٥٣ س م خ)

(٦) القاموس: (١/ ٢٥٥ ص ن خ)

(٧) الغرين والغريل ما بقي في أسفل القارورة من الثفل وأسفل الغدير من الطين. ينظر التهذيب: (٨/ ١٠٨ غ ر ن)

(٨) الدعموص: دويبة صغيرة تكون في مستنقع الماء، وقيل: هي دويبة تغوص في الماء، والجمع الدعاميص والدعامص أيضا. ينظر اللسان: (٧/ ٣٦ د ع م ص)

النيل المفضي إلى دمياط. واطلَخَّ اطلِخاخًا: تفرق، و. دمعه: سال."[١]، قال ابن فارس:" الطاء واللام والخاء ليس بشيء، وذكروا فيه كلمة كأنها مقلوبة. قال الخليل: الطلخ: اللطخ بالقذر. ويقال: الغرين الذي يبقى في أسفل الحوض."[٢]. **(حكد)**: "حَكَدَ إلى أصله يَحْكِدُ: رجع. وأحْكَدَ عليه: تقاعس، واعتمد، كحاكد. والمِحْكِدُ: المحتد، والملجأ.[٣]، قال ابن فارس: "الحاء والكاف والدال حرف من باب الإبدال. يقال للمحتد: المحكد"[٤]. **(حلد)**: "إبل مَحالِيدُ: ولَّت ألبانها."[٥]، قال الزبيدي: "وقد تقدَّم له هذا المعنى بعينه: إبل مَجالِيد. فإن لم يكن تصحيفاً من بعض الرّواة فلا أدري"[٦]. **(جضد)**: "رجل جَضْدٌ: جَلد، يبدلون اللام ضادًا ."[٧]. **(رخد)**: "الرَّخْوَدَةُ: اللّين، والنّعومة، والخِصب، وسعة العيش. وهو رِخوَدٌّ، كإردبّ، وهي بهاء: ليّن العظام سمين."[٨]، قال أبو الهيثم: الرخود: الرخو. زيدت فيه الدال، وشددت _ كما قيل: ((فعم وفعمل))[٩]. **(لثد)**: "لَثَدَ القصعة بالثّريد يَلْثِدُها: جمع بعضه على

---

(١) السابق: (١/ ٢٥٦ ط ل خ)
(٢) مقاييس اللغة: (٣/ ٤١٨ط ل خ)
(٣) القاموس: (١/ ٢٧٨ ح ك د)
(٤) المقاييس: (٢/ ٩٢ ح ك د).
(٥) السابق: (١/ ٢٧٨ ح ل د)
(٦) التاج: (٨/ ٣٨ح ل د).
(٧) القاموس: (١/ ٢٧٣ ج ض د)
(٨) السابق: (١/ ٢٨٢ ر خ د)
(٩) ينظر: التهذيب: (١٢١/٧خ د ر)

بعض، وسوَّاه، و. المتاع: رثده. واللِّثْدَةُ، بالكسر: الجماعة المقيمون لا يظعنون."[١]، قال الأزهري: " فهو لثيد ورثيد "[٢]. **(حبذ)**: "لا تُحَبِّذْنِي تحبيذا: لا تقل لي حبذا."[٣]، وهو من الألفاظ المولدة المنحوتة من قولهم: حبذا، في المدح، ولا حبذا، في الذم ... وليس من اللغة من شيء فلذلك لم يذكره الجوهري وغيره من أئمة اللغة[٤]. **(بضر)**: "البَضْرُ: نوف الجارية قبل أن تُخفض، لغة في الظاء."[٥]، قال المفضل: من العرب من يبدل الظاء ضادا، فيقول: قد اشتكى ضهري. ومنهم من يبدل الضاد ظاء فيقول: قد عظت الحرب بني تميم[٦]. **(تغر)**: "التَّغَرانُ، محركة: الغليان، والفعل: كمَنَعَ وعَلِمَ، أو الصواب بالنون، ولم يسمع: تَغَرَ بالتاء، وإنما تصحَّف على الخَليلِ، وتبعه الجوهري وغيره. والتُّغُورُ: انفجار السَّحاب بالماء، والكلب بالبول . والتِّيغارُ، كقِيفالٍ: الإِجَّانَةُ وجرح تَغَّارٌ: تَعَّارٌ. وناقة تَغَّارَةٌ، أي: تَزَبَّدُ عند العَدْو، وتشتد، ولا تنثني في مرها. وتَغَرَ العِرق، كمَنَعَ: انفجر، و. القِربة: خرج الماء من خَرقٍ فيها."[٧]. **(تهر)**: التَّيْهورُ: ما اطمأن من الأرض، وما بين أعلى الوادي والجبل

---

(١) القاموس: (١/ ٣١٧ ل ث د)

(٢) التهذيب: (١٤/ ٦٤د ث ل)

(٣) القاموس: (١/ ٣٣٢ ح ب ذ)

(٤) ينظر: التاج: (٩/ ٣٩٣ح ب ذ).

(٥) القاموس: (١/ ٣٥٢ ب ض ر)

(٦) ينظر: التهذيب: (١٢/ ٢٣ ض ر ب)

(٧) القاموس: (١/ ٣٥٦-٣٥٧ ت غ ر)

وأسفلهما[١]، والرجل التائه المتكبر، وموج البحر المرتفع ، و. من الرمل: ما له جُرُف، ج: تَياهيرُ وتَيَاهِرُ. والتَوْهَرِيُّ: السنام الطَّويل. والتَّاهورُ: السّحابُ."[٢]، والتيهور كما قال الأزهري: "هو فيعول، أصله ويهور قلبت الواو تاء، كما قالوا: تيقور أصله ويقور، من الوقار"[٣]. (**خعر**): "الخَيْعَرَةُ: خفَّة وطيش."[٤]، يقول الزبيدي: "الهَيْعَرَة: الخفة والطيش، وهو عن ابن دريد، فلعل ما ذكره المصنف هنا لغة فيه أو لثغة، فلينظر"[٥]. (**بخز**): "بَخَزَ عينه، كمنع: فقأها. وأبخاز: جيل من الناس."[٦]، قال الأزهري نقلا عن الأصمعي:"يقال: بخز عينه وبخسها ــ إذا فقأها وبخصها كذلك"[٧]. (**حقز**)" "الحاقِزَةُ: التي تَحْقِزُ برجلها، أي: ترمح بها، كأنه مقلوب القاحِزَةِ."[٨]. (**طبز**): "الطِّبْزُ، بالكسر: ركن الجبل، والجمل ذوالسنامين."[٩]، يقول الزبيدي: "وقد تقدّم للمُصنّف ذكره في موضعين في طبر وفي طير وهذا الثَّالث، فلا أدري أيّ ذلك تصحيف"[١٠]. (**فخز**): "فَخِزَ:

---

(١) نجديّة هذليّة . ينظر: التاج (١٠ / ٣٠٠ ت هـ ر) .

(٢) القاموس: (١/ ٣٥٧ ت هـ ر)

(٣) التهذيب: (٦/ ١٢٩هـ ت ر)

(٤) القاموس: (١/ ٣٨٦ خ ع ر)

(٥)التاج: (١١/ ٢٠٤ خ ع ر).

(٦) القاموس: (١/ ٥٠٢ ب خ ز)

(٧) ينظر: التهذيب: (٧/ ٩٨ خ ز ب)

(٨) القاموس: (١/ ٥٠٩ ح ق ز)

(٩) السابق: (١/ ٥١٥ ط ب ز)

(١٠) التاج: (١٥/ ١٩٤ ط ب ز).

كفرح ومنع: تكبّر، كتَفَخَّزَ، أو جاء بفَخْزِهِ وفَخْزِ غيره، كاذبًا في مفاخرته. والفَخْزُ: الفضل، والإفضال. والفاخِز: التّمر الذي لا نوى له، أو هو بالراء، وهو الصحيح. والفَيْخَزُ: الجردان، والفرس الضخم الجردان[١] ، والعظيم الذّكر من الناس والخيل."[٢]. **(رخس)**: "أرْخَسَ السِّعر: أرخصه."[٣]، قال الصاغاني:"أرخس السعر لغة في أرخصه "[٤]. **(محس)**:"مَحَسَ الجلد، كمنع: دلكه، ودبغه. والأمْحَسُ: الدّبّاغ الحاذق."[٥]، وأصله المعس، أبدليت العين حاء[٦]. **(فخش)**: "فَحَشَ الأمر، كمنع: ضيَّعه."[٧]، كأنه مقلوب فشخه[٨]. **(كبص)**: "الكُبَاصُ والكُباصةُ، بضمهما، من الإبل والحمر ونحوهما: القويّ على العمل."[٩]، أو الصواب بالنون[١٠]. **(بهض)**: "بَهَضَنِي الأمْرُ، كمنع، وأبْهَضَنِي، أي: فَدَحَنِي، وبالظاء أكثر."[١١]. **(جثط)**: "جَثَطَ بغائطه يَجْثِطُ:

---

(١) ذكره ابن دريد بهذا المعنى في الجمهرة، ولكن في مادة خ ر ف (١/ ٥٨٩) .
(٢) القاموس: (١/ ٥٢٠ ف خ ز)
(٣) السابق: (١/ ٥٤٨ ر خ س)
(٤) التكملة: (٣/ ٢٦١ر خ س).
(٥) القاموس: (١/ ٥٧٤ م ح س)
(٦) التاج: (١٦/ ٤٩٦م ح س)
(٧) القاموس: (١/ ٦٠٠ ف خ ش)
(٨) ينظر: التاج: (١٧/ ٢٩٩ ف خ ش).
(٩) القاموس: (١/ ٦٢٩ ك ب ص)
(١٠) ينظر: التاج: (١٨/ ١٣٥ ك ب ص).
(١١) القاموس: (١/ ٦٣٧ ب هـ ض)

رمى به رَطباً منبسطًا."[١]، قال الزبيدي: "وأنا أخشى أن يكون مصحفًا من حبط، بالحاء والموحدة، فتأمل"[٢]. **(تقع)**: "التَّقَعُ، محركة: الجوع. وجوع تَقِعٌ، ككتف: شديد."[٣]، ولعل تاءه بدل من الدال[٤]. **(ثلع)**: "ثَلَعَ رأسه، كمنع: شدخه. وكمعظّم: المشَدَّخُ من البُسر، أو الصواب بالغين."[٥]، وقد ذكر ابن دريد هذا المعنى في (ثلغ)، فقد يكون بالعين تصحيف أو لغة[٦]. **(قثع)**: "القُثْعُ بالضم: الشَّبُّورُ، وليس بتصحيف قُبْعٍ بالموحّدة، ولا قُنْعٍ بالنون."[٧]، "وأما القثع فعن أبي عمر الزاهد أنه أثبته وقد أباه الأزهري وكأنه من قثع مقلوب قعث"[٨]، وقال الخطابي: سمعت أبا عمر الزاهد يقوله بالثاء المثلثة، ولم أسمعه من غيره[٩]. **(ثرغ)**: "ثُرُوغ الدّلاء: ما بين العَراقي، الواحد: ثَرْغٌ. وثَرِغَ زيد، كفرح: اتّسع مصبّ دلوه."[١٠]، فعن كُراع: فروغ الدلو ... ويقال ثروغ[١١]،

---

(١) السابق: (١/ ٦٦١ ج ث ط)

(٢) التاج (١٩/ ١٨٦ ج ث ط).

(٣) القاموس: (١/ ٧٠٧ ت ق ع)

(٤) التاج: (تقع ٢٠/ ٣٩٥).

(٥) القاموس: (١/ ٧٠٨ ث ل ع)

(٦) ينظر: الجمهرة:(١ / ٤٢٨ث غ ل) .

(٧) القاموس: (١/ ٧٤٨ ق ث ع)

(٨) ينظر: الفائق: (٣/ ٢٢٨).

(٩) ينظر: غريب الحديث للخطابي: (٣/ ١١٦).

(١٠) القاموس: (١/ ٧٨٠ ث ر غ)

(١١) ينظر: المنجد في اللغة: (١/ ٢٨٩ ف ر غ).

فالثاء بدل من الفاء. (**جلغ**): "جَلَغَ بعضهم بعضاً بالسيف: هَبَرَ.ونابٌ جَلْغاءُ: ذاهبة الفم. والمجالَغَةُ: الضحك بالأسنان، و.: المكافحة بالسيف."[١]، يقول الزبيدي:" هكذا نقله الصّاغانيّ عن الخارْزنجي، ...، وهذا الحرف أشد شبها بِجلع، بالعين المهملة، إن لم يصحفه الخارزنجي، ولا أومن عليه ذلك"[٢]. (**زبغ**): "أخذه بِزَبَغِه، محرّكة، أي: بجملته وحدثانه."[٣]، وهو تصحيف والصواب بربغه بالراء[٤]. (**شجغ**): "الشَّجْغُ: نقل القوائم بسرعة. وجمل أشْجعُ: مُقدِمٌ، عن العُزَيْزِيّ، والصواب بالعين."[٥]. (**زخف**): "زَخَفَ، كمنع، زَخْفًا وزَخيفًا: فخر، وتكبر، وهو زاخِفٌ ومِزْخَفٌ. والتَّزْخيفُ في الكلام: الإكثار منه، وأخذك من صاحبك بأصابعك الشَّيذَقَ. وتَزَخَّفَ: تَحَسَّنَ وتَزَيَّنَ."[٦]، قال الأزهري: "أظن زخف مقلوبًا عن فخز"[٧]. (**مخل**): "المِاخِلُ: الهارب، كالمالِخِ."[٨]. (**صخم**): "كاصْطَخَمَ. وصَخَمَتْهُ الشمس: لفحته. والصَّخْماءُ: الحَرَّةُ المختلطة السهل بالغِلظ."[٩]، وفي التهذيب:" والمصطخم مفتعل من صخم، وهو ثلاثي،

---

(١) القاموس: (١/ ٧٨٠-٧٨١ ج ل غ)
(٢) التاج: (٢٢/ ٤٦٢ ج ل غ) .
(٣) القاموس: (١/ ٧٨٣ ز ب غ)
(٤) التاج: (٢٢/ ٤٩٢ ز ب غ).
(٥) القاموس: (١/ ٧٨٤ ش ج غ)
(٦) السابق: (١/ ٨١٥ ز خ ف)
(٧) التهذيب: (٧/ ٩٧خ ز ف)
(٨) القاموس: (١/ ١٠٥٧ م خ ل)
(٩) القاموس: (١/ ١١٢٩ ص خ م)

ولم أجد ل ((صخم)) ذكرا في كلام العرب"[١]، ويقول الزبيدي: "وكان في الأصل مصتخم فقلبت التاء طاء"[٢]. **(جذن)**: "الجِذْنُ، بالكسر: الجِذْلُ[٣]، والأصل، وجَوْذَنَةُ: مولاة أبي الطُّفَيل، أو هي جَوْنَةُ. وجَوْذانٌ، أو ابن جَوذانٍ: صحابِي."[٤]، **(خذن)**: "الخُذُنَّتانِ، بضم الخاء والذال المعجمة وفتح النون المشددة: الإِسْكَتانِ، أو الخُصْيتانِ، أو الأذُنان، لغةٌ في الحاء."[٥]، وعدّه الأزهري من باب التصحيف فقال: "هذا تصحيف منكر، والصَّواب بالحاء"[٦]. **(عتن)**: "العُتُنُ، بضمتين: الأشدّاء، الواحد: عَتونٌ وعاتِنٌ. وعَتَنَهُ إلى السجن يَعْتِنُه ويَعْتُنُه: دفعه شديدا عنيفا. وأعْتَنَ على غريمه: آذاه، وتشدد. وعِتانٌ، ككتاب: ماءٌ حِذاءَ خيبر."[٧]، وحكى يعقوب أن نون عتنه بدل من لام عتله[٨].

---

(١) التهذيب: (٧/ ٧٤) .

(٢) التاج (٣٢/ ٤٩٥ص خ م)

(٣) ابدلت اللام نونًا.

(٤) القاموس: (١/ ١١٨٥ ج ذ ن)

(٥) السابق: (١/ ١١٩٣ خ ذ ن)

(٦) التهذيب: (٧/ ١٤١ خ ذ ن) .

(٧) القاموس: (١/ ١٢١٤ ع ت ن)

(٨) ينظر: التاج: (٣٥/ ٣٧٢ ع ت ن)

● **لهجات القبائل:**

حيث يأخذ الجذر أكثر من صورة لاختلاف استعمال القبائل العربية له، وهي كالآتي:

(**حلت**) "الحَلِيتُ: الجليد والصّقيع، والبرد"[١]، وهي بلغة طيء كما قال ابن سيده[٢]. (**خمت**): "الخَميتُ: السّمين، وبوزنه."[٣]، وذكرها الأزهري بأنها:" اسم السمين بالحميرية"[٤].(**سقت**): "سَقِتَ، كفَرِح سَقْتَاً وسَقَتاً، فهو سَقِتٌ: لم تكن له بركة."[٥]، يقول الزبيدي:" ويشبه أن يكون لغة في: سفت...وقد أهمله الجماعة"[٦]. (**غبث**): "الغَبْثُ: لتّ الأقط بالسّمن، والاسم: الغبيثة، وهي كالعبيثة في معانيها. والأغبث: الأبغث. وقد اغْبَثَّ اغْبثاثاً."[٧]، رويت هذه الكلمة في التهذيب بالعين أيضًا وقال الأزهري: "وهما عندي لغتان بالعين والغين "[٨] .(**رفج**): "الرَّفوجُ، كصبور: أصل كرب النخل،

---

(١) القاموس: (١/ ١٥٠ح ل ت).

(٢) ينظر: المحكم (حلت ٣/ ٢٧١).

(٣) القاموس: (١/ ١٥١ خ م ت).

(٤) التهذيب (خمت ٧/ ١٣٩).

(٥) القاموس: (١/ ١٥٣ س ق ت).

(٦) التاج. (٤/ ٥٥٨ س ق ت).

(٧) القاموس: (١/ ١٧٣ غ ب ث).

(٨) ينظر: التهذيب (غبث ٨/ ١٠٤) .

أَزْدِيَّةٌ."[١]، وشك الأزهري في أصلها وقال: "ولا أدري: أعربي أم دخيل"[٢].
(شبج): "الشَّبَجُ، محركة: الباب العالي البناء، أو الأبواب، واحدها بهاءٍ. وأشْبَجَه: رَدَّه."[٣]، وقيل هي هذليَّة[٤]. **(عثج)**: "العَثْجُ، ويحرك: الثَّعْجُ، الجماعة من الناس"[٥]، قال الخليل:" الثعج والعثج، لغتان، وأَصوبهما العثج"[٦].
(ردخ): "الرَّدْخُ: الشَّدخُ، وبالتحريك: الرَّدَغُ."[٧]، عمانية[٨]. **(مضخ)**: "مَضَخَ، كمنع: لطخ الجسد بالطِّيب."[٩]، وهي لغة شنعاء في الضمخ[١٠].
(ثلد): "ثَلَدَ الفيل يَثْلِدُ: سلح رقيقا."[١١]، قال الصاغاني: "لغة في ثَلَط: بالطاء"[١٢]. **(بشط)**: "بَشِّطْ يا فلان تَبْشيطاً، وأبْشِطْ بمعنى: عَجِّل وأعجِل، لغة عراقيَّة مستهجنة."[١٣]. **(ستع)**: "المِسْتَعُ، كمِنبَرٍ: الرجل السريع الماضي في

---

(١) القاموس: (١/ ١٩٠ ر ف ج).
(٢) التهذيب (رفج ١١/ ٣٥).
(٣) القاموس: (١/ ١٩٥ ش ب ج).
(٤) ينظر: التاج (٦/ ٥٤ ش ب ج).
(٥) القاموس: (١/ ١٩٧ع ث ج).
(٦) – العين (١/ ٢٢١ ع ث ج) .
(٧) القاموس: (١/ ٢٥١ر د خ).
(٨) التهذيب (٧/ ١٢١ خ د ر).
(٩) القاموس: (١/ ٢٦٠م ض خ).
(١٠) العين (٤/ ١٨١ خ ض د)
(١١) القاموس: (١/ ٢٧٠ ث ل د).
(١٢) التكملة (٧/ ٤٦٧ ث ل د).
(١٣) القاموس: (١/ ٦٥٩ ب ش ط).

أمره، والمنكمش، كالمنْسَتِع."[1]، ونقله ابن عباد أيضا هكذا، وقال: هو لغة في المزدع[2].**(بثغ)**: "البَثَغُ، بالمثلثة محركة: ظهور الدم في الجسد."[3]، لغة في البَثَغِ بالعين المهملة[4]. **(ثدغ)**: "ثَدَغَ رأسه، كمنع: شدخه، فانْثَدَغَ."[5]، ويقول الزبيدي: "وهو لغة في فدغه بالفاء، مثل: جدث وجدف"[6]. **(رثغ)**: "الرَّثَغُ، محركة: لغة في اللَّثغ"[7]، **(تكل)**: "تَكِلَ عليه، كفَرِح: لغة في اتَّكَلَ، ذكرته على اللّفظ."[8]. **(ذبن)**: "الذُّبْنةُ، بالضم: ذبول الشفتين من العطش، لغة في الذُّبلة."[9]. **(شتن)**: "الشَّتْنُ: النَّسج، والحياكة، وهو شاتِنٌ وشَتُونٌ."[10]، قال الأزهري: " وهي لغة هذلية "[11].

المطلب الخامس– المشكوك في أصله أو لم يسمع عن العرب الفصحاء:

---

(١) السابق: (١/ ٢٧٢ س ت ع).
(٢) ينظر: التاج (٢١/ ١٧٩س ت ع).
(٣) القاموس: (١/ ٧٧٩ ب ث غ).
(٤) ينظر: التكملة:(٤/ ١٩٧ب ث غ)
(٥) القاموس: (١/ ٧٨٠ ث د غ).
(٦) التاج: (٢٢/ ٤٥٨ث د غ)
(٧) القاموس: (١/ ٧٨٢ ر ث غ).
(٨) السابق: (١/ ٩٧٠ ت ك ل)
(٩) القاموس: (٢٧٩/١ذ ب ن).
(١٠) السابق: (١/ ١٢٠٨ ش ت ن).
(١١) التهذيب (١١/ ٢٢٥ ش ت ن)

(خعب): "الخيعابَةُ، بالكسر: الرجل الرَّديء الدَّنيء."[١]، قال الزبيدي[٢]: ولم يسمع إلا في قول تأبط شرا[٣]:

ولا خرع خيعابة، ذي غوائل هيام، كجفر الأبطح المتهيل

(زدب): "الزِدْبُ، بالكسر: النَّصيب، ج: الأَزْدابُ."[٤]، قال الزبيدي: "وهو غريب"[٥]. **(زهب)**:"الزُّهْبَةُ، بالضم، والزِّهْبُ، بالكسر: القطعة من المال."[٦]، وكثير من شيوخ اللغة يقولون: إنها عامية لا تثبت عن العرب[٧]. **(زمخ)**: زَمَخَ، كمنع: تكبّر. والزامِخ: الشامِخ، و. من الكيل: الوافر. وعُقبَة زَمُوخٌ وزَمَخٌ ، محركة: بعيدة شديدة. وكقُبَّيْطٍ: كورة ببيهق."[٨]، وقال ابن فارس:" الزاء والميم والخاء ليس بأصل. قال الخليل: الزامخ الشامخ بأنفه. والأنوف الزمخ: الطوال. وهذا إن كان صحيحًا فالأصل فيه الشين " شمخ "[٩]. **(نثد)**: "نَثِدَ ، كفرح: سكن، وركد".[١٠]، و" في حديث عمر «إذا تركته

---

(١) القاموس: (٨١/١ خ ع ب)

(٢) ينظر: التاج: (١/ ٣٦٣خ ع ب)

(٣) ينظر: ديوانه: ١٧٤

(٤) القاموس: (٩٣/١ ز د ب)

(٥) التاج: (٣/ ١٠ز د ب).

(٦) القاموس: (٩٥/١ ز هـ ب)

(٧) التاج: (٣/ ٢٩ز هـ ب).

(٨) القاموس: (٢٥٢/١ ز م خ)

(٩) مقاييس اللغة: (٣/ ٢٣ ز م خ).

(١٠) القاموس: (٣٢١/١ ن ث د)

نثد» قال الخطابي: لا أدري ما هو. وأراه «رثد» بالراء. أي اجتمع في قعر القدح. ويجوز أن يكون «نثط» فأبدل الطاء دالا للمخرج"[١]. **(لجز)**: "اللَّجِزُ، ككتف: قلب اللّزج. واستشهاد الجوهري ببيت ابن مقبل تصحيف واضح[٢]، والصّواب في البيت اللَّجن، بالنون. والقصيدة نونيّة."[٣]. **(بحش)**: "بَحَشُوا، كمنعوا: اجتمعوا. قاله اللّيث، وخُطّئ، أو الصواب: تَحَبَّشوا."[٤]، وجاء في التهذيب:" قال الليث: بهش القوم وبحشوا: أي اجتمعوا. قلت: هذا عندي وهم، والذي أراده الليث: تحبشوا وتهبشوا: إذا اجتمعوا الهاء والحاء قبل الباء، ولا يعرف بحش في كلام العرب."[٥]. **(غبض)**: "التَّغْبِيضُ: أن يريد الإنسان بكاء فلا تجيبه العين."[٦]. قال الأزهري بعد أن نقل هذ المعنى عن الخليل: "وهذا حرف لم أحفظه لغيره، ولا أدري ما صحته."[٧] **(نثم)**: "نَثَمَ يَنْثِمُ، وانْتَثَمَ: تكلم بالقبيح."[٨]، وأورده الأزهري فقال: "لا أدري: انتثمت بالثاء، أو انتتمت بتاءين، والأقرب أنه من نثم ينثم لأنه أشبه بالصواب ولا أعرف

---

(١) غريب الحديث، الخطابي (٢/ ٩٩)

(٢) البيت هو (يعلون بالمردقوش الورد ضاحية * على سعابيب ماء الضالة اللجز) ينظر: الصحاح (٣/ ٨٩٤ ل ج ز).

(٣) القاموس: (١/٥٢٣ ل ج ز)

(٤) السابق: (١/٥٨٤ ب ح ش)

(٥) التهذيب: (٦/ ٥٧ هـ ش ب)

(٦) السابق: (١/٦٤٨ غ ب ض)

(٧) التهذيب: (٨/ ٥٦ غ ض ب)

(٨) القاموس: (١/١١٦١ ن ث م)

واحدا منهما."[١]. **(خفن)**: "الخَفْنُ: استرخاء البطن. والخَيْفانُ: الجراد. والخَفَّانُ: الحَفَّانُ."[٢]. قال الأزهري: "وروى أبو العباس ــ عن ابن الأعرابي ــ: أنه قال: الخفن: استرخاء البطن. قلت: وهو حرف غريب لم أسمعه لغيره".[٣] **(صتن)**: "الصُّوَتِنُ، كعُلَبِطٍ وتفتح تاؤه، ولا نظير له في الكلام: البخيل."[٤]

(١) التهذيب: (١٤/ ٢١٧ ت ن م)
(٢) القاموس: (١/١١٩٤ خ ف ن)
(٣) التهذيب: (٧/ ١٨٥ خ ن ف)
(٤) القاموس: (١/١٢١٠ ص ت ن)

المطلب السادس– ما تفرد به بعض اللغويين:

ذكر الفيروز آبادي أصولاً نقلتها المعاجم عن عدد من اللغويين، أو جاءت مستدركة في كتب اللغة وهي من الأصول مهملة عند ابن دريد، وهي:

(**جهب**): "الجَهْبُ: الوجه السّمج الثقيل. والمِجْهَبُ، كمنبر: القليل الحياء[١]. وأتاه جاهِبًا وجاهيًا[٢]: علانية."[٣].(**دكب**): "المِدْكوبَةُ[٤]: المعضوضة من القتال."[٥]. (**دهب**): "الدَّهْبُ، بالفتح[٦]: العسكر المنهزم."[٧]. (**ذكب**): "المِذْكُوبَةُ[٨]: المرأة الصالحة."[٩]. (**سطب**): "المساطِبُ: سَنادين الحدّادين[١٠]، والمياه السُّدم[١١]، والدّكاكين يقعد عليها[١٢]، جمع مَسْطَبَة، وتُكسر."[١٣]. (**ضنب**): "ضَنَبَ به الأرض يضنب: ضرب، و.

---

(١) رواه أبو العباس عن ابن الأعرابي. ينظر: التهذيب (٦/ ٤٢ هـ ج ب).

(٢) عن ابن شميل . ينظر: التهذيب (٦/ ٤٢ هـ ج ب).

(٣) القاموس: (١/٧٠ ج هـ ب)

(٤) عن ابن الأعرابي، ينظر: التكملة (١/١٢٥د ك ب) .

(٥) القاموس: (١/٨٤ د ك ب)

(٦) قاله الصاغانيّ في التكملة، ولم أجده عند غيره (١/١٢٦د هـ ب)

(٧) القاموس: (١/٨٤ د هـ ب)

(٨) ينظر: السابق نفسه: (١/ ١٢٩ذ ك ب) .

(٩) القاموس: (١/٨٥ ذ ك ب)

(١٠) عن ابن الأعرابي، ينظر: التهذيب (١٢/ ٢٣٩ س ط ب).

(١١) مقلوب طسب وهي المطاسب .

(١٢) قاله أبو زيد، ويقول سمعت ذلك عن العرب ، ينظر: التهذيب (١٢/ ٢٣٩ س ط ب).

(١٣) القاموس: (١/٩٧ س ط ب)

بالشيء: قبض عليه[١]."[٢] **(طسب)**: "المِطاسِبُ[٣]: المياه السّدم."[٤] **(طعب)**: "ما به من الطَّعْب شيء[٥]: ما به من اللّذّة والطّيب."[٦]. **(هجب)**: "الهَجْبُ[٧]: السّوق، والسّرعة، والضَّرب بالعصا."[٨]. **(هصب)**:"الهَصْبُ[٩]: الفرار."[١٠] **(بقت)**: "بَقَتَ الأقط: خلطه[١١].والمِبَقَّتُ، كمعظم: الأحمق[١٢]، ولقب عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان، وبكار بن عبد الملك بن مروان."[١٣]. **(خلت)**: "الخِلِّيتُ، كسكّيت[١٤]: الأبلق الفرد الذي بتيماء."[١٥]. **(خنت)**: "الخِنَّوْتُ، كسنّور: الجلد المنكمش الذي لا ينام على وتر[١٦]، والعيي

---

(١) كلاهما عن كراع ، ينظر: المحكم .(٨/ ٢١١ض ن ب).

(٢) القاموس: (١٠٨/١ ض ن ب)

(٣) عن ابن الأعرابي ، ينظر: التكملة .(١٩٤/١ط س ب).

(٤) القاموس: (١٠٩/١ ط س ب)

(٥) قاله ابن الأعرابي ، ينظر: التهذيب (٢/ ١١٢ ع ط ب) .

(٦) القاموس: (١٠٩/١ ط ع ب)

(٧) قاله الصاغاني في التكملة، ولم أجده عند غيره (١/ ٢٨٨ هـ ج ب).

(٨) القاموس: (١٤٣/١ هـ ج ب)

(٩) قاله ابن الأعرابي ، ينظر: التكملة .(١/ ٢٩٠هـ ص ب).

(١٠) القاموس: (١٤٤/١ هـ ص ب)

(١١) ذكره الصاغاني في التكملة، ولم أجده عند غيره (١/ ٣٠١ب ق ت).

(١٢) مخلط العقل ، ينظر: التاج (٤/ ٤٤٦ ب ق ت).

(١٣) القاموس: (١٤٧/١ ب ق ت)

(١٤) قاله الصاغاني في التكملة (١/ ٣١٢ خ ل ت).

(١٥) القاموس: (١٥١/١ خ ل ت)

(١٦) عن ابن الأعرابي ، ينظر: التاج (٥١٣/٤ خ ن ت).

الأبله[١]، ودابة بحرية[٢]، ولقب توبة بن مضرس الشاعر."[٣]. (**صحت**): "تَصَحَّتَ[٤]: استحيا."[٥]. (**صعت**): "الصَّعْتُ: المربوع القامة. ورجل صعت الرّبة[٦]: لطيف الجُفرة."[٧]. (**صنت**): "الصَّنُّوتُ، كسفّود: الدّوخلّة الصغيرة، أو غلاف القارورة وطبقها، ج: صَنانِيتُ. والإِصنات: الإِتراص، والإحكام[٨]. والصِّنْتِيتُ: الصّنديد[٩]، (والكتيبة).والصُّنتوت[١٠]: الفرد الحريد."[١١]. (**كحت**): "الأَكْحَتُ[١٢]: القصير."[١٣]. (**كنت**):"كَنَتَ في خلقه: قوي[١٤]. والكُنْتِيُّ ، ككرسي: الشديد، والكبير، كالكُنْتَنِيّ[١٥]. والإِكْتِناتُ: الخضوع، والرّضا. وسقاء كَنيتٌ: مسّيك. وقد كَنِت، كفرح: حشن."[١٦]. (**هلت**):

---

(١) قاله الصاغاني في التكملة (٣١٢/١ خ ن ت).

(٢) عن ابن الأعرابي ، ينظر: التهذيب (١٣٢/٧ خ ت ن).

(٣) القاموس: (١٥١/١ خ ن ت)

(٤)_ عن الأصمعي ، نقله الصاغاني في التكملة .(١/ ٣٢١ ص ح ت).

(٥) القاموس: (١٥٥/١ ص ح ت)

(٦) قاله ابن شميل ، ينظر: التهذيب . (٢/ ١٠ ع ص ت).

(٧) القاموس: (١٥٥/١ ص ع ت)

(٨) قاله الصاغاني (٢/ ١٠ ص ن ت)

(٩) نقله أبو عبيد عن الأصمعي ، ينظر: التهذيب (١٢/ ١٠٩ ص ت ن).

(١٠) عن ابن الأعرابي، ينظر: التهذيب (١٢/ ١٠٩ ص ت ن).

(١١) القاموس: (١٥٥/١ ص ن ت)

(١٢) قاله الصاغاني في التكملة (١/ ٣٣٣ك ح ت).

(١٣) القاموس: (١٥٨/١ ك ح ت)

(١٤) عن ابن بزرج ، ينظر: التهذيب (١٠/ ٨١ ك ت ن) .

(١٥) عن أبي زيد ، ينظر: التكملة (١/ ٣٣٦ك ن ت).

(١٦) القاموس: (١٥٩/١ ك ن ت)

"الهَلْتُ: القشر[١]. وانْهَلَتَ يعدو: انسلت[٢]. والهَلْتى، كسكرى: نبت[٣]. والهُلاتَةُ: غسالة السّخلة السّوداء من غرسه[٤]. والهَلْتاتُ[٥]: الجماعة يقيمون ويظعنون."[٦]. **(تحث)**: "التَّحْتيثُ[٧]: التّكسّر والضّعف."[٨]. **(تلث)**: "التَّلِيثُ[٩]: من نجيل السّباخ."[١٠]. **(صبث)**: "الصَّبْثُ[١١]: ترقيع القميص ورفوه."[١٢]. **(طلث)**: "طَلَثَ الماء طُلوثًا: سال[١٣]. وطَلَّثَ على كذا تَطْليثًا: زاد. والطُّلْثَةُ، بالضم[١٤]: الجاهل الضعيف العقل والبدن."[١٥]. **(كحث)**:

---

(١) عن اللحياني ، ينظر: التاج (٥/ ١٤٤ هـ ل ت).

(٢) قال: الفراء سلته وهلته ، ينظر: التهذيب (٦/ ١٣٠ هـ ت ل).

(٣) قاله أبو عبيد عن الأصمعي ، ينظر: التهذيب (٦/ ١٣٠ هـ ت ل).

(٤) ذكره الصاغاني في التكملة (١/ ٣٤٦ هـ ل ت).

(٥) قال ابن منظور:"الهلتاءة: الجماعة من الناس يقيمون ويظعنون؛ هذه رواية أبي زيد، ورواها ابن السكيت بالثاء". اللسان (٢/ ١٠٥ هـ ل ت).

(٦) القاموس: (١٦٣/١ هـ ل ت)

(٧) عن ابن الأعرابي، ينظر: المحكم (٣/ ٢٦٩ ح ت ث).

(٨) القاموس: (١٦٧/١ ت ح ث)

(٩) ذكره ابن سيده في المحكم (٩ / ٤٧٢ ت ث ل).

(١٠) القاموس: (١٦٥/١ ت ل ث)

(١١) قاله الفراء ينظر: التهذيب (١٢/ ١١٢ ص ب ث).

(١٢) القاموس: (١٧١/١ ص ب ث)

(١٣) قاله أبو عمرو ، ينظر: التهذيب . (١٣/ ٢١٥ ط ث ل).

(١٤) قاله ابن الأعرابي ، ينظر:التهذيب . (طلث ١٣/ ٢١٥ ط ث ل).

(١٥) القاموس: (١٧٢/١ ط ل ث)

"كحث له من المال، كمنع[١]: غرف له بيديه منه"[٢]. **(لفث)**: "الأَلْفَثُ: الأحمق[٣]. واستلفث ماعنده: استنبط واستقصى، و. الخبر: كتمه، و. حاجته: قضاها، و. الرّعي: لم يدع منه شيئا."[٤] **(نعث)**: "نَعَثَهُ، كمنعه: أخذه، كانتعثه. وأنعث في ماله: أسرف، وأخذ في الجهاز للمسير، وهم في أنعاث، أي[٥]: دأبوا في أمرِهم."[٦] **(نغث)**: "النَّغَثُ[٧]: الشّر الدّائم الشديد."[٨]. **(هرث)**: "الهِرْثُ، بالكسر[٩]: الثّوب الخلق، وبالضم: ة بواسط."[١٠]. **(بزج)**:"بَزَجَ: فاخر، كبازج[١١]، و. عليّ فلانًا: حرّشه. وتبازجا: تفاخرا. والتّبْزِيجُ: التّحسين والتّزيين. والبَزِيجُ: المكافئ على الإحسان. والمبارك بن زيد بن بزج، محركة: محدّث. وبَوازيجُ: د قرب تكريت، فتحها جرير البجليّ."[١٢].

---

(١) ونسبه الأزهري لليث، ينظر التهذيب (٤ / ٦٠ ح ك ث) ، والمستعمل في العين هو (ح ك ث) فقط ، ينظر: العين (٣/ ٦١ ح ك ث).

(٢) القاموس: (١/١٧٤ ك ح ث)

(٣) ذكره الصاغاني في التكملة (١/ ٣٨٤ ل ف ث).

(٤) القاموس: (١/١٧٥ ل ف ث)

(٥) ذكره الصاغاني في التكملة.(١/ ٣٩١ ن ع ث).

(٦) القاموس: (١/٧٠)

(٧) قاله ابن الأعرابي ، ينظر: التهذيب (٨/ ١٠٤ غ ث ن).

(٨) القاموس: (١/١٧٧ ن غ ث)

(٩) قاله الصّاغاني في التكملة (١/ ٣٩٤ هـ ر ث).

(١٠) القاموس: (١/١٧٨هـ ر ث)

(١١) قاله ابن الأعرابي ينظر: التهذيب (١٠/ ٣٣٠ ج ز ب).

(١٢) القاموس: (١/١٨٠ ب ز ج)

(ثفج):" ثَفَجَ[١]: حمُق. وثَفاجَةٌ مَفاجَةٌ، كسحابة: أحمق مائق."[٢]. **(ثمج)**: "الثَّمْجُ: التّخليط. والمِثْمِجُ، كمحسنٍ: الذي يشي الثّياب ألوانا. والمِثْمِجَةُ[٣]: المرأة الصّناع بالوشي."[٤]. **(كثج)**: "كثَجَ من الطّعام يَكْثِجُ: أكل منه ما يكفيه[٥] ، أو امتار منه فأكثر[٦]."[٧]. **(كدج)**:" كَدَجَ الرجل[٨]: شرب من الشّراب كفايته."[٩]. **(مذج)**: "تَمَذَّجَ البطيخ: نضج، و. الإناء: امتلأ، و. الشيء: انتفخ واتّسع. ومَذَّجَهُ تَمْذِيجاً[١٠]: وسّعه."[١١]. **(مغج)**: "مَغَجَ[١٢]: عدا، وسار."[١٣]. **(مفج)**: "مَفَجَ: حَمُقَ. ورجل مَفاجَةٌ[١٤]: كثفاجة زنة

---

(١) عن ابن الأعرابي ، ينظر: التهذيب (١١/ ١٩ ج ث ف).

(٢) القاموس: (١٨١/١ ث ف ج)

(٣) قاله الصاغاني في التكملة .(١/ ٤٠٩ ث م ج).

(٤) القاموس: (١٨٢/١ ث م ج)

(٥) عن أبي عمرو ، ينظر: التهذيب (١٠/ ٥ك ج ث).

(٦) عن ابن السكيت ، ينظر:اللسان (٢/ ٣٥١ ك ث ج).

(٧) القاموس: (٢٠٣/١ ك ث ج)

(٨) عن أبي عمرو ، ينظر: التهذيب (١٠/ ٥ ك ج د).

(٩) القاموس: (٢٠٣/١ ك د ج)

(١٠) ذكره الشيباني في معجم الجيم ، ينظر: (٦/ ٢٠٥ ذ م ج) ،وقاله الصاغاني في التكملة: (١/ ٤٩١ م ذ ج).

(١١) القاموس: (٢٠٥/١ م ذ ج)

(١٢) نقله الأزهريّ عَن أَبي عمرو، قال: ولم أسمع مغجَ لغيره. ينظر: التهذيب (٨/ ٣٩ غ ج م).

(١٣) القاموس: (٢٠٦/١ م غ ج)

(١٤) عن الفراء ، ينظر: التهذيب (١١/ ٩٠ ج ف م) .

ومعنى."[١]. **(هنج)**: تَهَنَّجَ الفَصيل[٢]: تحرّك، وأخذت الحياة فيه."[٣]. **(دمح)**: "دَمَّحَ تدميحًا: طأطأ رأسه[٤]. والدَّمْحَمَحُ: المستدير الململم."[٥]. **(ذقح)**: "تَذَقَّحَ له: تجرّم، وتجنّى عليه ما لم يذنبه. وهو ذُقَّاحةٌ، بالضم والشّدّ: يفعل ذلك. ومُتَذَقِّحٌ للشّرّ[٦]: متلقّح له. "[٧]. **(ذلح)**: "الذُّلاَّحُ، كرمّان[٨]: اللّبن الممزوج بالماء."[٩].**(شدح)**: "شَدَحَ، كمنع: سِمن. ولك عنه شُدْحَةٌ، بالضم، ومُشْتَدَحٌ ، أي: سعة ومندوحة. والأَشْدَحُ: الواسع من كل شيء. وانْشَدَحَ: استلقى، وفرّج رجليه[١٠]. وناقة شَوْدَحٌ: طويلة على الأرض. وكلأ شادح: واسع. والمِشدَحُ: الحِر."[١١]. **(شذح)**: "الشَّوْذَحُ من النّوق[١٢]: الطّويلة على وجه الأرض."[١٣]. **(شفح)**: "المِشَفَّحُ، كمعظّم[١٤]: المحروم الذي لا يصيب

---

(١) القاموس: (٢٠٦/١ م ف ج)

(٢) قاله الصاغاني في التكملة (١/ ٥١٠هـ ن ج).

(٣) القاموس: (٢١١/١ هـ ن ج)

(٤) عن أبي زيد ودمح: طأطأ ظهره وحناه، والحاء لغة، كلاهما عن كراع واللحياني. ينظر: المحكم (٣/ ٢٦٨ ح د م).

(٥) القاموس: (٢١٧/١ د ح م)

(٦) استعملت في نوادر الأعراب كما قال الأزهري ، ينظر: التهذيب (ذقح ٢٤/٤ ح ق ذ).

(٧) القاموس: (٢١٨/١ ذ ق ح)

(٨) عن أبي زيد ، ينظر: التاج (٦/ ٣٧٨ ذ ل ح).

(٩) القاموس: (٢١٨/١ ذ ل ح)

(١٠) رواه أبو عبيد عن الفراء ، ينظر: التهذيب (٤/ ١٠٤ ح ش د).

(١١) القاموس: (٢٢٦/١ ش د ح)

(١٢) عن كراع حكاها في باب فوعل ، ينظر: المحكم .(٣/ ١٠٣ ح ش ذ).

(١٣) القاموس: (٢٢٦/١ ش ذ ح)

(١٤) قاله الصاغاني في التكملة (٢/ ٥٣ش ف ح).

شيئًا."[١]. **(شكح)**: "الشَّوْكَحَةُ[٢]: شبه رتاج الباب، ج: شَوْكَحٌ."[٣]. **(طبح)**: المِطْبَحُ، كمعظّم[٤]: السّمين."[٥]. **(قذح)**: "قاذَحَهُ: شاتمه. وتَقَذَّحَ له بشرّ[٦]: تشرّر. "[٧]. **(لبح)**: "اللَّبَحُ، محركة: الشّجاعة[٨]، ورجل له ذكر في الحديث، والشّيخ المسنّ. لَبَح، كمنع، وأَلْبَحَ ولَبَّحَ .وكغراب: ع."[٩] **(مشح)**: "المِشَحُ، محركة: اصطكاك الرَّبلتين، أو احتراق باطن الرُّكبة لخشونة الثوب. وأمْشَحتِ السنة: أجدبت، وصعبت، و. السماء[١٠]: تقشّع عنها السّحاب."[١١]. **(شلخ)**: "الشَّلْخُ: الأصل، ونجل الرجل[١٢] ، أو نطفته[١٣]، وفرج المرأة. **وشَلَخَهُ** بالسّيف: هبره به. وشالَخَ، كهاجر: جدّ ابراهيم، عليه السلام."[١٤]. **(شنخ)**: "الشِّناخُ، ككتاب: أنف الجبل. والمِشَنَّخُ ، كمعظّم،

---

(١) القاموس: (٢٢٦/١ ش ف ح)

(٢) ينظر: السابق نفسه (٢/ ٥٤ ش ك ح).

(٣) القاموس: (٢٢٧/١ ش ك ح)

(٤) عن كراع ، ينظر: المحكم .(٣ / ٢٤٧ ح ط ب).

(٥) القاموس: (٢٣١/١ ط ب ح)

(٦) قال الأزهري:" قال ابن الفرج: سمعت خليفة الحصيني يقول: المقاذحة والمقاذعة:المشاتمة".التهذيب (٤/ ٢٤ ح ق ذ).

(٧) القاموس: (٢٣٥/١ ق ذ ح)

(٨) نقله الأزهريّ عن ابن الأعرابيّ، ينظر: التهذيب (٥/ ٥٠ ح ل ب).

(٩) القاموس: (٢٣٩/١ ل ب ح)

(١٠) قاله الصاغاني في التكملة (٢/ ١٠٨م ش ح) .

(١١) القاموس: (٢٤٢/١ م ش ح)

(١٢) عن أبي زيد ، ينظر: التهذيب (٤١/٧ خ ش ل).

(١٣) قاله الأزهري في التهذيب: (شلخ ٧/ ٤١ خ ش ل).

(١٤) القاموس: (٢٥٤/١ ش ل خ)

من النّخل[١]: ما نُقّح عنه سُلاَّؤُهُ ، وقد شَنَّخَ عليه نخله تَشْنِيخًا ."[٢] **(فصخ)**: "فَصَخَ عنه، كمنع: تغابى[٣] ، و. يده: فسخها. وفُصِخَ، كعُني: غُبِنَ في البيع. ورجل فَصيخ وفَصيخَة وفاصِخَة من فَواصِخَ: غير مصيب الرّأي."[٤]. **(فلخ)**: "فَلَخَهُ، كمنعه: سلعه، وأوضحه[٥].والفَيْلَخُ: الرحى، أو أحد رحيي الماء، واليد السفلى منهما. وفَلَّخَهُ تفْلِيخًا: ضربه."[٦]. **(قمخ)**: "أقْمَخَ[٧]: تكبّر، وشمخ، وجلس كالمتعظّم.."[٨]، **(نذخ)**: "نذخ البعير، كمنع: سعى شديدًا، كأنذخ. والنَّوْذَخُ[٩]: الجبان."[١٠]. **(نطخ)**: "نِطْخُ شرّ، بالكسر وبالطاء المهملة، أي[١١]: صاحب شرّ ."[١٢]. **(فثد)**: "الفَثاثيدُ: سَحائِبُ بيض بعضها فوق بعض، وبطائن الثّياب وقد فثّد درعه تَفْثيدًا. الفَثافِيدُ[١٣]: الفَثاثيدُ، (كالثَّفافيدِ). "[١٤]. **(مثد)**: "مَثَدَ بين الحجارة: استتر، ونظر بعينه من خلالها

---

(١) نقله الأزهري عن أبي عمرو، ينظر: التهذيب (٧/ ٤٢ خ ش ن).

(٢) القاموس: (١/٢٥٤ ش ن خ)

(٣) قاله ابن شميل، ينظر: التهذيب (٧/ ٧٠ خ ص ف).

(٤) القاموس: (١/٢٥٧ ف ص خ)

(٥) قاله شمر، ينظر: التهذيب (٧/ ١٦٧ خ ل ف).

(٦) القاموس: (١/٢٥٧ ف ل خ)

(٧) قاله الأصمعي ، ينظر: التهذيب (٧/ ٢٢ خ ق م).

(٨) القاموس: (١/٢٨٥ ق م خ)

(٩) ذكره الصاغاني في التكملة (٢/ ١٨٢ ن ذ خ).

(١٠) القاموس: (١/٢٦١ ن ذ خ)

(١١) ينظر: التكملة للصاغاني (٢/ ١٨٢ن ط خ).

(١٢) القاموس: (١/٢٦١ ن ط خ)

(١٣) الثفاثيد كالفثافيد قاله أبو العباس، ينظر: التاج (٨ / ٤٧٨ث ف د).

(١٤) القاموس: (١/٣٠٥ ف ث د)

إلى العدوّ يربأ للقوم. ومَثَدْتُهُ أنا[1]: جعلته ماثِدًا، أي: رَبيئَةً."[2]. **(مخد)**: "المِخَدَةُ، بالتحريك[3]: المعونة."[4]. **(نحد)**: "ناحَدَهُ: عاهده[5]. وهم يُناحِدوننا: يتعهّدوننا."[6]. **(حمذ)**: "الحُمَاذِيُّ، (بالضم)[7]: شدّة الحرّ."[8]. **(بلر)**: "البَلُّورُ، كتنّور وسنّور وسبطر: جوهر م. وكسنّور: الضّخم الشّجاع[9]، والعظيم من ملوك الهند."[10]. **(بنر)**: "البَنُورُ[11]: المختبر من الناس."[12]. **(تثر)** التَّواثِيرُ[13]: الجلاوزة."[14]. **(جتر)**: "الجَيْتَرُ، كحيدر[15]: الرّجل القصير."[16]. **(جكر)**: "الجُكَيْرَةُ، تصغير الجكرة: اللّحاحة[17]، وقد جكِر،

---

(١) عن أي عمرو، ينظر: التاج (٩/ ١٥٠م ث د).

(٢) القاموس: (٣١٨/١ م ث د)

(٣) نقلها الصاغاني عن ابن الأعرابي، ينظر: التكملة .(٢/ ٣٤٠ م خ د).

(٤) القاموس: (٣١٨/١ م خ د)

(٥) قاله الصاغاني في التكملة: (٢/ ٣٥١ن ح د).

(٦) القاموس: (٣٢٢/١ ن ح د)

(٧) قاله ابن الأعرابي كالهماذي. ينظر: التاج (٩/ ٣٩٦ ح م ذ).

(٨) القاموس: (٣٣٢/١ ح م ذ)

(٩) عن ابن الأعرابي ، ينظر: التكملة (٢/ ٤٢٧ب ل ر).

(١٠) القاموس: (٣٥٤/١ ب ل ر)

(١١) قاله ابن الأعرابي ، ينظر: التهذيب (١٥/ ١٥٥ر ن ب).

(١٢) القاموس: (٣٥٤/١ ب ن ر)

(١٣) عن ابن الأعرابي، ينظر: التهذيب (١٤/ ١٨٩ ت ث).

(١٤) القاموس: (٣٥٦/١ ت ث ر)

(١٥) قاله الصاغاني في التكملة (٢ / ٤٤١ ج ت ر).

(١٦) القاموس: (٣٦١/١ ج ت ر)

(١٧) قاله ابن الإعرابي، ينظر: التهذيب (١٠/ ٩ ك ج ر).

كفرح. وككتّان: اسم رجل. وأجكر: ألح في البيع."[١]. **(خذر)**: "الخُذْرَةُ، بالضم[٢]: الخُذْروفُ. والخاذِرُ[٣]: المستتر من سلطان أو غريم."[٤]. **(طبر)**: "طَبَرَ: قفز، واختبأ[٥]، و. الحصان الفرس: ضربها[٦]. والطِّبْرُ، بالكسر: ركن القصر[٧]. وكرُمَّانِ: شجر يشبه التِّين[٨]. وطَبَرِيَّةُ، محركة: قصبة الأردن، والنّسبة: طَبَرَانِيٌّ، ومنها الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد، وة بواسط، والنّسبة: طَبَرِيٌّ."[٩]. **(كخر)**: الكَاخِرَةُ: أسْفَلُ من الجاعِرَةِ[١٠]. وكَيْخَارَانُ: ع باليمن، منه عَطاءُ بنُ يَعقوبَ الكَيْخَارَانِيُّ ."[١١]. **(قبز)** القِبْزُ، بالكسر[١٢]: القصير

---

(١) القاموس: (٣٦٧/١ ج ك ر)

(٢) التي يلعب بها الصبيان، عن ابن الأعرابي ، ينظر: التهذيب (٧/ ١٤٠خ ذ ر).

(٣) رواه الأزهري عن أبي عمرو ، ينظر: التهذيب .(٧/ ١٤٠ خ ذ ر).

(٤) القاموس: (٣٨٣/١ خ ذ ر)

(٥)عن ابن الأعرابي ، ينظر: التهذيب .(١٣/ ٢٢٨ط ر ب).

(٦) قاله الصاغاني في التكملة (٣/ ٨٦ ط ب ر).

(٧) قال الزبيدي:" وهو تصحيف الظئر، بالظاء المشالة مهموزا..، أو تصحيف الطبز". التاج (٢/ ٤٣٥ذ ك ب).

(٨) قاله ابن الأعرابي ، ينظر:التهذيب .(١٣/ ٢٢٨ط ر ب).

(٩) القاموس: (٤٣٠/١ ط ب ر)

(١٠) وفي التهذيب:" قال أبو زيد الأنصاري: في الفخذ الغرور، وهي غضون في ظاهر الفخذين واحدها، غر، وفيه الكاخرة، وهي أسفل من الحاعرة في أعالي الغرور." ينظر: التهذيب (٧/ ٢٣ك خ ر).

(١١) القاموس: (٤٦٨/١ ك خ ر)

(١٢) قاله أبو عمرو ، ينظر: التهذيب (٨/ ٣٣١ ق ز ب).

البخيل."[١]. **(قخز)**: "القَخْزَةُ[٢]: ضرب شيء يابس بمثله."[٣]. **(لخز)**: "اللَّخْزُ[٤]: السّكّين المحددة."[٥]. **(هبز)**: "هَبَزَ يَهْبِزُ هُبوزًا وهَبَزانًا[٦]: مات، أو فجأة. والهَبَزُ[٧]: الهَبرُ."[٨]. **(بعس)**: "البَعُوسُ، كصبور[٩]: الناقة الشائلة المنهوكة. ج: بَعَائِسُ وبِعاس."[١٠]. **(تلس)**: "التِّلِيسَةُ، كسكّينة[١١]: الخُصية، وهنة تسوّى من الخُوص، وكيس الحساب، ولا تفتَحُ."[١٢]، **(حنس)**: "الحَنَسُ، بالتحريك: لزوم وسط المعركة شجاعة، وبضمتين: الورعون[١٣] المتقون. والحَوَنَّسُ ، كعملّس: الذي لا يضيمه أحد، وإذا قام في مكان، لا يُحلحله

---

(١) القاموس: (٥٢١/١ ق ب ز)

(٢) أهمله الجمهور، وأورده الصّاغاني في التكملة .(٣/ ٢٩٢ ق خ ز).

(٣) القاموس: (٥٢١/١ ق خ ز)

(٤) أهمله الجمهور ويقول الزبيدي:" أهمله الجوهري، والصاغاني، وصاحبا اللسان والأساس، وكذا ابن القطاع". التاج (١٥/ ٣١٣ل خ ز).

(٥) القاموس: (٥٢٤/١ ل خ ز)

(٦) قاله أبو زيد ، ينظر:التهذيب (٦/ ٩٤ هـ ز ب).

(٧) وهو ما اطمأنّ من الأرض وارتفع ما حوله، والراء أعلى ، ينظر: المحكم (٤/ ٢٣٨ هـ ز ب).

(٨) القاموس: (٥٢٩/١ هـ ب ز)

(٩) أورده الصاغاني في التكملة(بعس ٣/ ٣٢٦) ، ونسبه الزبيدي إلى ابن عباد ،ينظر: التاج (٤٦٠/١٥ب ع س)

(١٠) القاموس: (٥٣٣/١ ب ع س)

(١١) قاله ثعلب ، ينظر: التاج (٤٨٣/١٥ ت ل س).

(١٢) القاموس: (٥٣٥/١ ت ل س)

(١٣) قاله ابن الأعرابي ، ينظر: التهذيب (٤/ ١٨٦ح س ن).

أحد[١]. وكتَنُّورٍ: حَنُّوسُ بن طارق المغربي."[٢]. **(طخس)**: "الطِّخْسُ، بالكسر[٣]: الأصل. وهو طِخْسُ شرّ، أي: نهاية فيه."[٤]. **(بكش)**: "بَكَشَ عقال بعيره[٥]: حلّه."[٦]. **(جبش)**: "جَبَشَ الشّعر يَجْبِشُهُ[٧]: حلقه.والجَبِيشُ: الرّكب المحلوق. ومحمد بن عليّ بن طرخان بن جبّاش، ككتّان: محدّث روى عنه ابنه الحافظ عبد الله."[٨]. **(جدش)**: "جَدَشَ يَجْدِشُ: إذا أدار الشيء ليأخذه. والجدش، محركة: الأرض الغليظة ج: أجْداشٌ. حكاه ابن القطاع."[٩]. **(جنش)**: "الجَنْشُ: نزح البئر[١٠]، وأقبال القوم إلى القوم[١١]، والغلظ، والتّوقان[١٢]، والفزع، والقريب من الأمكنة، كالجانِشِ ، وقبل الصّبح، أو آخر السّحر، وبئر جَنَشَةٌ: فيها حصباء. وجَنَشَ المكان (يَجْنِشُ): أجدب[١٣]، و. نفسه للموت: جاشت."[١٤]. **(جنص)**: الإِجْنيصُ، بالكسر: من لا يبرح من

---

(١) عن شمر ، ينظر: التكملة (٣/ ٣٤٣ح ن س).

(٢) القاموس: (١/٥٤٠ ح ن س)

(٣) عن ابن الأعرابي، ينظر: التهذيب (٧/ ٧٤ خ س ط).

(٤) القاموس: (١/٧٠)

(٥) عن الفراء ، ينظر: التكملة (٣/ ٤٥٦ ب ك ش).

(٦) القاموس: (١/٥٨٥ ط خ س)

(٧) قاله المفضل، ينظر: التهذيب .(١٠/ ٢٩٠ج ش ب).

(٨) القاموس: (١/٥٨٦ ج ب ش)

(٩) السابق: (١/٥٨٧ ج د ش)

(١٠) عن ابن الأعرابي، ينظر: التهذيب (١٠/ ٢٨٥ج ش ن).

(١١) قاله أبو فرج السلمي، ينظر: التاج (١٧/ ١١٣ج ن ش).

(١٢) في النوادر عن ابن عباد، ينظر: التاج (١٧/ ١١٣ج ن ش).

(١٣) قاله الصاغاني في التكملة: (٣ / ٤٦١ ج ن ش).

(١٤) القاموس: (١/٥٨٨ ج ن ش)

موضعه كسلا[١]، والفدم لا يضرّ ولا ينفع، والمرعوب المتباطئ عن الأمور. والجنيص، كأمير: الميّت. وجَنَّصَ تَجْنيصًا: مات، وهرب فزعا، و. البصر: حدّده، أو فتحه فزعا، و. بسلحه: رمى به."[٢]. **(قحص)**: "قَحَصَ، كمنع: مرّ مرًّا سريعًا[٣]، و. البيت: كنسه[٤]، و. برجله: ركض. وسبقني قحصًا، أي: عدوا[٥]. وأقْحَصَهُ وقَحَّصَهُ تَقْحِيصًا: أبعده عن الشيء."[٦]. **(نخص)**: "نَخَصَ، كمنع ونصر: تخدّد، وهزل. وعجوز ناخِص: نخصها الكبر وأنخصها. ونخص لحمه، كفرح[٧]: ذهب، كانتخص "[٨]. **(خرض)**: "الخَريضَةُ، كسفينة[٩]: الجارية الحديثة السن، الحسنة البيضاء، التارَّةُ. عن الليث، ولعل الصواب بالصاد."[١٠]. **(جرط)**: "الجَرَطُ، محركة: الغصّة[١١]، وجرِط بالطعام، كفرح. والجِرواط، بالكسر: الطويل."[١٢]. **(رثط)**: "رَثَطَ رثوطا في قعوده: ثبت، ولزم،

---

(١) عن أبي مالك واللحياني وابن الأعرابي، ينظر: التهذيب (١٠/ ٢٩٨ ج ص ن).

(٢) القاموس: (١/٦١٤ ج ن ص)

(٣) قاله أبو العميثل ، ينظر: التاج (١٨/ ٨٧ ق ح ص).

(٤) قاله ابن عباد، ينظر: التاج (١٨/ ٨٧ ق ح ص) .

(٥) قاله أبو سعيد ، ينظر: التهذيب (٤/ ١٧ ح ق ص).

(٦) القاموس: (١/٦٢٦ ق ح ص)

(٧) عن أبي زيد ، ينظر: التهذيب (٧/ ٦٨ خ ص ن).

(٨) القاموس: (١/٦٣٢ ن خ ص)

(٩) التهذيب: (٧/ ٥٢ خ ض ر).

(١٠) القاموس: (١/٦٤١ خ ر ض)

(١١) عن ابن بري ، ينظر:اللسان (٧/ ٢٦٩ ج ر ط).

(١٢) القاموس: (١/٦٦١ ج ر ط)

كأَرْثَطَ[١]. والمِرْثِطُ، كمحسن: المسترخي في قعوده وركوبه."[٢]. **(لحط)**:" اللَّحْطُ، كالمنع: الرّشّ بالماء، والزّبن[٣]. والتحط: غضب."[٤]. **(بذع)**: "البَذَعُ، محركة: الفزع. والمِبْذُوعُ: المذعور المفَزَّع. وبَذَعَه، كمنعه: أفزعه كأَبْذَعَه[٥]، و. الحُبّ: قطر الماء، وذلك القَطرُ: بَذْعٌ. وصبح بن بَذِيعٍ، كأميرٍ: محدِّث خُراسانيٌّ."[٦]. **(جبع)**: "الجُبَّاعُ كرمّان: القصير، وهي جُبَّاعٌ وجُبَّاعَةٌ ، وسهم قصير يرمي به الصبيان[٧]. والجَبَّاعَةُ، مشددة: الاست. وكرمّانة ورمّان: المرأة القبيحة المشية واللّبسة، ليست بصغيرة ولا كبيرة."[٨]. **(ثرع)**: "ثَرِعَ، كفرح[٩]: طفّل على قومه."[١٠]. **(نثع)**:"أنثع قاء كثيرًا وخرج الدم من أنفه فغلبه والقيئ .و. الدم[١١]: خرجا."[١٢]. **(فثغ)**: "فَثَغَ رأسه، كمنع[١٣]: شدخه."[١٤].

---

(١)_ قال الأزهري: "رثط: أهمله الليث.وفي (النوادر): أرثط الرجل في قعوده. ورثط ورطم ورضم وأرطم. كله بمعنى واحد". التهذيب (١٣/ ٢١٤ط ث ر).

(٢) القاموس: (٦٦٨/١ ر ث ط)

(٣) قاله ابن الأعرابي ، ينظر: التهذيب (٤/ ٢٢٢ ح ط ل).

(٤) القاموس: (٦٨٥/١ ل ح ط)

(٥) قال الأزهري: "وما سمعت هذا لغير الليث". التهذيب (١٩٤/٢ع ذ ب).

(٦) القاموس: (٧٠٢/١ ب ذ ع)

(٧) قال ابن سيده:" عن كراع. ولا أحققها". المحكم (١/ ٣٤١ ع ج ب).

(٨) القاموس: (٧٠٨/١ ج ب ع)

(٩)_ قاله ابن الأعرابي ، ينظر: التهذيب (٢/ ١٩٧ ع ث ر).

(١٠) القاموس: (٧٠٨/١ ث ر ع)

(١١) عن ابن الأعرابي، ينظر: التهذيب (٢/ ١٩٩ ع ث ن).

(١٢) القاموس: (٧٦٥/١ ن ث ع)

(١٣) قاله ابن عباد ، ينظر: التاج (٢٢/ ٥٤٢ ف ث غ).

(١٤) القاموس: (٧٨٦/١ ف ث غ)

(ثبق):" ثَبَقَ العين تثبق: أسرع دمعها[١]، و. النهر ثَبْقًا وتَثْباقًا: أسرع جريه، وكثر ماؤه."[٢]. **(دثق)**: "الدَّثْقُ[٣]: صبّ الماء."[٤]. **(نتم)**: "انْتَتَمَ فلان بقول سوء، أي[٥]: انفجر بالقول القبيح، كأنه افتعل، من نَتَمَ."[٦]. **(تفن)**:"التَّفْنُ[٧]: الوسخ."[٨]. **(تلن)**:"التُّلُنَّةُ، بضمتين ويفتح أوله: اللُّبث، والحاجة[٩]، كالتُّلُونِ والتُّلُونةِ فيهما. وتلان[١٠]: بمعنى الآن."[١١]. **(تهن)**: "تَهِنَ، كفرح، فهو تَهِنٌ، ككتف[١٢]: نام."[١٣]. **(ثرن)**: "ثَرِنَ، كفَرِحَ[١٤]: آذى صديقه وجاره."[١٥]. **(خسن)**: "أخْسَنَ الرّجل[١٦]: ذلّ بعد عزّ."[١٧].

---

(١) وردت الكلمة في كتاب الشوارد = ما تفرد به بعض أئمة اللغة (٨٨/١)، ونسبها ابن منظور لابن البري ، ينظر: اللسان (١٠/ ٣٣ث ب ق).

(٢) القاموس: (٨٧١/١ ث ب ق)

(٣) عن ابن الأعرابي، ينظر: التهذيب: (٩/ ٣٧ ق د ث).

(٤) القاموس: (٨٨٢/١ د ث ق)

(٥) قاله الأزهري عن أبي عمرو ، ينظر: التهذيب (١٤/ ٢١٧ ت ن م).

(٦) القاموس: (١١٦١/١ ن ت م)

(٧) عن ابن الأعرابي، ينظر: التهذيب (١٤/ ٢١٠ت ن ف).

(٨) القاموس: (١١٨٣/١ ت ف ن)

(٩) عن أبي عبيد ، ينظر: التهذيب (١٤/ ٢٠١ ت ل ن).

(١٠) قاله أبو عبيد عن الأحمر ، ينظر: التهذيب (١٤/ ٢٠١ ت ل ن).

(١١) القاموس: (١١٨٣/١ ت ل ن)

(١٢) عن ابن الأعرابي ، ينظر: التهذيب (٦/ ١٣٠ هـ ت ن).

(١٣) القاموس: (١١٨٣/١ ت هـ ن)

(١٤) عن ابن الأعرابي ، ينظر: التهذيب (١٥/ ٥٥ ث ر ن).

(١٥) القاموس: (١١٨٤/١ ث ر ن)

(١٦) عن ابن الأعرابي ينظر: التهذيب (٧ / ٨٣ خ س ن).

(١٧) القاموس: (١١٩٣/١ خ س ن)

(دبن):"الدُّبْنَةُ، بالضم: اللّقمة الكبيرة[١]. والدِّبْنُ، بالكسر: حظيرة الغنم."[٢].
(رثن): "الرَّثانُ، كسحاب: القطار المتتابعة من المطر بينهنّ سكون[٣] . وأرض مُرَثَّنَةٌ ، كمعظمة، ومَرْثونةٌ: أصابتها[٤]. وتَرَثَّنَتْ: طلت وجهها بغُمرة."[٥].
(طثن):" الطَّثْنُ، بالمثلثة[٦]: الطّرب، والتّنعّم."[٧]. **(رجه)**:" الرَّجْهُ: التّشبّث بالإنسان، والتّزعزع. وأرجه[٨]: أخر الأمر عن وقته ."[٩].

---

(١) عن ابن الاعرابي ، ينظر: التهذيب (١٤/ ١٠٠ د ن ب).
(٢) القاموس: (١١٩٤/١ د ب ن)
(٣) نقله الأزهري عن أبي زيد ، ينظر التهذيب (١٥/ ٥٥ ث ر ن).
(٤) وهو من نوادر الأعراب ، ينظر التهذيب (١٥/ ٥٥ث ر ن).
(٥) القاموس: (١١٩٩/١ ر ث ن)
(٦) قال الزبيدي: " أهمله الجماعة "، ينظر التاج: (٣٥/ ٣٤٧ ط ث ن).
(٧) القاموس: (١٢١٢/١ ط ث ن)
(٨) عن ابن الأعرابي، ينظر التكملة (٦/ ٣٤١ ر ج ه).
(٩) القاموس: (١٢٤٦/١ ر ج ه)

المطلب السابع– أصول سها ابن دريد عن ذكرها ووردت في القاموس:

بعض الأصول يمكن القول بأن ابن دريد سها عنها ولم يذكرها، والذي حملنا على هذا القول وجودها في كتب من سبقه: كالعين للخليل بن أحمد والجيم للشيباني، ثم ذكرها البقية في معاجمهم، وبعضها ورد في كتب الحديث أو شعر الشعراء.

من ذلك: (**حشب**)[١]:"الحَشِيبُ: الثوب الغليظ. والحَوْشَبُ: الأرنب، والعج، والثعلب الذكر، والضامر، والمنتفخ الجنبين، ضدّ، وموصل الوظيف في رسغ الدّابّة، أو عظم في باطن الحافر بين العصب والوظيف أو عظم صغير بين رأس الوظيف ومستقر الحافر، أو عظم الرّسغ، ورجل، والجماعة، كالحَوْشَبَةِ، ومخلاف باليمن. وشهر بن حَوْشَبٍ، وخلف بن حَوْشَبٍ ، والعوّام بن حَوْشَبٍ: محدثون. واحْتَشَبُوا: تجمعوا. وأحْشَبَه: أغضبه."[٢]. (**شمت**):"شِمِتَ، كفرح، شماتا وشماتة: فرح ببليّة العدوّ. وأشمته الله به. والشَّماتى والشِّماتُ: الخائبون، بلا واحد. والشَّوامِتُ: قوائم الدابّة. والتَّشْميتُ: التسميت، والجمع، والتخييب. والاشتمات: أوّل السّمن. والتَّشَمُّتُ: أن يرجعوا خائبين بلا غنيمة. وملك مُشَمَّتٌ: محيئ."[٣]، وجاء في كلام رسول الله ﷺ، قال أبو عبيد: في حديث النبي عليه السلام أنه عطس عنده رجلان فشمت أحدهما ولم يشمت

(١) وردت المادة في معجم العين (٣/ ٩٧ ح ش ب)

(٢) القاموس: (١/ ٧٤ح ش ب)

(٣) القاموس: (١/ ١٥٤ ش م ت)

الآخر...[١]. **(نغت)**[٢]: " النَّغْتُ، كالمنع: جذب الشّعر."[٣]. **(خرث)**: "الخُرْثِيُّ، بالضم: أثاث البيت، أو أردأ المتاع والغنائم. والخِرْثاءُ ، بالكسر: نمل فيه حمرة، وبالفتح: المرأة الضّخمة الخاصرتين، المسترخية اللحم."[٤]، وفي الحديث بينا نحنُ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ وبينَ يدَيْه غَنيمةٌ يقسِمُها؛ سَبْيٌ وخُرْثِيٌّ."[٥]، الخرثي: أثاث البيت وأسقاطه.[٦]. **(قرث)**[٧]: "القَرْثُ: الرّكوة الصغيرة. وقرث، كفرح: كدّ وكسب. وقَرَثَه الأمر: كرثه. والقِرِّيثُ: الجرّيث. وتمر، وبسر، ونخل قَراثاءُ وقَرِيثاءُ: لضرب من أطيب التّمر بسرًا."[٨]. **(لعث)**:"الأَلْعَثُ: الثّقيل البطيء. وقد لَعِث، كفرِح."[٩]. ذكر الأزهري هذه المادة في التهذيب[١٠]، واستشهد ببيت لأبي وجزة السعدي[١١]:

ونفضت عني نومها فسريتها بالقوم من تهم وألعث وان

---

(١)أخرجه البخاري (٨/ ٤٩) برقم (٦٢٢١)، ومسلم (٤/ ٢٩٩٢) برقم (٢٩٩١)

(٢) ذكرها الخليل في معجمه، ينظر العين. (٤/ ٣٩٧ غ ن ت).

(٣) القاموس: (١/ ١٦٢ ن غ ت)

(٤) القاموس: (١/ ١٦٧ خ ر ث)

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٣٠/ ٥٦٤) برقم (١٨٦٠٢).

(٦) غريب الحديث لابن الجوزي: (١/ ٢٧١)

(٧) ذكرت هذه المادة في العين (٥/ ١٣٦ ق ر ث).

(٨) القاموس: (١/ ١٧٤ق ر ث)

(٩) السابق: (١/ ١٧٥ ل ع ث)

(١٠) التهذيب: (٢/ ١٩٨ ع ل ت)

(١١) ينظر ديوانه: ٦٩

(لكث)[1]:"اللَّكْثُ: الضَّرب. ولكَثْتُهُ: جهدته، وحملت عليه. واللَّكَثُ، بالتحريك: داء للإبل شبه البثر في أفواهها، كاللُّكاثِ، كغراب. لكث، كفرح. واللُّكاثُ، كغراب: حجر براق في الجص. واللُّكاثِيُّ: الشديد البياض. وكرمّان: صنّاع الجصّ. ولكث الوسخ به، كفرح: لصق. وناقة لَكِثَةٌ: سمينة."[2]. **(رمج)**[3]: "الرَّمْجُ: إلقاء الطّير ذرقه. والرَّامِجُ: ملواح يصطاد به الجوارح. والتَّرْميجُ: إفساد سطور بعد كتابتها. والرَّماجُ، كسحاب: كعوب الرمح وأنابيبه."[4]. **(دبح)**[5]:" دَبَّحَ تَدبيحًا: دبح تدبيحا: بسط ظهره، وطأطأ رأسه، كاندبح، وذلّ، و. الكمأة: انفتح عنها الأرض وما ظهرت، و. في بيته: لزمه فلم يبرح. وما بالدار دِبِّيحٌ، كسكّين: أحد. ورملة مُدَبِّحَةٌ، بكسر الباء: حدباء، ج مَدابحُ."[6]. **(شنح)**: "الشُّنُحُ، بضمتين: السّكارى. والشَّناحِيُّ ، بالفتح: الجسيم الطويل من الإبل، كالشّناح الشّناحِية، مخففة. وشنَّح عليه تشنيحًا: شنّع. وبكر شَناح، كثمانٍ: فتيٌّ."[7]، ذكر الخليل هذه المادة في معجمه، واستشهد ببيت من الشعر غير منسوب[8]:

---

(١) جاءت هذه المادة في العين (٥/ ٣٤٩ ك ل ث).

(٢) القاموس: (١/ ١٧٥ ل ك ث)

(٣) هذه المادة ذكرها الخليل بن أحمد (٦/ ١٢١ ج ر م).

(٤) القاموس: (١/ ١٩١ ر م ج)

(٥) جاءت في العين (٣/ ١٨٧ ح د ب)

(٦) القاموس: (١/ ٢١٧ د ب ح)

(٧) القاموس: (١/ ٢٢٧ ش ن ح)

(٨) ينظر العين: (٣/ ٩٥ح ش ن)

أعدوا كل يعملة ذمول ... وأعيس بازل قطم شناحي

(نسح)[١]:"النَّسْحُ والنُّساحُ، كغُرابٍ: ما تحات عن التمر من قشره وفتات أقماعه ونحوهما مما يبقى أسفل الوعاء. ونسح التراب، كمنع: أذراه. وكفرح: طمع. والمِنْساحُ: شيء ينسح به التراب، أي: يُذرى. وكسحاب وكتاب: واد باليمامة، وله يوم م. ونُسَيّحٌ، كمصغّر نَسِيح: واد آخر بها."[٢]. **(ثلخ)**[٣]: "ثَلَخَ البقر، كمنع: رمى خثاه أيّام الرّبيع. وثَلِخَ ، كفرح: تلطّخ. وثَلَّخْتُه تثليخا: لطّخته."[٤]. **(دنخ)**[٥]: "دَنَّخَ تَدْنِيخًا: خضع، وذلّ، وطأطأ رأسه، وأقام في بيته، و. البطّيخة: انهزم بعضها وخرج بعضها، و. ذفراه: أشرفت قَمَحْدُوَتُهُ عليها، ودخلت هي خلف الخُششاوَين. والمِدَنِّخُ، كمحدّث: الفحّاش، ومن في رأسه ارتفاع وانخفاض. والدَّنْخَانُ: التّثاقل بالحمل في المشي."[٦]. **(كفخ)**[٧]:" كَفَخَهُ بالعصا، كمنعه: ضربه، وقفخه. والكَفْخَة: الزُّبدة المجتمعة البيضاء. ورجل مِكْفَخٌ ، وعمود مِكفَخٌ ، كمنبر: قوي."[٨]. **(لمخ)**:[٩] "تَلَمَّخَ بكلام قبيح:

---

(١) وردت هذه المادة في معجم العين ينظر (٣/ ١٤٥ ح س ن).

(٢) القاموس: (١/ ٢٤٤ ن س ح)

(٣) ذكر الخليل هذه المادة في معجمه ، ينظر: العين (٤ / ٢٤٧خ ث ل) .

(٤) القاموس: (١/ ٢٤٩ث ل خ)

(٥) وردت هذه المادة في معجم العين (٤/ ٢٣٣ خ د ن) .

(٦) القاموس: (١/ ٢٥٠ د ن خ)

(٧) وردت هذه المادة في العين (٤/ ١٥٦ خ ك ف)

(٨) القاموس: (١/ ٢٩٥ ك ف خ)

(٩) وردت هذه المادة في العين (٤/ ٢٧٥ خ ل م)

أتى به. ولامحه ملامحة ولماخا: لاطمه."[١]. **(ثند)**:"الثُّنْدُوَةُ، ويفتح أوله: لحم الثّدي، أو أصله."[٢]، وفي النهاية:" في صفة النبي ﷺ «عاري الثندوتين»[٣] الثندوتان للرجل كالثديين للمرأة."[٤]. **(ثهد)**[٥]:"الثَّوْهَدُ: الغلام السّمين، التامّ الخلق، المراهق، وهي: بهاء."[٦]. **(خند)**[٧]: "الخِنْذيذُ، بالكسر: الخنذيذ، بالكسر: الطويل، ورأس الجبل المشرف، كالخُنْذُوَةِ، والفحل، والخصي، ضدّ، والشاعر المجيد المفلق، والشجاع البُهمة، والسّخيّ، والخطيب البليغ، والسّيد الحليم، والعالم بأيام العرب وأشعارهم، والبذيء اللسان، كالخِنْذِيانِ ، والإعصار من الريح، وفرس عقفان الضبابي. وخَنْذَى: خرج إلى البَذاء. وذكره الجوهري في المعتل، وخنظى في الظاء، وهما من باب واحد. وتَخَنْذَذَ: صار خليعا

---

(١) القاموس: (١/ ٢٥٩ ل م خ)

(٢) السابق: (١/ ٢٧٠ ث ن د)

(٣) هذا الأثر مشتهر في كتب الغريب والمعاجم، ولم أجده بهذا اللفظ في كتب السنة، والذي وجدته أن جابر بن عبد الله صلّى بأصحابِه في بَيتِه، فقُلنا له: صَلِّ بنا كما رَأيتَ رسولَ اللهِ ﷺ يُصلّي، قال: فصَلّى بنا في مِلْحَفةٍ شَدَّها تحت الثَّندُوَتَينِ، وقال: هكذا رَأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يُصلّي، وهو عند أحمد في المسند (٢٣/ ٤٧) برقم (١٤٦٩٥)، وقال محققه: حديث صحيح.

(٤) النهاية: (١/ ٢٢٣ث ن د) .

(٥) ذكرت هذه المادة في الجيم (١/ ١٠٩ ث هـ د).

(٦) القاموس: (١/ ٢٧٠ ث هـ د)

(٧) ذكر الخليل بن أحمد هذه المادة في معجمه (٤/٢٤٤ خ ن ذ).

فاتكا."[1] **(ثقر)**[2]:" التَّثَقُّرُ: التّردّد، والجزع."[3]. **(حنر)**[4]:"الحَنِيرَةُ: عَقد الطّاق المبنيّ، والقوس، أو بلا وتر، والعقد المضروب ليس بذلك العريض، ومِندَفة للنساء يُندف بها القطن. والحِنَّوْرَةُ، كسنّورة: دويبّة. وحنّرها: ثناها."[5] ، كما وردت في حديث أبي ذر «لو صليتم حتى تكونوا كالحنائر ما نفعكم حتى تحبوا آل رسول الله ﷺ »[6]. **(خجر)**[7]:"الخَجَرُ، محركة: نتن السفلة. وكفلزّ: الشديد الأكل الجبان ج: الخِجِرُّونَ. والخاجِرُ: صوت الماء على سفح الجبل."[8]. **(خشر)**[9]:"الخُشارُ والخُشارَةُ، ضمهما: الرديء من كلّ شيء، وسفلة الناس، كالخاشِر، وما لا لبّ له من الشّعير. وخشَر يخشِر: أبقى على المائدة الخُشَارة، و. الشيء: نقّى عنه خُشارَته، ضدّ، وشره. وكفرِح: هرب جُبنا. وخُشاوَرة، بالضم: سكّة بنيسابور. وذو خَشْران، بالفتح: من ألهان بن مالك."[10] ، استعملت هذه اللفظة في حديث النبي ﷺ في قوله: «إذا ذهب

---

(١) القاموس: (١/ ٣٣٣ خ ن ذ)

(٢) وردت هذه المادة في العين: (٥/ ١٣٦ ق ث ر).

(٣) القاموس: (١/ ٣٥٩ ث ق ر)

(٤) ذكر الخليل هذه المادة في معجمه: (٣/ ٢٠٩ ح ر ن) .

(٥) القاموس: (١/ ٣٨٠ ح ن ر)

(٦) النهاية: (١/ ٤٥٠ ح ن ر).

(٧) وردت هذه المادة في العين (٤/ ١٥٨ خ ج ر)

(٨) القاموس: (١/ ٣٨٣ خ ج ر)

(٩) ذكر الخليل هذه المادة في معجمه العين: (٤/ ١٦٧ خ ش ر).

(١٠) القاموس: (١/ ٣٨٤_٤٨٥ خ ش ر)

الخِيار وبقيت خُشَارَة كَخُشَارَةِ الشّعير»[١]. **(فتش)**[٢]:" الفَتْشُ، كالضّرب، والتّفتيش: طلب في بحث."[٣] . **(نخش)**[٤]:"النَّخْشُ: الحثّ، والسّوق الشديد، والتحريك، والإيذاء، والقشر، وأخذ نقاوة الشيء، والخدش، والطائفة من المال. ونَخَشَ، كمنع وعُني، فهو مَنْخُوشٌ ، وهي منخوشة: هزل، وكفرح: بلي أسفله. وهو يَتَنَخَّشُ إلى كذا: يتحرك إليه. "[٥] . **(حنص)**[٦]:"حَنَصَ الرجل: مات. والحِنْصَأْوُ، كجردحل: الرجل الضعيف."[٧]. **(دخض)**[٨]:"الدَّخْضُ: سلاح السّباع وسلاح الصّبيان، وقد دخض، كمنع."[٩]. **(نتض)**[١٠]:"نَتَضَ الجلد نتوضًا: خرج به داء، فأثار القوباء، ثم تقشّر طرائق. ومن معاياة العرب: ظبي بذي تُناتِضَةٍ ، يقطع ردغة الماء بعنق وإرخاء. يسكّنون الردغة في هذه الكلمة وحدها. وأنْتَضَ العرجون، وهو ضرب من الكمأة، يتقشّر من أعاليه. وهو ينتض عن نفسه كما تنتض الكمأة ، والسّن السن: إذا خرجت فرفعتها عن

---

(١) النهاية: (٢/٣٣ خ ش ر).

(٢) وردت المادة عند الخليل، ينظر العين (٦/ ٢٤٦ ش ت ف)

(٣) القاموس: (١/ ٦٠٠ف ت ش)

(٤) هذه المادة ذكرها الخليل في العين (٤/ ١٧١خ ش ن)

(٥) القاموس: (١/ ٦٠٧ ن خ ش)

(٦) جاءت هذه المادة في العين: (٣/ ١٢٠ ح ص ن).

(٧) القاموس: (١/ ٦١٦ ح ن ص)

(٨) جاءت هذه المادة في العين: (٤/ ١٧٥خ ض د)

(٩) القاموس: (١/ ٦٤٢ د خ ض)

(١٠) جاءت هذه المادة في العين (٧/ ٢٥ ض ت ن).

نفسها."[1]. **(مثع)**[2]:"المِثَعُ، محركة: مشية قبيحة للنساء، كالمثعاء، أو هذه سقطة لابن فارس، والصواب: المثع لا غير، والفعل: كفرِح ومنع ونصر. والمِثْعاءُ: الضّبع المنتنة."[3]. **(شحك)**[4]:"شَحَكَ الجدي، كمنع: جعل في فمه الشّحاك، ككتاب، وهو عود يعرض في فمه يمنعه من الرضاع."[5]. **(قثل)**[6]:"القِثْوَلُّ، كعثولّ زنة ومعنى، وعذق النخل الضّخم، والبضعة الكبيرة من اللحم بعظامها."[7]. وفي التهذيب[8]:" روى أبو عبيد عن أبي زيد: رجل قثول، وهو العيي الفدم. وأنشدنا:

لا تجعلني كفتى قثول رث كحبل الثلة المبتل"

---

(١) القاموس: (١/ ٦٥٤_ ٦٥٥)

(٢) قال الأزهري:" أهمله الليث وهو معروف". التهذيب (٢/ ٢٠٣ ع ث م) وذُكرت في معظم معاجم اللغة.

(٣) القاموس: (١/ ٧٦٢ م ث ع)

(٤) وردت هذه المادة في معجم العين ينظر (٣/ ٥٧ ح ك ش).

(٥) القاموس: (١/ ٩٤٤ ش ح ك)

(٦) ذكرت هذه المادة في العين (٥/ ١٣٧ق ث ل)

(٧) القاموس: (١/ ١٠٤٧ ق ث ل)

(٨) التهذيب: (٩/ ٨٠ ق ث ل)

(كثل)[١]:"الكَوْثَلُ: مؤخّر السفينة، أو سكّانها، وقد تشدّد، ورجل ينسب إليه سِباع الشاعر. والكَثْلُ: الجمع، والصُّبرة من الطّعام. وأكثال: ع. والكَواثِلُ: أرض، وليس بتصحيف الكواتل."[٢]. كما جاءت في ديوان الأعشى[٣]:

من الخوف كوثلها يلتزم

(تحم)[٤]:"تَحَمَ الثوب: وشّاه. والتاحِم: الحائك. والأتْحَمِيُّ والأتْحَمِيَّةُ والمِتْحَمَةُ ، كمكرمة ومعظّمة: برد م. والتُّحمة: شدّة السواد، وبالتحريك: البرود المخطّطة بالصفرة، وفرس مُتَحَّمُ اللون، كمعظّم: إلى الشُّقرة. وأتحم: أدهم."[٥]، وفي شعر رؤبة[٦]:

أمسى كسحق الأتحمي أرسمه

(رتن)[٧]:"الرَّتْنُ: خلط الشحم بالعجين. والمِرْتَنَةُ ، كمكنسة ومعظّمة: الخبزة المشحمة. والراتين: صمغ مع الصّفّارين للإلحام. ورَتَن، محركًا: ابن كربال بن رتن البترندي، ليس بصحابيّ، وإنما هو كذّاب ظهر بالهند بعد الستمئة، فادّعى الصّحبة، وصدِّق، وروى أحاديث سمعناها من أصحاب أصحابه. ووادي راتونا، (صوابه: رانونا، بنونين): بين المدينة وقبا."[٨]

---

(١) ذكرت هذه المادة في العين (٥/ ٣٤٩ك ث ل)

(٢) القاموس: (١/ ١٠٥٢ ك ث ل)

(٣) ينظر ديوانه: ص٣٩

(٤) وردت هذه المادة في العين (٣ / ١٩٦ ح ت م)

(٥) القاموس: (١/ ١٠٨٢ ت ح م)

(٦) ينظر ديوانه: ١٤٩

(٧) جاءت هذه المادة في العين (٨/ ١١٣ ت ر ن)

(٨) القاموس: (١/ ١١٩٩ر ت ن)

الخاتمة

في هذه الدراسة ذكر الجذور الثلاثية المهملة في الجمهرة ومقارنتها بمعجم القاموس المحيط للفيروز آبادي بهدف التحقق من استعمال العرب لها أو إهمالها، وخلصت الدراسة إلى جملة من النتائج، أهمها:

١- ظهور المهمل في المعاجم العربية ووردت عنه إشارات في الدرس اللغوي قديما وقد نبه إليه أصحاب المعاجم كما فعل ابن دريد في معجمه الجمهرة، فكانت هذه الظاهرة أكثر ظهورًا في معاجم التقليبات التي تعرض كل الأوجه الممكنة التي تتألف منها حروف اللغة العربية الثمانية والعشرين.

٢- استقصت الدراسة الأصول الثلاثية المهملة عند ابن دريد وقارنتها بما جاء مستعملا في القاموس المحيط بهدف التحقق من مدى استعمال العرب لها.

٣- بلغ عدد الجذور الثلاثية المهملة في الجمهرة والمشتملة على صوت (ب، ت، ث، ج، ح، خ) ما يقارب (٥٠٤٦) جذرا.

٤- الجذور المستعملة في القاموس المحيط مما أهمله ابن دريد بلغت (٣٣٢) جذرًا، أي بنسبة (١٧٪).

٥- محاولة اللغويين أن يبينوا سبب الإهمال، وكانت ترجع في الغالب إلى أسباب صوتية، حيث تبين أن أكثر المهمل من الأبنية التي يصعب النطق بها.

٦- أوضحت الدراسة منهج ابن دريد في الإشارة إلى المهمل.

٧- بينت الدراسة اختلاف المعاجم في تحديد المهمل، فما كان مهملا عند ابن دريد جاء مستعملا عند غيره.

المصادر والمراجع

١. الأزمنة والأمكنة، المرزوقي: أبو علي أحمد بن حسن الأصفهاني، تحقيق: خليل المنصور، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م.

٢. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، (د.ط) ، (د.م)، دار الهداية، (د.ت).

٣. تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٤. التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية ، الصاغاني: الحسن بن محمد، تحقيق: عبد النعيم الطحاوي، عبد الحميد حسن، (د.ط)، القاهرة، دار الكتب، ١٩٧٠م.

٥. تهذيب اللغة، الأزهري: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق:محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي ، ٢٠٠١م.

٦. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، (د. م) ، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٧. جمهرة اللغة، ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.

٨. الجيم، الشيباني: أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، راجعه: محمد خلف أحمد، (د.ط)، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.

٩. الخصائص، ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، ط٤ ، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ت).

١٠. ديوان الأعشى الكبير ، ميمون بن قيس ، تحقيق: محمدحسين ، (د.ط)، (د.م) ، مكتبة الآداب بالجماميز ، (د.ت)

١١. ديوان تأبط شرا، جمع وتحقيق: علي ذو الفقار شاكر ، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٤هـ_١٩٨٤م.
١٢. ديوان الطرماح، تحقيق: عزة حسن، ط٢، بيروت، دار الشرق العربي، ١٤١٤هـ_ ١٩٩٤م.
١٣. ديوان يزيد بن مفرغ الحميري، جمعه وحققه: عبد القدوس أبو صالح، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ_ ١٩٨٢م.
١٤. سر الفصاحة، الخفاجي: أبو محمد عبد الله بن محمد ابن سنان الحلبي ،ط١ ، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٢م
١٥. شعر أبي وجزة السعدي، صنعة: وليد السراقبي، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ٣٤، يناير_١٩٩٠م.
١٦. الشوارد = ما تفرد به بعض أئمة اللغة، الصاغاني: رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن القرشي الصغاني، تحقيق وتقديم: مصطفى حجازي، مراجعة: الدكتور محمد مهدي علام، ط١، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ،١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
١٧. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، ط١، الناشر: محمد علي بيضون، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
١٨. العين، الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (د.ط) ، مصر، دار ومكتبة الهلال، (د.ت).
١٩. غريب الحديث، ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد المعطي أمين القلعجي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ — ١٩٨٥.
٢٠. غريب الحديث، ابن سلام: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، ط١، حيدر آباد، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد-١٩٦٤ م.

٢١. غريب الحديث، الخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، (د.ط)، دار الفكر، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
٢٢. الفائق في غريب الحديث والأثر، الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، تحقيق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، لبنان، دار المعرفة ، (د.ت)
٢٣. الفروق في اللغة، العسكري: أبو هلال الحسن بن سعيد، تحقيق جمال عبد الغني مدغمش،ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة ٢٠٠٩م.
٢٤. الفلك الدائر على المثل السائر ،عز الدين: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، (د.ط)، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، (د.ت)
٢٥. القاموس المحيط، الفيروز آبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط٨، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٢٦. لسان العرب، لابن منظور: محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور، ط٢، بيروت،دار صادر ، ١٤١٤ هـ.
٢٧. مجمل اللغة، ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة،١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
٢٨. مجموعة أشعار العرب، وهو مشتمل على ديوان رؤبة ، اعتنى بتصحيحه: وليم بن الورد، (د.ط)، الكويت، دار ابن قتبة للطباعة والنشر، (د.ت).
٢٩. المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
٣٠. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن ﷺ العدل إلى رسول الله: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت ، (د.ط) ،دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

٣١. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، ط:١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٣٢. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.
٣٣. معجم البلدان، الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الرومي الحموي، ط:٢، بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م.
٣٤. مقاييس اللغة ، ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، (د.ط)، مصر، دار الفكر ،١٩٧٩م.
٣٥. المَنَجَّد في اللغة، كراع النمل:: علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، تحقيق: أحمد مختار عمر، ضاحي عبد الباقي، ط٢، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٨ م.
٣٦. موت الألفاظ في العربية: عبد الرزاق الصاعدي، مجلة الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، العدد ١٠٧ ، ١٤١٨_ ١٤١٩هـ.
٣٧. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، (د.ط)، بيروت، المكتبة العلمية ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

***

ما لا يكون جملة

د. سعود بن أحمد المنيع
قسم اللغة العربية – كلية التربية بالزلفي
جامعة المجمعة

ما لا يكون جملة

د. سعود بن أحمد المنيع

قسم اللغة العربية - كلية التربية بالزلفي
جامعة المجمعة

تاريخ تقديم البحث: ١/ ١/ ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ٢٩/ ٣/ ١٤٤٢ هـ

ملخص الدراسة:

تقوم فكرة البحث على تتبع ما لا يكون جملة من الأبواب النحوية، ودراسة ذلك والنظر فيه، وبحث ما ورد فيه من خلاف بين النحويين، وما هو محل إجماع، سواء أكان ذلك في العُمَد التي يسند إليها أم غيرها؟

وهذا البحث إنما هو إسهام في دراسة الجملة، إذ عرض الأبواب النحوية وبيَّن ما يمتنع أن يقع منها جملة، مع إيراد الخلاف في ذلك وترجيح ما يظهر للباحث صوابه.

الكلمات المفتاحية: جملة، مفرد، لا يكون، مرفوع، الإسناد، اسم.

That which cannot be a sentence

Dr.Saoud Ben Ahmed Al Maneia
Az-Zulfi College of Education
Majmaah University

Abstract:

This research investigates the Arabic syntax Abwab that do not constitute a sentence. It purports to explore these Abwab and find out the points of agreements and disagreements among grammarians on the matter, be it in the primary or the secondary sources .

In so doing, the research seeks to contribute to the study of the sentence by discussing the Arabic syntax Abwab and explaining those Abwab that can't make a sentence. The research has also tried to look at the different explanations of these Abwab and make a synthesis out of it.

key words: The sentence. Cannot be. The Inflected agent. Attribution. Noun.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد

فدراسة الجملة من حيث العموم لم تأخذ حقها ونصيبها من الدراسات النحوية لا سيما في الدرس النحوي القديم، ولكنها كانت حاضرة منذ نشأة النحو الأولى. ومؤكَّد أن دراستها لم تكن بمستوى دراسة المفردة مع أن دراستها لا تقل أهمية عن دراسة المفردة، ولكن دراسة المفردات استحوذت؛ لكونها اللبنة المهمة والأساسية في بناء الجملة، فكان النحويون يبنون دراستهم للجملة من دراستهم للمفردات، فحكموا على الجمل بحسب وقوعها موقع المفردات، فكل جملة صح وقوع المفردة موقعها فلها محل من الإعراب وما لا فلا.

وبعد تتبع دراسة الجملة في الدرسين القديم والحديث وجدت أن دراسة الجملة تزداد تدريجيًا في العصور المتأخرة، ولكن تلك الدراسات تتركز على تقسيمات الجملة الشهيرة من حيث كونُها اسمية أو فعلية، ومن حيث محلها من الإعراب وعدمه، فصنفت في ذلك المصنفات ونُظِمت المنظومات، ولعلماء القرن السابع والثامن القِدْح المعلَّى في ذلك؛ إذ أفردوا دراسة الجملة بمصنفات مستقلة، كما فعل المرادي وغيره، وربما بسَطوا في دراستهم للجملة وتقسيماتها في مصنفاتهم النحوية كما فعل أبو حيان، وابن هشام، وغيرهما، وسيأتي بيان ذلك في الدراسة.

وهذا البحث يدور في رحى الجملة والمفردة جميعًا؛ إذ يبحث ما يمتنع أو يترجح عدم وقوعه جملة من أبواب النحو مما يستحق وظيفة نحوية، كالمبتدأ،

والفاعل، والمفاعيل، والمجرورات، ونحو ذلك، ولم أر من خصَّ ذلك ببحث، فلم شتاته وجمع متفرقه.

جاء في مصنفات النحويين قديمًا وحديثًا نفي ما يقع جملة من أبواب النحو مشتتًا مفرقًا لم يجمع وربما جاءت عَرَضًا في كثير منها، فجاء هذا البحث لِيجمع ذلك الشتات، ويجيب عن سؤال يكثر تداوله بين المختصين حول الوظائف النحوية التي يمتنع وقوعها جملة.

هذا وقد جاء هذا البحث لينظر فيما لا يكون جملة في ضوء أقوال العلماء والراجح من آرائهم، فيعرض أقوالهم في كل مسألة من مسائل هذا البحث، ثم يذكر ما يراه راجحًا.

ويقتضي البحث أن يكون مقسمًا على النحو الآتي:

مقدمة تبين المراد من عنوان البحث، وتوضح أهميته وجدته، ثم مدخل حول دراسة الجملة لدى العلماء والدارسين.

ثم بعد ذلك دراسة المسائل في أربعة مباحث:

المبحث الأول: ما لا يكون جملة من المرفوعات.

المبحث الثاني: ما لا يكون جملة من المنصوبات.

المبحث الثالث: ما لا يكون جملة من المجرورات.

المبحث الرابع: ما لا يكون جملة من التوابع.

ثم يلي ذلك خاتمة تسفر عن أهم نتائج البحث.

ووفقًا للخطة الموضوعة، فإن منهج البحث يقتضي استقراء ما في التراث النحوي من أحكام وآراء، واستخلاص ما فيها مما يمتنع وقوعه جملة من أبواب النحو.

والله سبحانه وتعالى أسأل هداية الصواب، وقبول العمل.

مدخل

لم تحظ دراسة الجملة بعناية النحويين –لا سيما القدماء– كما حظيت المفردة، فقد انصرف جلّ اهتمامهم إلى النظر في المفردات وما لها من أحكام إعرابية، فنظروا فيها وفي أقسامها (اسم، وفعل، وحرف)، وأوغلوا كثيرًا في دراسة العوامل بأقسامها وتأثيرها في تحديد إعراب المفردات اللغوية داخل التركيب، ولم تلق دراسة الجملة تلك العناية التي نراها ظاهرة في المفردات، ولم نر مصنفًا من مصنفاتهم يختص بالجملة بالرغم من أهميتها وأنها لا تقل شأنًا عن المفردة، ولعل ذلك يعود لأمور عامة وخاصة، فأما العامة فإن مرحلة التقعيد والتأسيس يجب أن تتركز على اللبنة الأولى في التركيب، والمفردة هي لبنة بناء الجملة، ثم إن المراحل الأولى ارتبطت ارتباطًا وثيقًا في ملاحظة الخطأ وتتبعه والسعي لمواجهته، وكانت الأخطاء كثيرًا ما ترتبط في إعراب المفردات فانصبت الجهود عليها لرصدها ومحاولة تصحيحها.

وأما الخاصة فتعود لأمرين أساسيين:

الأول: عناية القدماء بالعامل، فقد شَغَلَ العاملُ النحويين عن دراسة الجملة؛ لظهور أثره في المفردة أكثر من الجملة، فكان تناولهم للجملة مرهونًا في حدود ارتباطه بالمفرد ووقعها موقعه من العوامل يقول ابن الخشاب:" اعلم أن أصل الجمل الاستقلال بنفسها، والمفرد ليس كذلك إلا أنها قد تقع موقعه في

بعض الاستعمال، فتكون كغير المستقل، ويحكم عليها بإعراب في موضعها بحسب إعراب المفرد الذي وقعت موقعه"[١].

وهذا هو ما لفت انتباه بعض المحدثين في جعله السبب الأول في عدم عناية القدماء بالجملة، يقول مهدي المخزومي:" لا أعرف أحدًا من النحاة عُني بالجملة وأنواعها وأقسامها قبل ابن هشام في (مغني اللبيب)، ولعل لذلك سببًا هو أنهم عُنوا بظاهرة الإعراب وتفسيرها، وفكرة العمل والعامل، ولا يظهر في الجملة أثر العامل كما يظهر في الكلمات العربية المعربة"[٢]. ونجد السبب نفسه عائقًا عن دراسة الجملة لدى محمد حماسة إذ يرى أنَّ:" من آثار فكرة العامل في النحو العربي أنه شغل النحاة عن دراسة الجملة العربية، بل تعلقت الدراسة بالبحث عن العوامل...، واهتمت كتب النحو بالمرفوعات والمنصوبات والمجرورات أكثر من اهتمامها بالجملة وأنواعها"[٣].

الثاني: عناية القدماء بالعلامة الإعرابية(الحركات)؛ مما أدى إلى" أن ملاحظة الحركة جعلت الدرس النحوي ينظر إلى الجملة مفتتة ومجزأة. وهذا آخر ما يمكن أن نقول عنه إنه وظيفة علم النحو الأساسية وهي دراسة التراكيب، فلم نجد عناية تذكر بالجملة وأنماطها، ولا توفرًا مباشرًا على دراستها"[٤].

---

(١) المرتجل٣٤٠.

(٢) في النحو العربي نقد وتوجيه٣٤.

(٣) العلامة الإعرابية١٨٢.

(٤) الجملة الشرطية١٩.

وأول ما يلفت انتباهنا في تناول القدماء للجملة هو المصطلح، فمصطلح الجملة لا يكاد يرى في مصنفات النحويين الأولى، فسيبويه لم يستخدم مصطلح الجملة على أنه مصطلح نحوي[١]، وذكر محمد حماسة أنه لم ير المصطلح في كتاب سيبويه بمعنييه الاصطلاحي واللغوي. والصواب أنه ذكره بالمعنى اللغوي في أكثر من موضع بصورة الإفراد والجمع[٢]، وإن كان سيبويه لم يعبر بمصطلح الجملة بمعناه النحوي فقد عبَّر عنها بمصطلحات أخر، كالفعل[٣]، والكلام[٤]، ولا ضير في ذلك كله إذ سيبويه ينهج "في دراسة النحو منهج الفطرة والطبع، ويدرس أساليب الكلام في الأمثلة والنصوص؛ ليكشف عن الرأي فيها صحة وخطأ، أو حسنًا وقبحًا، أو كثرة وقلة، ولا يكاد يعرف معرفًا، أو يلتزم مصطلحًا...على نحو ما نرى في الكتب التي صنفت لعهد ازدهار الفلسفة واستبحار العلوم"[٥].

الكلام عند سيبويه مقصود به الجملة في مصطلح من بعده من النحويين كما أفصح عن ذلك ابن جني في قوله:" أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه. وهو الذي يسميه النحويون الجمل، نحو: زيد أخوك، وقام محمد،

---

(١) انظر: معالم التفكير في إعراب الجملة ودواعيه عند سيبويه. مجلة الدراسات اللغوية ج٨/ العدد١، ١٠٤.

(٢) انظر: الكتاب١/٣٢، ٣/٤،٢٠٨،١١٩/١٩٣.

(٣) انظر: الكتاب٢/٣٥٠، ٣/٦٤.

(٤) انظر: الكتاب١/٢٥، ٧٨.

(٥) سيبويه إمام النحاة١٥٨.

وضرب سعيد، وفي الدار أبوك، وصه، ومه، ورويد، وحاءِ وعاءِ في الأصوات، وحس، ولب، وأف، وأوه، فكل لفظ استقل بنفسه، وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام"[١]. وإن كان ما ذكره ابن جني ليس محل اتفاق بين النحويين[٢].

ويستخدم الفراء في(معاني القرآن) مصطلح الجملة ولكن ذلك نادرٌ جدًا[٣]، وإنما يكثر استعمال مصطلح الجملة عند المبرد[٤] مقارنة بالسابقين، ويزداد ظهور المصطلح وفشوّهِ عند نحاة القرن الرابع؛ لتوسعهم أكثر من سابقيهم في دراسة الجملة والنظر في تقسيماتها من حيث محل الإعراب وعدمه، كما وقع عند ابن السراج[٥]، والسيرافي[٦]، وابن جني[٧]، وغيرهم.

ويجدر بنا ونحن ننظر في شأن الجملة عند القدماء أن ننبه إلى أنهم في الحقيقة لم يهملوها مطلقًا، بل إنهم درسوها ولكن لم تكن تلك الدراسة بمستوى دراستهم للمفردات، في التحليل والتفصيل، يقول تمام حسان:" المعروف أن هذا الجانب التحليلي من دراسة النحو لا يمس معنى الجملة في عمومه لا من الناحية الوظيفية العامة كالإثبات والنفي والشرط والتأكيد والاستفهام

---

(١) الخصائص١/١٧، وانظر: في بناء الجملة العربية٢٧.

(٢) انظر: مغني اللبيب٤٩٠، والأشباه والنظائر٢/٣٩١، وإعراب الجمل وأشباه الجمل١٥.

(٣) انظر: معاني القرآن٢/١٩٥.

(٤) انظر: المقتضب١/١٤٦، ٢/١٢، ١٦، ٦٤، ٣/١٢٧، ٢٧٩، ٤/١٢٥، ١٩٣.

(٥) انظر على سبيل المثال: الأصول١/٥٨، ٢/١٧٩، ٢٧٦.

(٦) انظر على سبيل المثال: شرح كتاب سيويه١/٦١، ٢/٢٦.

(٧) انظر على سبيل المثال: الخصائص١/٢٨، ٣١، ١٠٦، وسر صناعة الإعراب١/٢٧٧، ٣١٣، ٢/٢٨٨.

والتمني...، ولا من ناحية الدلالة الاجتماعية التي تبنى على اعتبار المقام في تحديد المعنى وإن كانت تمس ناحية من نواحي الترابط بين أجزاء الجملة بروابط مبنوية أو معنوية ذكروها فرادى ولم يُعنوا بجمعها في نظام كامل"[1].

إن دراسة قدماء النحويين للجملة لم يكن بالمستوى الذي كان عليه مَن بعدهم من علماء القرن الرابع وما بعده، فلم نر في دراسات القدماء تلك الدراسات المستقلة بشأن الجملة وتحليلها كما وقع في مصنفات المتأخرين؛ إذ جعلوا النظر في الجملة قسيم المفردة في دراستها والنظر في أنواعها وما تستحقه من إعراب وغير ذلك، ولا سيما عند علماء القرنين السابع والثامن فلهم عناية جليَّة بشأن الجملة لم تكن بذلك الظهور والاستقلال عند علماء القرن الرابع، فأَوْلَوا الجملة عناية عظيمة كما نراه عند أبي حيان وابن هشام في(مغني اللبيب)، وأفردوا دراسة الجملة بمصنفات مستقلة تضاهي دراسة المفردات كما فعل المرادي في دراسته للجملة وخصها بنظم معين يتداوله الناس اليوم يعرف بـ(بأبيات الجمل) ذكر فيه الجمل التي لها محل من الإعراب، والتي لا محل لها من الإعراب، كما أفردها برسالة مستقلة ترجمها بـ(رسالة في جمل الإعراب)، وهي مطبوعة ينتفع بها الناس اليوم، والعُنَّابي في رسالته (الحلل في الكلام على الجمل) تحدث فيها بالتفصيل عن الجمل التي لها محل من الإعراب، والتي لا محل لها، وهي مطبوعة بأيدي الناس اليوم.

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها١٦.

وتجدر الإشارة قبل الخوض في مسائل البحث إلى أن الأبواب النحوية، أو ما يسميه بعض المحدثين الوظائف النحوية تنقسم باعتبار الإفراد والجملة إلى أقسام:

- ما يكون مفردًا وجملة كالخبر وما أصله الخبر، والحال، والنعت، ونحو ذلك.
- ما لا يكون إلا جملة، وحمل عليه: جواب الشرط، وبعض أخبار النواسخ، مثل: (كاد) وأخواتها، و(أنَّ، وكأنَّ) إذا خُففتا، وبعض ما يقع مضافًا إليه، كالذي يأتي بعد (إذ، وحيث)، ونحو ذلك.
- ما يكون مفردًا فقط، ولا يكون جملة، وهذا ما عليه مدار البحث.

المبحث الأول: ما لا يكون جملة من المرفوعات

أولًا: المبتدأ وما أصله المبتدأ

المبتدأ وما أصله المبتدأ وظيفة مسند إليها في الجملة العربية ويبتدأ بها الكلام، والأصل فيه الإفراد؛ لأنه محكوم عليه، واختلف في صحة مجيئه جملة على أقوال:

أولها: المنع مطلقًا، وهذا قول جمهور النحويين[١]، واختاره الفارسي[٢]، وصرح به ابن جني[٣]، ونسبه ابن هشام للأكثرين[٤]، فالمبتدأ عندهم لا بدَّ أن يكون اسمًا مفردًا؛ " لأنه لا يبتدأ إلا بالأسماء المفردة، ويتعذر تقدير الجمل في المفردات"[٥]؛ إذ المسند إليه محكوم عليه ومخبر عنه وهذا لا يتأتَّى مع الجمل إلا إن حملت على المفرد نحو: (لا إله إلا الله كلمة التوحيد)، فالجملة المكونة من لا النافية للجنس واسمها وخبرها المحذوف وتابعه، كل ذلك في تأويل المفرد المحدَّث عنه، وإن كانت صورته صورة الجملة، فالإسناد هنا ليس مرادًا لدى النحوي، بل المراد اللفظ، فيعطى حكم اللفظ المفرد، قال ابن الحاجب:" لم يقع الفاعل ولا المبتدأ جملة إلا إذ قصد به نفس اللفظ، فيكون حينئذٍ كالمفرد في الحكم"[٦].

---

(١) انظر: التذييل والتكميل١/٥٥، ونتائج الفكر٤٢٩.

(٢) التعليقة١/٧.

(٣) الخصائص١/٣١٤، وسر صناعة الإعراب١/٣٧٣.

(٤) مغني اللبيب ٥٥٩، وانظر: مقومات الجملة العربية١٨٧.

(٥) الطراز١/٣٥٦. وقد علل ابن الحاجب عدم وقوعه جملة في إملاء مستقل ضمن أماليه٢/٧٦٤.

(٦) الأمالي٢/٨٨٢، وانظر: المقاصد الشافية٢/٥٤٠.

ثانيها: جواز مجيء المبتدأ جملة، وبه قال هشام الضرير، وثعلب، وجمع من الكوفيين[١]، وكأن ابن جني يترخص في المبتدأ ما لا يترخص بالفاعل، ولا سيما أنه قد ورد أن الصفة(الجملة) أقيمت مقام الموصوف (المبتدأ)[٢].

ثالثها: الجواز فيما سمع فقط، قال به محمد حماسة عبد اللطيف من المحدثين، فرأى أن المبتدأ جاء في مواضع من القرآن الكريم جملة على غير المألوف من أمره[٣]، فيبقى وروده جملة متفردًا لا يقاس عليه[٤].

والذي يظهر أن المبتدأ لا يكون جملة؛ لكونه محكومًا عليه، ومخبرًا عنه، والإخبار لا يكون إلا عن الاسم، فهو مسند إليه، ولا يكون الإسناد لجملة؛ إذ الجمل نكرات؛ لوقوعها في موقع الحال ولوصف النكرة بها، والأولى بالإسناد أن يكون لمعرفة إلا إن قصد اللفظ دون المعنى، فحينها يمكن وروده جملة في الظاهر؛" لأن المعنى معنى المفرد، نحو: سواء عليَّ أقمت أم قَعَدْتَ. وهو كثيرٌ في القرآن والكلام العربي؛ لأن (أقمتَ أم قعدت) في تقدير: قيامُك وقُعودُك"[٥].

---

(١) التذييل والتكميل١/٥٥. وقد ذهب الفراء إلى عدم الجواز، وتأوّل ما جاء مخالفًا لذلك. معاني القرآن٢/٣٢٣.

(٢) الخصائص٢/٣٧٠، وسر صناعة الإعراب١/٢٨٨.

(٣) مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴿٢٤﴾﴾[الروم:٢٤]، ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ ﴿٧٣﴾﴾ [القصص: ٧٣].

(٤) انظر: في بناء الجملة العربية٧٠.

(٥) المقاصد الشافية٢/٥٤٠. وانظر: شرح الكافية٣/٨٦.

ثانيًا: الفاعل وما ينوب عنه

الفاعل وما ينوب عنه محكوم عليهما داخل الجملة ومسند إليهما كذلك ويراد به عند أهل العربية "كل اسم ذكرته بعد الفعل وأسندت ونسبت ذلك الفعل إلى ذلك الاسم، وأن الفعل الواجب وغير الواجب في ذلك سواء"[١]، وهكذا نائب الفاعل فقد ينوب عن الفاعل: المفعول أو الظرف أو الجار والمجرور أو المصدر كل ذلك محمول على الفاعل نحويًا وإسناديًا وليس نائبًا عن الفاعل في المعنى.

الخلاف في مجيء الفاعل ونائبه جملة قريب من الخلاف الحاصل في المبتدأ؛ لأنَّ كلًا من المبتدأ والفاعل محكوم عليهما في الجملة ومحدث عنهما ومسند إليهما.

وقد جاء الخلاف في الفاعل ونائبه على أربعة أقوال:

أولها: المنع مطلقًا، وذهب إليه جمهور البصريين والفارسي[٢]، والسهيلي[٣]، وابن الشجري[٤]، وابن يعيش[٥]،وهو الصحيح عند أبي حيان[٦] وابن هشام[٧]،

---

(١) الخصائص١/١٨٥.

(٢) انظر: الشعر٢/٤٩٦، ٥٢١، والتعليقة١/٧.

(٣) انظر: نتائج الفكر٤٢٩.

(٤) انظر: أمالي ابن الشجري٢/٣٧.

(٥) انظر: شرح المفصل٤/٨٦.

(٦)انظر: البحر المحيط١/٢١١.

(٧) انظر: مغني اللبيب٧٥٥، وشرح شذور الذهب٢٢٣.

والعنابي[١]، والأصح عند السيوطي[٢]، وهو ما يُفْهمُ من بعض كلام سيبويه[٣].

وقد تأولوا كل ما جاء ظاهره أن الفاعل أو نائبه جملة بتأويلات:

الأول: أن يكون هناك سابك محذوف، وهو (أنْ) وحدها دون أخواتها[٤].

الثاني: أن يكون الفاعل هو ما دل عليه ظاهر الجملة.

الثالث: أن يكون الفاعل محذوفًا وإن لم يقم في اللفظ ما يقوم مقامه[5]، ويقدرون في النائب ضمير المصدر، والجملة بعده تكون مفسرة له، كما في قوله تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴿١١﴾﴾[البقرة: ١١]، فجملة النهي مفسرة للضمير، وهذا مردود بصحة وقوع الجملة محكية في محل المفعول كما سيأتي[6].

ثانيها: الجواز مطلقًا، وممن قال به: هشام، وثعلب وبعض الكوفيين[٧].

ثالثها: التفصيل، وذهب إليه الفراء وجماعة من النحويين، فيجيزون إن كانت الجملة في موضع فاعل أو نائبه لفعل من أفعال القلوب والفعل معلق عنها، نحو: ظهر لي أقام زيد أم عمرو، وعلم أقام عبد الله أم بكر. ويمنعون:

---

(١)انظر: الحلل في الكلام على الجمل٥١.

(٢) انظر: همع الهوامع٢/٢٧٢، والأشباه والنظائر٢/٤٥.

(٣) انظر: الكتاب١/٢٣.

(٤)انظر: الحجة للقراء السبعة٤/١٥٥، وشرح التسهيل١/٢٣٣.

(٥)انظر: التذييل والتكميل١/٥٦.

(٦) انظر: التذييل والتكميل٦/٢٥٩، ومغني اللبيب٥٢٥.

(٧) انظر: الشعر٢/٥٢١، والخصائص٢/٤٣٥.

يسرني يخرج عبد الله، ويتأولون ما ظاهره ذلك، ونسب هذا القول لسيبويه[١]، قال أبو حيان:" وكلام سيبويه يحتَمِل"[٢]، وانتصر له ابن ولاد[٣] وقال به السيرافي[٤].

رابعها: الجواز في ضرورة الشعر فقط، وهو ظاهر كلام ابن جني[٥]، وابن عصفور[٦].

خامسها: الجواز بشرط كون الفعل قلبيًا، وأن تكون الجملة معلقة بالاستفهام وحده دون سائر المعلقات. وقد قال بهذا القول ابن هشام[٧]، وليس هو المشتهر عنه، واختاره الدماميني[٨].

ومما سبق يتبين أن إسناد الأفعال خاص بالأسماء، لا سيما هنا في باب الفاعل؛" لأنه يُضْمَرُ، ويكنى عنه، ويثنى ويجمع. ولا يجوز شيء من ذلك في الجمل"[٩]، وما جاء على خلاف ذلك فمحمول على الحكاية؛ إذ " الجملة لا

---

(١) انظر: التذييل والتكميل١/٥٦. وانظر: الكتاب٣/١١٠، ومعاني القرآن٢/١٩٥، ٢٣٣..

(٢)التذييل والتكميل١/٥٦، وانظر: مغني اللبيب٥٥٩.

(٣)انظر: الانتصار١٨٧.

(٤)انظر: شرح كتاب سيبويه١/٤٧.

(٥)انظر: الخصائص٢/٤٣٥.

(٦)انظر: ضرائر الشعر٢٦٥.

(٧)انظر: مغني اللبيب٥٢٤. وسبق القول بأن ابن هشام صحح القول بالمنع مطلقًا، وهذا لا يمنع من أن يكون له في المسألة رأيان.

(٨) انظر: تعليق الفرائد٤/٢١٨.

(٩) المقاصد الشافية٢/٢٩٣.

تقوم مقام الفاعل إلا محكية"[1]، أو يقتصر بما ورد في السماع على أن " نمضي في ربط كل جملة من الجمل التي خرجت عن مألوف الاطراد الذي قعد له النحاة بالموقف الذي ترد فيه، وسياقها الذي يطلبها على النحو الذي جاءت به، وينظر إليها على أنها شوارد ندَّت عن السمت العام لنظام الجملة"[2]، وهذا أولى من المنع المطلق مع وجود شواهد ليست بالقليلة تخالف ذلك من القرآن الكريم وكلام العرب، ومن ثمَّ تأويلها على أوجه لا يخلو بعضها من تكلف وشذوذ.

(١) شرح الكافية١/٢١٧.

(٢) في بناء الجملة العربية٦٤.

المبحث الثاني: ما لا يكون جملة من المنصوبات

أولًا: المفعول به

المفعول به لا يكون إلا اسمًا[١]؛ "لأنه مخبر عنه في المعنى"[٢]، وهذا ظاهرٌ، فعمرٌو في قولك: (ضرب زيد عمْرًا) اسم مخبر عنه، والضمير الكاف في: (بَشَّرْتُكَ) وقعت موقع الاسم المفرد، ولا يصح أن يقع شيء من ذلك موقع الجمل، ويدخل في هذا الحكم المفعول الأول من باب ظن، والأول والثاني من باب علم وأخواتهما، فهذه إنما لزمت الإفراد باعتبار أصلها، وهو المبتدأ فلها أحكامه، ومنها أنه لا يكون جملة[٣]، وكذلك يجري حكم الإفراد في المفعول الثاني من باب (أعطى وكسا)، فإنه "لا يجوز أن يكون المفعول الثاني فيه إلا اسمًا محضًا، ولا يجوز أن يقع موقعه فعل ولا جملة"[٤].

وكذلك المنادى فإنه مفعول في الأصل من جهة اللفظ والمعنى كما هو عند سيبويه وجمهور النحويين[٥]؛ ولذا لزم أن يكون اسمًا مفردًا بإجماع النحويين[٦]، قال ابن الناظم:" المنادى مفعول به، والمفعول به لا يكون إلا

---

(١) ويعده النحويون من علامات الأسماء. انظر: شرح المقدمة الجزولية الكبير١/٣١٩.

(٢) توضيح المقاصد والمسالك١/٢٨٣.

(٣) انظر: البديع١/٤٥٧، وشرح الكافية٤/٣٤٢.

(٤) الحلل في شرح أبيات الجمل٣٨٩.

(٥) انظر: الكتاب١/٢٩١، والمقتضب٤/٢٠٢، وشرح التسهيل٣/٣٨٥، والتذييل والتكميل١/١٣،٥٢/٢١٩.

(٦)انظر: الإنصاف١٠٠.

اسمًا؛ لأنه مخبر عنه في المعنى"[١]، وما أتى في ظاهره أن المنادى جملة كأن يدخل حرف النداء على فعل ونحوه فمؤول إما بكون المنادى محذوفًا، وإما على جعل أداة النداء للتنبيه؛ لأن (يا) تكون للنداء وتكون لمجرد التنبيه[٢].

والاسم المنصوب على الاختصاص ليس بمنأى عن المنادى فهو مفعول في الأصل لفعل لا يستعمل إظهاره على حد قول سيبويه[٣]،" فيجيء لفظه على موضع النداء نصبًا؛ لأن موضع النداء نصب، ولا تجري الأسماء مجراها في النداء؛ لأنهم لم يجروها على حروف النداء، ولكنهم أجروها على ما حمل عليه النداء، وذلك قولك: إنا معشرَ العرب نفعل كذا وكذا، كأنه قال: أعني، ولكنه فعل لا يظهر ولا يستعمل كما لم يكن ذلك في النداء"[٤].

وذكر الفارسي:" إلا أن هذا يجري على حرف النداء، يعني أن ما اختُصَّ قد يجري على حرف النداء نحو: اللهمَّ اغفر لنا أيتها العصابة، وأنا أفعل كذا أيها الرجل، ليس يُنادي نفسه إنما يخصها"[٥].

وإنما يقع موقع الجملة مما هو في محل المفعول ما يأتي:

---

(١)شرح الألفية٢٥.

(٢) انظر: التذييل والتكميل١/٥٢، ١٣/٢٣٥.

(٣) انظر: الكتاب١/٢٩١، ٢/٦٦.

(٤) الكتاب٢/٢٣٣.

(٥) ١/٢٦١.

أولًا: المفعول الثاني من باب(ظن)، والثالث من باب(علم)، فهما في محل الخبر، فروعي الأصل في ذلك، فكان لهما ما للخبر من حيثُ جوازُ وقوعها جملة.

ثانيًا: المحكية بالقول أو بمرادفه فإنها تقع جملة، وتسمى: مقول القول؛ لأن من شأن القول إذا وقعت بعده جملة أن تحكى.

وهذه الجملة المحكية تقع في محل النائب عن الفاعل لاسيما إذا أريد لفظها كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴿١١﴾ ﴾[البقرة: ١١]، ومن باب أولى وقوعها موقع المفعول؛ مع أن "الجملة التي يراد بها لفظها تنزل منزلة الأسماء المفردة"(١).

وقد اختلف النحويون في المحكية بالقول أفي محل المفعول به أم المفعول المطلق؟

ذهب الجمهور إلى أنها في موقع المفعول به قال سيبويه:" واعلم أن (قلت) إنما وقعت في كلام العرب على أن يُحْكى بها، وإنما تَحْكِي بعد القول ما كان

(١) مغني اللبيب٥٣٨.

كلامًا لا قولًا"[١]، واختاره السيرافي[٢]، والرضي[٣]، وهو الأظهر عند أبي حيان[٤]، والصواب عند ابن هشام[٥]، والعنابي[٦].

وذهب ابن الحاجب إلى أنه من المفعول المطلق، ونسب القول إلى المحققين[٧]. وحجته أن القول غير متعدٍ، فالذي يذكر بعده في موضع المصدر[٨]، وقد وهَّمه الرضي بذلك فقال:" وهذه الجملة المحكية منصوبة الموضع بكونها مفعولًا بها، لا مفعولًا مطلقًا، على ما وهم المصنف؛ وذلك لأن معنى: قلت زيد قائم: قلت هذا اللفظ، فهو مقول"[٩].

ثالثًا: الجملة المعلَّق عنها العامل[١٠]، كقوله تعالى: ﴿ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾ [الكهف١٢].

---

(١) الكتاب١/١٢٢.

(٢)انظر: شرح كتاب سيبويه٣/٢٣٨.

(٣)انظر: شرح الكافية٤/١٧٧.

(٤)انظر: التذييل والتكميل٦/١٣٢.

(٥) انظر: مغني اللبيب٥٣٩.

(٦)انظر: الحلل في الكلام على الجمل٥١.

(٧) انظر: أمالي ابن الحاجب١/١٩١.

(٨) انظر: حاشية الدسوقي على مغني اللبيب٢/٤٦٤.

(٩) شرح الكافية٤/١٧٧.

(١٠) انظر: الكتاب١/٢٣٥-٢٣٦.

ويُعْلَمُ مما سبق أن المفعول به لا يكون جملة إلا ما وقع موقع الخبر كالمفعول الثاني من باب ظن، أو المفعول الثالث من باب علم، أو ما كان محكيًا ويلحق به المعلق فعلها، وما عدا ذلك فاسم مفرد يقع عليه فعل الفاعل.

ثانيًا: المفعول المطلق

مما يخبر عنه من جهة المعنى المفعول المطلق مصدرًا كان أو غير مصدر[١]؛ وعليه فإنه لا يصح أن يكون جملة، وهو ما كاد يُجْمَعُ عليه عند النحويين[٢]، وانفرد ابن الحاجب فذهب إلى أن المفعول المطلق قد يكون جملة[٣]، وذلك إذا وقعت بعد قول مثل: (قلت: زيد قائم)؛ لأن القول غير متعدٍ إلى مفعول، فيلزم أن يكون ما بعده مصدرًا، وكأنها بمنزلة: قلت قولًا أو قلت هذا القول، ونحو ذلك مما يجعلها بمحل المفعول المطلق. وقد مر بيان المسألة والخلاف فيها في (المفعول به).

وذهب الرضي إلى أن الجملة تقوم مقام المصدر في مثل: (فاها لفيك)؛ لقيامها بمعنى المفرد[٤]. والصحيح أنها مفعول به، وهو ما ذهب إليه سيبويه[٥]، وجعل ابن مالك الحكم بالمصدرية على هذه الأسماء مخالفًا للصواب، ومن قال به فهو بمعزل عن الصواب[٦].

---

(١) المفعول المطلق لا يكون إلا مصدرًا، وتطلق عبارة غير المصدر على ما ناب عنه من ألفاظ، نحو: ضربته سوطًا، وأكرمته كل الإكرام، ونحو ذلك.

(٢) انظر: شرح المقدمة الجزولية ١/٣١٩.

(٣) انظر: الأمالي ١/١٩١.

(٤) انظر: شرح الكافية ١/٢٣٢.

(٥) انظر: الكتاب ١/٣١٥-٣١٦.

(٦) انظر: شرح التسهيل ٢/١٩٥.

ثالثًا: المفعول له

يتوافق المفعول له مع المفعول المطلق في شرط المصدرية فيهما، وقد تضافرت نصوص النحويين على اشتراطها في المفعول له، وإن كان هناك من يرى أن المفعول له لا يشترط فيه المصدرية فيجيء من غيرها، ومن ذلك ما حكاه سيبويه عن يونس" أن قومًا من العرب يقولون: أما العبيد فذو عبيد، وأما العبد فذو عبدٍ، يجرونه مُجرى المصدر سَواءً. وهو قليل خبيث. وذلك أنَّهم شبّهوه بالمصدر"(١)، وقال أبو حيان في المفعول له:" وأجاز بعضهم أن يكون غير مصدر، نحو: جئت للسمن، ولورود مثل هذا وجب أن يتأول على حذف المصدر المضاف، كأنه قال: ابتغاء السمن؛ لأن الذوات لا تكون عللًا للأفعال"(٢).

المفعول له اسم مخبر عنه من جهة المعنى؛ إذ إنه إخبار عما وقع الفعل من أجله، وهذا لا يتأتَّى مع كونه جملة، فوجب أن يكون اسمًا ظاهرًا، وهو على حد سيبويه" موقوعٌ له، لأنَّه تفسيرٌ لما قبلَه لِمَ كان؟ وليس بصفةٍ لما قبله ولا منه"(٣).

ويذهب بعض المحدثين إلى أن النحويين أهملوا جملة المفعول له، فأخذ يدرس بعض الجمل التي استلها من بعض كلام المعاصرين وغير المعاصرين، ويَشْتَمُّ فيها معنى السببية ويجعلها مفعولًا له، وهي في حقيقتها لا تخرج عن كونها حاليةً،

---

(١) الكتاب ١/٣٨٩.

(٢) النكت الحسان١٠٣.

(٣) الكتاب ١/٣٦٧.

ويقول:" وكانت الجملة التعليلية التي أطلقوا عليها حالية موضع همي الأكبر في هذه الدراسة؛ لأني لم أجد أحدًا من النحاة ذكر أنها تعليلية في محل نصب المفعول له من حيث الدلالة والإعراب...، وأظن أن عدم تصنيفهم لها في ذلك المضمار ناجم عن تداخلها العميق بالحال" إلى أن يقول:" رأيي بصوابية إعرابها مفعولًا له"(١).

وهو بهذا يتغافل عن أهم شرط في المفعول له وهو أنه لا يكون إلا مصدرًا(٢)، " وإنما وجب أن يكون مصدرًا؛ لأنه علةٌ وسبب لوقوع الفعل وداعٍ له، والداعي إنما يكون حدثًا لا عينًا...، والمصادر معانٍ تحدث وتنقضي؛ فلذلك كانت علة"(٣). والنظر إلى معنى التعليل وحده سيجترنا إلى حمل كثيرٍ من الجمل وأشباه الجمل إلى وظيفة المفعول له؛ إذ معنى التعليل يدخل عرضًا في كثير من التراكيب، وهو في شبه الجملة أكثر؛ لا سيما أن حروف الجر لا تخلو من معنى السببية في غالبها، ولم يقل أحد من النحويين بأن شبه الجملة في محل نصب مفعول له إلا أن يكون الزمخشري في تفسيره، وتبعه بذلك العكبري(٤)، ولا وجه لما قالاه؛ إذ الحمل على المحل إنما يكون لو كان النصب

---

(١) الجملة الواقعة مفعولًا له١٢. والتداخل بين الحال والمفعول له وارد فيما لو كان كل منهما مصدرًا، ولا عكس، فالمصدر يأتي حالًا، ولا يأتي المفعول له جملة، وهو ما بينه سيبويه بأن أهل الحجاز قد ينصبون باب المصادر بالألف واللام على أنه موقوع له. الكتاب١/٣٨٥.

(٢) انظر: الكتاب١/٣٦٧، والأصول١/١٩٤.

(٣) شرح المفصل٢/١٣٨.

(٤) انظر: الكشاف٢/٥٩٥، والتبيان٢/١١٥٥.

للمفعول له هو الأصل، وليس كذلك، بل الصحيح " أن حرف الجر هو الأصل في المفعول من أجله"[1]، وقد جعل ابن الحاجب (اللام) في المفعول له بمنزلة (في) في المفعول فيه[2].

(١) البسيط١/٤٦٨، وانظر: البحر المحيط٢٣/٢٩٧.

(٢) انظر: الأمالي٢/٥٦٦.

رابعًا: المفعول معه

من الأصول المقررة لدى النحويين في باب المفعول معه- أنه لا يكون إلا اسمًا، فليس منه الفعل المضارع المسبوق بواو بمعنى (مع) نحو: لا تأكل السمك وتشربَ اللبن، ولا الواو المتبوعة بجملة، نحو: سرت والشمسُ طالعة، فإن الواو داخلة في الأول على فعل، وفي الثاني على جملة(١).

وليس أحد من النحويين يجيز مجيء المفعول معه جملة إلا ما حكاه ابن هشام عن صدر الأفاضل الخوارزمي في نحو: (جاء زيد والشمسُ طالعة) قال:" وقال صدر الأفاضل تلميذ الزمخشري: إنما الجملة مفعول معه، وأثبت مجيء المفعول معه جملة"(٢)، قال السيوطي:" فرَّ من جعلها حالًا؛ لأنها لا تنحل إلى مفرد يبين هيئة فاعل ولا مفعول ولا هي مؤكدة"(٣).

والذي أتبينه مما بين يدي من مصادر أن صدر الأفاضل الخوارزمي لم يقل: إن المفعول معه يجيء جملة؛ لأمرين:

الأول: أن صدر الأفاضل لا يرى باب المفعول معه في الأصل، وهو عنده من باب الحال، وأن واوه من الواوات التي سها النحويون فيها عن كونها حالية(٤).

---

(١) انظر: أوضح المسالك٣٠٣.

(٢) مغني اللبيب٦٠٦.

(٣) همع الهوامع٢/٢٤٠.

(٤) انظر: التخمير١/٤٤٤.

الثاني: ما أثبته صدر الأفاضل نفسه أن الجملة من باب الظرف قال:"كما أن الواو في قولك: جئت والشمس طالعة، للمفعول فيه"[1]. وهو ما حكاه ابن هشام في (مغني اللبيب) عن ابن جني.

وبهذا نستطيع القول بأن وقوع المفعول معه جملة ممتنع بالإجماع.

(١) السابق١/٤٤٤.

خامسًا: التمييز

يتفق النحويون على أن التمييز لا يكون جملة[١]، وإنما هو اسم مفرد، وذلك لوجهين:

الأول: في كونه يشبه المفعول الذي لا يكون إلا مفردًا.

والثاني: أنه قد يكون فاعلًا في المعنى، نحو: (طاب زيد نفسًا) أي: طابت نفسه، أو مفعولًا، كقوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴿١٢﴾﴾ [القمر: ١٢]، أي: وفجرنا عيونَ الأرض[٢]، وقد تقرر من قبل أن كلًا من الفاعل والمفعول ممتنع وقوعه جملة.

وقد ضعف ابن إياز أن يكون ذلك سبب لزوم التمييز الإفراد[٣]، فذهب إلى أن مشابهة التمييز للمفعول ليست هي التي ألزمت التمييز الاسمية؛ لأن الشيء إذا شابه الشيء لا يجرى مجراه بإطلاق.

والمتجه أنَّ حمل باب التمييز على باب المفعول به قوي؛ لما بين البابين من شبه، وربما كان التمييز مفعولًا في الأصل كما سبق في الوجه الثاني، والمقرر في العربية ما حكاه سيبويه عن العرب أنهم" يشبهون الشيء بالشيء وإن لم يكن مثله في جميع الأشياء"[٤].

---

(١) انظر: حاشية الخضري على ابن عقيل١/٥٠٤، وانظر قبل ذلك: شرح المفصل٢/١٨١.

(٢) انظر: المحصول في شرح الفصول١/٤٦١. وانظر: توجيه اللمع٢٠٩.

(٣) انظر: قواعد المطارحة١٨٣.

(٤) الكتاب٣/٦٤٦.

ويمكن أن نخلص من قضية المفاعيل إلى أن"كون الكلمة مفعولًا بها أو فيها أو من أجلها أو معها أو مفعولًا مطلقًا- لا يصح شيء من ذلك كله في الفعل، والعلة في أن كل واحد من المفعولات مخبر عنه من جهة المعنى بأنه فَعَل أو فعل به أو فعل فيه أو فعل له أو فعل معه"[1]، ولا يصح شيء من ذلك في الجملة أيضًا.

(١) شرح المقدمة الجزولية الكبير ١/٣١٩.

سادسًا: المستثنى

المراد بجملة المستثنى تلك الواقعة بعد أداة الاستثناء، وليست الأداة داخلةً فيها، كما في الجملة المستثناة بالفعل (خلا) و(عدا) و(حاشا) و(ليس) و(لا يكون)، فهذه لا تخلو إما أن تكون من الجمل التي ليس لها محل من الإعراب، وإما أن تكون حالية. وجهان حكاهما ابن عصفور وأبو حيان[١].

وأما (إلا) فإن الأصل فيها لدى كثير من النحويين أن تدخل على الاسم، وإن وقع بعدها فعلٌ فهو مؤول باسم[٢]، ومع ذلك فما بعد (إلا) لا يخلو من حالات ثلاث:

الأولى: أن يكون من الاستثناء المفرغ، وهذا حكمه كحكمه خارج الاستثناء، فيجوز أن يكون مفردًا أو جملة حسب ما تقتضيه العوامل، والجملة محلها بعد إلا كمحلها لو لم تكن (إلا)، فقد تكون حالية وقد تكون غير ذلك[٣].

الثانية: أن يكون ما بعد (إلا) متصلًا بما قبلها، فهذا لا يكون إلا مفردًا عند جمهور النحويين، ولا يصح وقوعه جملة قال الرماني:" الاستثناء من موجب بمنزلة مفعول(ضربت)، وما جرى مجراه مما لا يكون إلا مفردًا، دون جملة"[٤]، وعلة ذلك عند سيبويه أنه" إنما منع الأب أن يكون بدلًا من القوم أنك لو

---

(١) انظر: شرح الجمل٢/٢٦٥، والتذييل والتكميل٨/٣٢١.

(٢) انظر: شرح التسهيل٢/٢٧٥، وشرح الكافية٢/١٣٨.

(٣) انظر: دراسات لأسلوب القرآن١/٣٠٤.

(٤) شرح كتاب سيبويه٥٣٣.

قلت: أتاني إلا أبوك كان مُحالًا. وإنما جاز ما أتاني القومُ إلا أبوك لأنه يحسن لك أن تقول: ما أتاني إلا أبوك"[١]. وإن ورد ما بعدها مرفوعًا فلا يجوز جعله مبتدأ محذوف الخبرِ، ويكون المستثنى جملة؛ إذ لا دليل على الخبر في كثير من ذلك[٢].

وأجاز بعض النحويين وقوعه جملة، ونسب ذلك لابن خروف[٣]، وقال به ابن مالك، وحمل عليه كثيرًا من الشواهد ولا سيما الحديثية التي ورد فيها ما بعد (إلا) مرفوعًا في استثناء تام مثبت كما في قوله صلى الله عليه وسلم:"كل أمتي معافى إلا المجاهرون"، ونحو ذلك[٤]، وجعله ابن هشام هو الحق قال في عدِّ الجمل:" والحق أنها تسع، والذي أهملوه الجملة المستثناة..."[٥]، وانتصر له الدماميني، وقال فيها:" أهمل الأكثرون عَدَّ هذه الجملة في الجمل التي لها محل من الإعراب وينبغي أن تُعَدّ"[٦].

ونسبَ ابن مالك هذا القول للفراء مستندًا إلى ما وجَّه به قوله تعالى:

﴿ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، برفع (قليل)[٧] على أنه مبتدأ[٨].

وهذا مردود عند الجمهور، وحملوا ما جاء مرفوعًا بعد (إلا) في استثناء تام مثبت على وجوه عدة:

---

(١) الكتاب٢/٣٣١.

(٢) انظر: شرح جمل الزجاجي، لابن الضائع٣/٣٢٢، والتذييل والتكميل٨/٢٠٤، والبحر المحيط٣/٧٥.

(٣) انظر نسبته له في: شواهد التوضيح والتصحيح٩٤، ولم أجد قوله في مصنفاته التي بين يدي.

(٤) انظر: السابق٩٤.

(٥) مغني اللبيب٥٥٨.

(٦) تعليق الفرائد٦/١٣.

(٧) قرأ بها أبيٌّ، والأعمش. انظر: مختصر في شواذ القرآن٢٢.

(٨) انظر: معاني القرآن٢/١٦٦، و ١/٢٩٨ وشواهد التوضيح والتصحيح٩٦.

أولها: وهو أقواها وأولاها بالصواب، أن يكون محمولًا على الوصف[١]، وهو ظاهر كلام سيبويه، وعقده بباب فقال:" هذا باب ما يكون فيه (إلا) وما بعده وصفًا بمنزلة مثل وغير"[٢]، وهو اختيار المبرد قال:" وَتقول على هَذَا: جَاءَنِي الْقَوْم إِلَّا زيدٌ، ولا يكون إِلَّا نعتًا"[٣]، وبه قال ابن السراج[٤]، والفارسي[٥]، وقال به ابن خروف في بعض ما ذهب إليه[٦]، وابن يعيش[٧]، وهو الصحيح عند السمين[٨]، وانتصر له أبو حيان فأجاز في التام المثبت النصب والإتباع على الوصف قال عن الاستثناء:" وإذا لم يفرغ والكلام موجب نحو: قام القوم إلا زيدًا، فالأفصح النصب ويجوز رفعه، قالوا على النعت"[٩]، وهو اختيار الإمام الشاطبي إذ يرى:" أن غير النصب جائز، وذلك في الاستثناء المتصل؛ فإنك إذا قلت: قام القوم إلا زيدًا. جاز لك أن تقول: إلا زيدٌ بالرفع،

---

(١) إطلاق الوصف هنا مختلف فيه، فقيل: إنه الوصف الصناعي، وقيل: إنه الوصف النحوي، وقيل غير ذلك. والصواب هنا أن المراد الصفة التي هي النعت. انظر: شرح الجمل، لابن عصفور٢/٢٥٨، وارتشاف الضرب٣/١٥٢٦، والمساعد١/٥٨٠.

(٢) الكتاب٢/٣٣١.

(٣) المقتضب٤/٤١١.

(٤) انظر: الأصول١/٣٠١.

(٥) انظر: الإيضاح٢٢٩.

(٦) انظر: شرح جمل الزجاجي٢/٩٦١.

(٧) انظر: شرح المفصل٢/٢١٩.

(٨) انظر: الدر المصون١/٤٦٩.

(٩)النكت الحسان١٠٦.

فيجري صفةً على الأول حملًا على (غير)؛ إذ كان أصلها الصفة، وكذلك تقول: مررت بالقوم إلا زيدٍ، ومن كلامهم: لو كان معنا أحدٌ إلا زيدٌ لغُلِبْنا"[١].

وهكذا حمله ابن عصفور، ورأى أن الوصف بـ(إلا) يخالف الوصف بغيرها من الصفات في أنه يجوز أن يوصف بها الظاهر والمضمر والمعرفة والنكرة[٢]، وتكون " الصفة عارضة في (إلا)، والاستثناء عارض في (غير)"[٣].

وعلى هذا الوجه يمكن أن يحمل الكثير من الشواهد التي جاء فيها ما بعد (إلا) مرفوعًا في استثناء تام مثبت من القراءات القرآنية والأحاديث النبوية، والشواهد الشعرية.

ثانيها: أن الاستثناء في ظاهره مثبت، ولكن هو في الحقيقة محمول على النفي، فالرفع في قراءة: ﴿ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] محمول على: لم يطيعوه إلا قليل. قال بذلك الزمخشري[٤]، وهو اختيار ابن مالك في التسهيل؛ إذ جعله من النفي المؤول، وهو قول ليس بشيء كما قال أبو حيان[٥]، ولا يخلو من ضعف؛ إذ كل مثبت يمكن حمله على ضده.

---

(١)المقاصد الشافية٣/٣٤٦.

(٢)انظر: شرح الجمل٢/٢٥٨.

(٣)المقتصد في شرح الإيضاح٢/٧١١.

(٤) انظر: الكشاف١/٣٢٣.

(٥) البحر المحيط٣/٧٢.

ثالثها: أنه مرفوع بفعل محذوف. قاله العكبري[١]. وهو بعيد؛ إذ تقدير فعل محذوف يمكن أن يقال في كل ما أشكل تأويله. والتقدير لا بد أن يحكمه الفعل المذكور، وما قدره العكبري لا يرتبط بالفعل المذكور وإنما هو شيء تكلَّفه هو، وجعل أبو حيان هذا القول من تخليط بعض المعربين[٢].

رابعها: أنه محمول على البدل قال به ابن الضائع[٣]، وأن (إلا) هنا لها حكم (غير) في جواز إبدالها، وضعف القول بالبدل في الإثبات العكبري وابن يعيش، وأبو حيان وبيَّن أنه لا يصح البدل؛ إذ لا يصح تكرار العامل ها هنا[٤].

الثالثة: أن يكون ما بعد (إلا) منقطعًا عما قبلها، وهو ما كانت (إلا) فيه بمعنى (لكن)، فكأن ما بعد (إلا) منقطع عما قبلها في المعنى[٥]. والنحويون فيه على مذهبين:

الأول: أنه لا يكون جملة، ولم يرد عندهم في عداد الجمل، ونسبه الرضي إلى سيبويه قال:" وما بعد (إلا) عنده مفرد سواء كان متصلًا أو منقطعًا"[٦].

الثاني: صحة وقوعه جملة، قال أبو حيان: "وقد زعم بعض النحويين في الاستثناء المنقطع المقدر بـ(لكن) إذا لم يكن بعده ما يصح أن يكون خبرًا، أنّ

---

(١) انظر: التبيان١/٨٥.

(٢) البحر المحيط٣/٧٤.

(٣) انظر: شرح الجمل٣/٣٢٤.

(٤) انظر: التبيان١/٨٥، وشرح المفصل٢/٢٢٠، والنكت الحسان١٠٦.

(٥) قال العكبري:" ومعنى المنقطع: أنه لا يكون داخلًا في الأول، بل يكون في حكم المستأنف، وتقدر (إلا) فيه بـ(لكن)"التبيان١/٣٤٣.

(٦) شرح الكافية٢/٨٢.

الخبر محذوف، وأنه في موضع رفع؛ لجريان (إلا) وتقديرها بـ(لكن)"[1]، وهو ما يفهم من بعض كلام سيبويه في الاستثناء المنقطع بمعنى (لكن) على خلاف ما حكاه عنه الرضي قال:" هذا باب ما يكون مبتدأ بعد (إلا). وذلك قولك: ما مررت بأحد إلا زيد خير منه، كأنك قلت: مررت بقوم زيد خير منهم، إلا أنك أدخلت (إلا) لتجعل زيدًا خيرًا من جميع من مررت به"[2].

وحكى الصبان عن الدماميني أنه "متى كان ما بعد (إلا) جملة فـ(إلا) بمعنى (لكن)، ولو كان الاستثناء متصلًا"[3].

ويتقرر على هذا أن الاستثناء المنقطع يكون مفردًا ويكون جملة، وذلك لأن ما بعد (إلا) في الاستثناء المنقطع الذي بمعنى (لكن) ليس استثناءً حقيقيًا، " وإنما ذكر على سبيل الاستدراك لا الاستثناء"[4]، وهذا هو ما عناه سيبويه عندما رأى أنَّ حمل هذا النوع من الأمثلة على الاستثناء يؤدي إلى المحال[5]، وبهذا صح مجيئه جملة كما صح مجيئه مفردًا.

---

(١) البحر١٦/٦٦٨.

(٢) الكتاب٢/٣٤٢.

(٣) حاشية الصبان٢/١٤٢.

(٤) تعليق الفرائد٦/١٢.

(٥) انظر: الكتاب٢/٣٣١.

المبحث الثالث: ما لا يكون جملة من المجرورات

المجرور بالحرف

تقرر لدى النحويين أن المجرور بحرف الجر لا يكون إلا مفردًا، ولا يجوز أن يكون جملة، وعلى ذلك بُنِيَتْ قواعد اللغة عندهم وبَنَوا أحكامهم على ذلك، ومن ذلك أنهم حكموا بفتح همزة (إنَّ) بعد حرف الجرّ في نحو: عجبت من أنّك منطلق، أي: من انطلاقك؛ " لأن المجرور بالحرف لا يكون إلا مفردًا"(١).

قال أبو حيان:" وإنما لم يجز أن تكون الجملة في موضع جر؛ لأن الجمل لا تدخل عليها حروف الجر في فصيح الكلام، لا يقولون: عجبت من يقوم زيد، ولا: عجبت مِن زيدٌ قائمٌ"(٢).

ولم يأت خلاف في كون مجرور الحرف مفردًا إلا خلاف لم يشع –كما عبَّر ابن الخشاب(٣)–، وهو ما ذهب إليه الزجاج وابن درستويه(٤) في أن (حتى) إذا دخلت على جملة فإنها تكون في محل جر بها، كما في قول جرير(٥):

وَمَا زَالَتِ الْقَتْلَى تَمُورُ دِمَاؤهَا بِدِجْلَةَ حَتَّى مَاءُ دِجْلَةَ أَشْكَلُ

---

(١) التصريح٢/٣٢.

(٢) التذييل والتكيل١١/٢٥٢.

(٣) المرتجل٣٤٤.

(٤) انظر: مغني اللبيب٥٠٦.

(٥) ديوانه٤٥٧.

فذهبا إلى أن جملة(ماء دجلة أشكل) في محل جر، وقد ردَّ هذا جماعةٌ من النحويين كالفارسي[١]، وابن الخشاب[٢]، وابن الخباز[٣].

وحسب هذا القول ضعفًا أن فيه تعليقَ حرفِ الجر عن العمل، و"حروف الجر لا تعلق"[٤].

وإذا تقرر ذلك، فإن (حتى) تكون حرف ابتداء، و(ماء) مبتدأ، و(أشكل) خبر له، والجملة الاسمية لا محل لها من الإعراب؛ لأنها ابتدائية. قال سيبويه:" والرفع جائز كما جاز في الواو وثم، وذلك قولك: لقيت القوم حتى عبدُ الله لقيته، جعلت عبد الله مبتدأ، وجعلت (لقيته) مبنيًا عليه كما جاز في الابتداء كأنك قلت: لقيت القوم حتى زيد ملقي، وسرحت القوم حتى زيد مسرح، وهذا لا يكون فيه إلا الرفع؛ لأنك لم تذكر فعلًا"[٥].

---

(١)انظر: الإغفال٢/٧٦

(٢)انظر: المرتجل٣٤٤.

(٣)انظر: توجيه اللمع٢٤٤.

(٤) الكتاب٣/١٤٧.

(٥) الكتاب١/٩٧.

المبحث الرابع: ما لا يكون جملة من التوابع

أولًا: عطف البيان

لم يذكر أحد من جمهور النحويين جواز مجيء عطف البيان جملة، أو تابعًا لها، أو أن يكون فعلًا، وكأنهم لا يجيزون ذلك، ونسب ابن هشام نفي وقوعه جملة للجمهور، وذكر من وجوه الفرق بين عطف البيان والبدل:" أنه لا يكون جملة بخلاف البدل"(١).

وخالف جمهور النحويين في جواز مجيء عطف البيان جملة الشلوبين؛ لأنه حمل الجملة التفسيرية التي هي عند الجمهور لا محل لها من الإعراب على عطف البيان، ويرى التفصيل في الجملة المفسرة، فلا تكون عنده لا محل لها من الإعراب بإطلاق، بل إنها على حسب ما تفسره فإن فسرت ما له محل فلها محل وإلا فلا محل لها(٢)، واختار السيوطي رأي الشلوبين وقال: "والقَوْل بِأَن المفسرة لَا مَحل لَهَا هو الْمَشْهُور. وَقَالَ الشلوبين: إِنَّه لَيْسَ على ظَاهره، وَالتَّحْقِيق: أَنَّهَا على حسب مَا كَانَت تَفْسِيرًا لَهُ فَإِن كَانَ الْمُفَسّر لَهُ مَوضِع فَكَذَلِك هِيَ وَإِلَّا فَلَا، وَمِمَّا لَهُ مَوضِع قَوْله تَعَالَى:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ٩ ﴾ [ٱلۡمَائِدَة: ٩] فَقَوله: (لَهُم مغْفرَة) فِي مَوضِع نصب؛ لِأَنَّهُ تَفْسِير للموعود بِهِ، وَلَو صرح بالموعود بِهِ لَكَانَ مَنْصُوبًا وَكَذَلِكَ ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩ ﴾ [ٱلۡقَمَر: ٤٩] فـ(خلقناه) فسر عَامِلًا فِي (كل شَيْء) وَله

(١) مغني اللبيب٥٩٤. وانظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل٢٦٣.

(٢) انظر نسبته له في: مغني اللبيب٥٢٦.

مَوضِع كَمَا للمفسر؛ لِأَنَّهُ خبر لإنَّ. وَهَذَا الَّذِي قَالَه الشلوبين هُوَ الْمُخْتَار عِنْدِي، وَعَلِيهِ تكون الْجُمْلَة عطف بَيَان أَو بَدَلًا"[1].

وإلى ذلك ذهب العكبري في بعض ما ذهب إليه، فأجاز وقوع عطف البيان جملة، ولما عدّد الفروق بين عطف البيان والبدل لم يذكر-كعادة النحويين-أنه لا يكون جملة[2].

واختار قولَ الشلوبين ابنُ هشام في بعض ما ذهب إليه[3] على خلاف ما جاء في (مغني اللبيب)؛ إذ ذكر أن النحاة لم يذكروا أن الجملة تقع عطف بيان، ولا مانع عنده من تسمية الجمل المفسرة عطف بيان، فيكون لها موضع.

وما ذهب إليه الشلوبين هو ما عليه بعض مفسري القرآن ومعربيه فيجيزون وقوع عطف البيان جملة، وحملوا عليه بعض آيات القرآن الكريم، وقد جعل الإمام الطبري جملة: ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٩] بيانًا[4]. وربما قصد بقوله:(بيانًا) المعنى اللغوي وليس المعنى الوظيفي. وقد جعل

(١) همع الهوامع٤/٥٦.

(٢) انظر: التبيان في إعراب القرآن٢/١٠٤٣، ١١٢٠.والمتبع ٢/٤٢٢.

(٣) انظر: مختصر التذكرة٣٢١.

(٤) انظر: جامع البيان٥/٤٦٣.

الزمخشري[١]، وأبو حيان[٢]، ومن ذهب مذهبهما من المتأخرين عطفَ البيان جملةً[٣].

ومن الممكن أن نخلص مما سبق بأن نفي وقوع عطف البيان جملة ليس قطعيًا فإن بعض الآيات الكريمة تحتمله كما سبقت الإشارة إليها في أقوال المفسرين والمعربين، وإن كان الأشهر والأكثر أنه لا يقع؛ لأنه في الأصل إجراء الأسماء الجامدة مجرى المشتقة في التوضيح والتبيين عندما يكون الثاني أبْين من الأول وأعرف منه.

(١) انظر: الكشاف٢/٤،١٥٧/١٠٩.

(٢) انظر: البحر المحيط٢٥/١٦٩.

(٣) انظر: الفتوحات الإلهية٢/٣١٠، والتحرير والتنوير٨/٩١، ٢٣/١٤.

ثانيًا: البدل

اختلف النحويون في وقوع البدل جملة من جملة أخرى، فذهب جمهورهم إلى أنه لم يثبت وقوع البدل جملة من جملة، ويرون لها إعرابًا غير البدلية[١]، وجعلوا مما يدل على مفارقة الصفة للبدل: أنّك تصف بما لا يجوز فيه البدل، نحو الفعل والفاعل والابتداء والخبر، نحو: مررت برجل قام أخوه، وبرجل أبوه منطلق. ولو أردت أن تجعل شيئًا من ذلك بدلًا لم يجز، وتوسع أبو حيان في نفي وقوع الجملة بدلًا من جملة ورأى أن إبدال الجملة من الجملة ليس معهودًا في لسان العرب، واعترض على القائلين بوقوعه جملة بأن استدلالهم لا تقوم به حجة[٢]، وذكر ابن الصائغ أن:" للنحاة في إبدال الجملة من الجملة خلافًا"[٣].

وأجاز إبدالها من جملة أخرى مطلقًا ابن الخباز[٤]، والدماميني[٥]، والسيوطي[٦]، واشترط ابن الأثير أن تتفق الجملتان في المعنى[٧]، واشترط بدر

(١) انظر: الحجة للقراء السبعة١/١٤٩، ومغني اللبيب٥٢٦.

(٢) انظر: البحر المحيط٢١/٦٠٨، ١٣/٣٠٥، وارتشاف الضرب٤/١٩٧٢.

(٣) انظر: حاشية الشهاب١/٣٤٣.

(٤) انظر نسبته له في: ارتشاف الضرب٤/١٩٧٢.

(٥) انظر: تعليق الفرائد٤/١٨٠.

(٦) انظر: همع الهوامع٥/٢٢١.

(٧) انظر: البديع١/٣٥٢.

الدين ابن مالك أن تكون الثانية أَوْفَى بتأدية المقصود من الأولى[١]، واختاره ابن هشام في (مغني اللبيب)[٢].

وحكى الأزهري عن التفتازاني[٣] الجواز إلا في بدل الكل من الكل فإنه لا يتحقق في الجمل.

وحكى المرادي الجواز عن كثير من النحويين[٤]، وهو الأظهر؛ لكثرة وروده في اللغة والقرآن[٥].

وأما عن وقوع البدل جملة من مفرد فمنعه بعض النحويين كابن العلج قال أبو حيان في بعض كلامه عنه:" تبين من كلام هذا الإمام، أنه لا يجوز أن تكون الجملة بدلًا من المفرد"[٦] بحجة أن الجملة قد تقع في موضع البدل من مفردٍ مسند إليه، والجمل لا يسند إليها[٧]، ولأن "البدل في تقدير تكرير العامل، والعامل في المفرد لا يعمل في لفظ الجملة"[٨].

---

(١)انظر: شرح الألفية٥٦٣.

(٢) انظر: مغني اللبيب٥٩٦.

(٣) انظر: التصريح٣/٦٥٤.

(٤) انظر: توضيح المقاصد والمسالك١/٦٤٠.

(٥)انظر: دراسات لأسلوب القرآن١١/٥٨.

(٦)البحر المحيط٢٣/٢٥٦.

(٧)انظر: التذييل والتكميل١٣/٥٠، ٥١.

(٨)خزانة الأدب٥/٤٦٥.

وذهب ابن جني وتبعه الزمخشري وابن مالك وناظر الجيش وغيرهم إلى جواز وقوع الجملة بدلًا من مفرد[1]. ولعل هذا هو الأولى بالصواب. والجواب عن كون الجملة البدلية تقع في موضع التابع لمسند إليه أو نحو ذلك كأن يكون المفرد مجرورًا بحرف الجر والجملة لا تجر به؛ لأن حروف الجر لا تعلق عن العمل- فإن القاعدة المقررة أنه يغتفر في الثواني ما لا يغتفر في الأوائل، فيغتفر في التابع ما لا يغتفر في المتبوع.

وأما أن البدل على نية تكرير العامل وعامل المفرد لا يعمل بلفظ الجملة فهذا القول ليس موضع إجماع بين النحويين، بل ظاهر كلام سيبويه، والمبرد أن العامل في البدل هو العامل في المبدل منه فهو كغيره من التوابع[2].

(١)انظر: المحتسب٢/١٦٦، والكشاف٢/٢،١٠٢/٥٦٤، وشرح التسهيل٣/٣٣٩، وتمهيد القواعد٧/٣٤١٩.

(٢) انظر: الكتاب١/١٥٠، وشرح التسهيل٣/٣٣٠، وارتشاف الضرب٤/١٩٦١، وشرح المفصل٣/١٧٠.

الخاتمة

خلص البحث إلى جملة من النتائج منها:

- أن الوظائف النحوية تنقسم باعتبار الإفراد والجملة إلى أقسام:
- منها ما يكون مفردًا وجملة كالخبر وما أصله الخبر، والحال والنعت.
- منها ما لا يكون إلا جملة، وحمل عليه جواب الشرط، وبعض أخبار النواسخ إذا خففت.
- منها ما يكون مفردًا فقط، ولا يصح مجيئه جملة.
- ما أسند إليه إسنادًا معنويًا في الجملتين الفعلية والاسمية فحقه أن يكون مفردًا لا جملة كالفاعل ونائبه، والمبتدأ وما أصله المبتدأ.
- المفاعيل وما ألحق بها كالمنادى والاختصاص ونحوها يجب ألا تكون جملة، إلا ما كان أصله خبرًا، أو ما حُكِي منها فحكمه حكم المفرد.
- ينسب لصدر الأفاضل جواز مجيء المفعول معه جملة، وهذا بعيد جدًا؛ لكون صدر الأفاضل لا يرى المفعول معه مطلقًا، ويعد واوه من الواوات التي سها النحويون فيها؛ لأنها عنده حالية وما بعدها حال.
- جرى اتفاق النحويين على أن التمييز لا يكون جملة، وإنما هو اسم مفرد، وحمل ذلك على مشابهته للمفعول، ولأنه ربما كان فاعلًا في المعنى.
- الاستثناء لا يكون جملة إلا إن كان مفرغًا أو منقطعًا بمعنى (لكن)، فهي جملة أخرى،.
- يطلق القول على جملة المستثنى، ويقصد بها تلك الواقعة بعد أداة الاستثناء، وليست الأداة داخلةً فيها، كما في الجملة المستثناة بالفعل (خلا) و(عدا)

و(حاشا) و(ليس) و(لا يكون).

- الصواب في مجرور الحرف أنه لا يكون جملة، وما ورد فيه من خلاف من بعض النحويين كابن درستويه وغيره، فليس بخلاف شائع، ولا مقبول؛ لأن الصحيح أن الحروف لا تدخل على الجمل.

المصادر والمراجع

- ارتشاف الضرب من لسان العرب: لأبي حيان، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، مراجعة: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٨٨م.
- الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي، تحقيق: عبد الإله نبهان، مطبوعات مجمع اللغة بدمشق، دمشق، د. ط ، د.ت.
- الأصول في النحو، لابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
- إعراب الجمل وأشباه الجمل، لفخر الدين قباوة، دار القلم العربي، حلب، ط٥، ١٤٠٩هـ١٩٨٩م.
- الإغفال، لأبي علي الفارسي، تحقيق: عبد الله عمر إبراهيم، المجمع الثقافي، أبو ظبي١٤٢٤هـ.
- أمالي ابن الحاجب، لأبي عمرو بن الحاجب، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، ودار عمار، عمان، ط١، ١٤٠٩هـ.
- أمالي ابن الشجري، لهبة الله ابن الشجري، تحقيق: محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ.
- الانتصار لسيبويه على المبرد، لابن ولاد، تحقيق: د. زهير سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
- الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات الأنباري، تحقيق: جواد مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، د.ت.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام الأنصاري، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد، دار السعادة، مصر، ١٣٧٦هـ.
- الإيضاح العضدي، لأبي علي الفارسي، تحقيق: د. حسن شاذلي فرهود، دار العلوم للطباعة والنشر١٤٠٨هـ.

- البحر المحيط، لأبي حيان، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات، ط١، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م.
- البديع في علم العربية، لابن الأثير، تحقيق: فتحي علي الدين وصالح العايد، جامعة أم القرى، مكة، ط١، ١٤٢١هـ.
- البسيط في شرح جمل الزجاجي، لابن أبي الربيع، تحقيق: د. عياد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
- التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.
- التحرير والتنوير، لابن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- التخمير، لصدر الأفاضل الخوارزمي، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- التذييل والتكميل في شرح التسهيل، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٨هـ.
- التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد الأزهري، تحقيق: د. عبد الفتاح بحيري إبراهيم، الزهراء للإعلام العربي، ط١، ١٤١٨هـ.
- تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، للدماميني، تحقيق: د. محمد المفدى، ط ٣، ١٤٢٦هـ.
- التعليقة على كتاب سيبويه، لأبي علي الفارسي، تحقيق: د. عوض بن حمد القوزي، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ.
- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: لناظر الجيش، تحقيق: د. علي فاخر وزملائه، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ.
- توجيه اللمع، لابن الخباز، تحقيق: فايز دياب، دار السلام، القاهرة، ط٢، ١٤٢٨هـ.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: للمرادي ابن أم قاسم، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار مكتبة المعارف، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض، ط١، ١٤٣٤هـ.
- الجملة الشرطية عند النحاة العرب، لأبي أوس الشمسان، مطابع الدجوي، عابدين، ط ١٤٠١،١هـ-١٩٨١م.
- الجملة الواقعة مفعولًا له، لرياض العثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١١٤٣٦هـ-٢٠١٦م.
- حاشية الخضري على ابن عقيل: للخضري، تعليق: تركي فرحان المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
- حاشية الدسوقي على مغني اللبيب، للشيخ محمد بن عرفة الدسوقي، تحقيق: عبد السلام أمين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- حاشية الخفاجي على تفسير البيضاوي(عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي)، دار صادر، بيروت، د.ت.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني، للصبان، البابي الحلبي، د.ت.
- الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط٢، ١٤١٣هـ.
- الحلل في شرح أبيات الجمل، لابن السيد البطليوسي، تحقيق: مصطفى إمام، مطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٧٩م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٤هـ.
- الخصائص، لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لمحمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، د. ت.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٢٤هـ.
- ديوان جرير، عناية: محمد الصاوي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، د. ت.

- سر صناعة الإعراب، لابن جني، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٣هـ.
- سيبويه إمام النحاة، لعلي النجدي ناصف، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، د. ت.
- شرح الألفية: لابن الناظم، تحقيق: عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، د. ت.
- شرح التسهيل، لابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد المختون، هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٠هـ.
- شرح جمل الزجاجي، لابن الضائع، تحقيق: يحيى حسون، دار بغداد، بغداد، ط١، ٢٠١٦م.
- شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير)، لابن عصفور، تحقيق: د. صاحب أبو جناح، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
- شرح شذور الذهب، لابن هشام، عناية: يوسف هبود، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٤هـ.
- شرح الكافية، للرضي، تحقيق: يوسف عمر، منشورات جامعة بنغازي، د.ت.
- شرح كتاب سيبويه، للرماني، تحقيق: د. سيف العريفي، رسالة جامعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- شرح كتاب سيبويه، للسيرافي، تحقيق: فهمي أبو الفضل، مراجعة: رمضان عبد التواب وزملائه، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ.
- شرح المفصل، لابن يعيش، تحقيق: عبد اللطيف الخطيب، مكتبة دار العروبة، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
- شرح المقدمة الجزولية الكبير، لأبي علي الشلوبين، تحقيق: د. تركي بن سهو العتيبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- الشعر، للفارسي، تحقيق: محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ.
- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، لابن مالك، تحقيق: طه محسن، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية العراقية، ١٤٠٥هـ.

- ضرائر الشعر، لابن عصفور الأشبيلي، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٢هـ.
- الطراز، ليحيى العلوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
- العلامة الإعرابية بين القديم والحديث، لمحمد حماسة عبد اللطيف، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت.
- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، لسليمان الجمل، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، د.ت.
- في بناء الجملة العربية، لمحمد حماسة عبد اللطيف، دار القلم، الكويت، ط١، ١٤٠٢هـ.
- في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، د.ت.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
- الحلل في الكلام على الجمل، لشهاب الدين أبي العباس العنابي، تحقيق: إبراهيم أبو عباة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.
- اللغة العربية معناها ومبناها، لتمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٩٨٥م.
- المتبع في شرح اللمع، للعكبري، تحقيق: عبد الحميد الزوي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٤م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف وزميليه،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٦هـ.
- المحصول في شرح الفصول: لابن إياز، تحقيق: شريف عبد الكريم النجار، دار عمار، الأردن، ط١، ١٤٣١هـ.
- مختصر تذكرة ابن هشام الأنصاري، لمحمد جلال التباني، تحقيق: جابر السريع، مؤسسة الريان، بيروت، ط١٤٣٤،١هـ.
- مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه، عالم الكتب، بيروت، د. ت.

- المرتجل في شرح الجمل، لابن الخشاب، تحقيق: علي حيدر، د. ط، دمشق، ١٣٩٢هـ.
- المساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل، تحقيق: د. محمد كامل بركات، جامعة أم القرى، مكة، ط٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- معاني القرآن، للفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، د.ت.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط٥، ١٩٧٩م.
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين وآخرين، مطبوعات معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة، ١٤٢٧هـ.
- المقتضب، للمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف ، مصر، ١٤١٥هـ.
- مقومات الجملة العربية، لعلي أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.
- نتائج الفكر: للسهيلي، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار الرياض للنشر والتوزيع، د.ت.
- النكت الحسان في شرح غاية الإحسان، لأبي حيان، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: للسيوطي، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

المجلات

- معالم التفكير في إعراب الجملة ودواعيه عند سيبويه، لمحمد عبدو فلفل. مجلة الدراسات اللغوية ج٨/ العدد١، ١٠٤.

التناصّ في شعر أماني بسيسو

د. عصام حسين إسماعيل أبو شندي
قسم اللغة العربية – كلية التربية والآداب
جامعة تبوك

التناصّ في شعر أماني بسيسو

د. عصام حسين إسماعيل أبو شندي
قسم اللغة العربية – كلية التربية والآداب
جامعة تبوك

تاريخ تقديم البحث: ٢٩/ ٢/ ١٤٤١ هـ تاريخ قبول البحث: ١٢/ ٤/ ١٤٤١ هـ

ملخص الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى مقاربة مظهر جمالي بارز في شعر أماني حاتم بسيسو، هو وقوع "التناص" في شعرها مع مصدرين تعود إليهما الشاعرة وتمتح منها في إيجاد التناص، وهي: المصدر الديني المتمثل في آيات القرآن الكريم، والمصدر الأدبي وهو الشعر العربي القديم والحديث منه، إذ يضفي التناص من خلال هذين المصدرين، زخما وقوة على شعرها بشكل يكاد يمثل المظهر الجمالي الأبرز فيه .

والدراسة تهدف إلى التأكد إن كان هذان المصدران، هما الوحيدين اللذين تستمد منها الشاعرة شواهد التناص في شعرها ؟ فضلا عن محاولة معرفة القانون الأبرز في التناص لديها، أهو "الاجترار" أم "الامتصاص" أم "الحوار" ؟، وكذلك البحث عن المظهر الجمالي الذي أضافه التناص على شعرها، في مقدمة وتمهيد ومحورين وخاتمة .

الكلمات المفتاحية: التناصّ، شعر، أماني بسيسو، الشعر الحديث

The Intertextuality in Amani Bseiso's Poetry

Dr. Issam Hussein Ismail Abushind
Department of Arabic Language - Faculty of Education and Literature
University of Tabuk

Abstract:
This study aims to approach the clear aesthetic appearance in Amani Hatem Bseisu's poetry. The intertextuality appears between her poetry and two sources she derives verses from it To accomplish intertextuality. it is: the religious source the verses of the holy Qur'an, the Literary source the verses from old and modern Arabic poetry, The intertextuality gives through these two sources momentum and strength to her poetry to become the most prominent . aesthetic appearance on it

The study aims to confirm whether these two sources, Is the only one from whom the poet derives the verses of intertextuality in her poetry? As well as trying to know the most prominent procedure in intertextuality, Is it "the rumination" or "the absorption" or "the dialogue"?, And what is the aesthetic appearance added by The intertextuality on her poetry, includes: Introduction, preface and three pivots, conclusion .

key words: The Intertextuality, Poetry, Amani Bseiso, Modern Poetry

المقدمة

أنجزت الشاعرة الدكتورة أماني حاتم بسيسو، ديواني شعر خلال مسيرتها الأدبية الماضية، هما: "أموت وكفي ممسك قلمي" ٢٠١٨م و"يا طائر الأيك" ٢٠١١م، ومما يلفت انتباه المتلقي لهذين الديوانين قوة التعابير ومتانة اللغة لدى الشاعرة، التي تترافق مع إيقاعات موسيقية خارجية وداخلية فيها قدر ملحوظ من الارتفاع، الأمر الذي يفرضه، وفق ظني، التفاعل والتأثر الواضح من قبل الشاعرة مع قضايا الأمة العربية الإسلامية ومشكلاتها، في حومة ما وصل إليه حالها من سوء في العصر الحديث .

حيث تتبدى سمة فنية بارزة للمتلقي لدى قراءته شعرها، وهي كثرة وقوع التناص فيه مع آيات قرآنية أو أبيات شعرية عربية قديمة وحديثة، في جو شجنها وحزنها لحال الأمة العربية الإسلامية. لذلك فستعمد هذه الدراسة إلى تناول شعر أماني بسيسو، من جانب "التناص" في الديوانين، محاولة الإجابة عن عدد من الأسئلة.

أولها هل القرآن الكريم والشعر العربي، هما المصدران الوحيدان اللذان تمتح منهما الشاعرة في إيجاد التناص في شعرها، أم هل هناك مصادر أخرى؟ وإن كان ذانك المصدران، هما الوحيدين اللذين يقع التناص بينهما وشعر الشاعرة، فما هي المواضع منهما (الآيات القرآنية والأبيات الشعرية) التي يقع التناص بين شعر الشاعرة وبينها؟ وما هي القوانين التي غلبت على آلية وقوع التناص في شعرها، هل هي "الاجترار" أم "الامتصاص" أم "الحوار" ؟ وفقا للمسميات

المتفق عليها في الدراسات النقدية الحديثة، ثم ما المظهر أو المظاهر الجمالية التي أضافها التناص على شعر بسيسو؟.

ليأتي البحث في مقدمة وتمهيد ومحورين: أولهما التناص مع القرآن الكريم، والثاني التناص مع الشعر العربي القديم والحديث منه، فضلا عن الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

تمهيد:

يلحظ القارئ لشعر أماني حاتم بسيسو[1] أن فيه قدرا كبيرا من التأثر بقضايا أمتها العربية الإسلامية بوصفها فردا منها؛ الأمر الذي يُلحظ من خلال كثرة ورود عبارات وصور تحمل من الأحاسيس والمشاعر، ما يمكن وصفه بالتألم والتفجع لحال الأمة العربية الإسلامية في العصر الحديث، والذي يُلحظ كذلك من خلال تعمّد الشاعرة الإكثار من تقريع ضمير الأمة، ومحاولة بث روح العزم والبطولة فيها، الأمر الذي يدفعها في كثير من المواضع، للعيش بوجدانها الشعري في سياق كثير من الآيات القرآنية، وأبيات من الشعر العربي القديم والحديث منه، هذا المظهر الذي يُدعى في الدراسات النقدية الحديثة، بـ "التناصّ Intertextuality" .

(١) شاعرة أردنية من مواليد عام ١٩٧٩م في مدينة جدة السعودية، حاصلة على شهادة البكالوريوس في جامعة مؤتة عام ٢٠٠٠م، ومن ثم شهادتي الماجستير فالدكتوراه في الجامعة الأردنية عام ٢٠١٠م، وهي عضو سابق في رابطة الأدب الإسلامي العالمية، فرع الأردن، وقد نشرت بعضا من إنتاجها الأدبي في صحف ومجلات أردنية ومصرية وكويتية، ولها عدد من المؤلفات أبرزها: كتاب "آفاق، قراءات نقدية ودراسات أدبية"، و"أموت وكفي ممسك قلمي" ديوان شعر، و"يا طائر الأيك" ديوان شعر، وهو حائز على الجائزة الثالثة لمسابقة رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وهي تعمل حاليا معلمة في وزارة التربية والتعليم الأردنية . انظر: أماني بسيسو: أموت وكفي ممسك قلمي، ديوان شعر، طباعة خاصة / المؤلف نفسه، عمان ٢٠١٨م، ص ١٢٤ . أماني بسيسو: يا طائر الأيك، ديوان شعر، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠١١م، ص ص ٩٢، ٩٣ .

إذ تظل الشاعرة تعود كل حين إلى مصدرين تنهل من معينهما، ليقع التناص بين شعرها من جهة، ومكنونات هذين مصدرين من جهة ثانية، وهما: المصدر الديني الذي يتمثل في آيات القرآن الكريم خاصة، والمصدر الأدبي الذي يتمثل في أبيات من الشعر العربي القديم والحديث منه، وفي ظني أن عودة الشاعرة إلى هذين المصدرين خاصة، نابع من رغبتها في أن تستنهض معاني العزة التي كانت للأمة، التي هي في أمس الحاجة لها في الزمن الراهن، ليعود للأمة مجدها التليد الذي كانت عليه .

ولعل الفكرة الرئيسة للتناصّ تتوضح من خلال قول رائدته الأولى جوليا كرستيفا Julia Kristeva: " يحيل المدلول الشعري إلى مدلولات خطابية مغايرة، بشكل يمكن معه قراءة خطابات عديدة داخل القول الشعري، هكذا يتم خلق فضاء نصي متعدد حول المدلول الشعري، تكون عناصره قابلة للتطبيق في النص الشعري الملموس (...) من هذا المنظور، يكون من الواضح أنه لا يمكن اعتبار المدلول الشعري نابعا من سنن محدد، إنه مجال لتقاطع عدة شفرات (على الأقل اثنتين) تجد نفسها في علاقة متبادلة "[1]، وكذلك من خلال تعبيرات آخرين غيرها من النقاد، كقول دانييل شاندلر Daniel Chandler: " لكنّ النصوص في أية خانة كانت تندرج تحت نفس التصور حيث يمكن اختراق حدود النصوص، إذ يوجد كل نص في وسط "مجتمع واسع من النصوص" من

(١) جوليا كرستيفا: علم النص، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، ط١، الدار البيضاء، ١٩٩١م، ص ٧٨

الأنواع وأشكال التواصل، فكل نص لا يمثل جزيرة منعزلة "[١]؛ بمعنى أن هناك دائما حالة تواصل بين النصوص قديمها وحديثها تأثرا وتأثيرا، اجترارا أو امتصاصا أو محاورة .

وتجدر الإشارة هنا كذلك إلى أن "التناص" يتوزع بين ثلاثة قوانين، هي: "الاجترار" الذي هو تكرار للنص الغائب من دون تحوير أو تغيير فيه، وبين "الامتصاص" الذي ينطلق أساساً من الإقرار بأهمية النص الغائب وقداسته " فيتعامل وإياه تعاملاً حركياً تحويلياً لا ينفي الأصل، بل يسهم في استمراره جوهرا قابلا للتجديد، ومعنى هذا أن الامتصاص لا يجمد النص الغائب ولا ينقده، إنه يعيد صوغه فحسب على وفق متطلبات تاريخية لم يكن يعيشها في المرحلة التي كتب بها "[٢] وبين "الحوار" الذي يتم فيه تغيير النص وقلبه وتحويله، من قبل ذاك الشاعر الذي يوقع التناص بين نصه الجديد وذاك النص القديم، انطلاقا من القناعة بأن الإبداع لا حدود له[٣] .

والحقيقة التي تفرض نفسها على دارس التناص باستمرار، هي الصعوبة والمشقة التي تواجهه في تبيّن مواضعه وأنواعه في النصوص المدروسة، إذ " لا يمكن القبض على جميع أنواع الحوارات التي يمكن أن يقيمها خطاب المؤلف

---

(١) دانييل شاندلر: التناص، ترجمة إدريس الرضواني، مجلة علامات في النقد الأدبي، جدة، العدد ٢٩، ٢٠٠٨م، ص ١٣٢.

(٢) محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقاربة بنيوية تفكيكية، ط٢، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ١٩٨٥م، ص ٢٥٣

(٣) انظر: المرجع السابق نفسه، ص ٢٥٣

مع خطاب الآخر، فهي متشعبة لدرجة كبيرة "[١] وقد يكون ذلك راجعا إلى أن " اللغة ليست وسطا محايدا ينتقل بيسر وسهولة إلى ملكية المتكلم الأصلية، لأنها مأهولة وغامضة بمقاصد الآخرين، وتملّك شخص مآلها وإخضاعه إياها لمقاصده ونبراته عملية صعبة ومعقدة "[٢] .

والأمر الذي يلحظه الدارس لشعر بسيسو أن القانون الأكثر جريانا في مواضع التناص لديها، هو الثاني "الامتصاص" الذي تقوم فيه الشاعرة بتحوير النص الأصلي والاستفادة من إمكاناته في مقاربة الفكرة أو الشجن الذي هي فيه، الأمر الذي سيلحظه القارئ فيما يلي من حديث عن مواضع التناص، مع آيات القرآن الكريم ثم مع الأبيات الشعرية، وهي تبيّن هنا طريقة تلقيها للنصوص الأدبية، بوصفها ناقدة وشاعرة في الوقت نفسه، يتسرب ما تقرأه في وجدانها، قائلة: " وللقارئ الذي يختار النص الأدبي ويتناوله بالقراءة (...) ويتحين حينا مواتيا لمداولته وإعادة تأمله، فتراود ذاكرته أفكار معينة تكررت في إبداع الكاتب، تلح عليه مرارا بأساليب شتى "[٣]، الأمر الذي يتوافق مع فكرة "الامتصاص" المشار إليها توا .

---

(١) نهلة فيصل الأحمد: التفاعل النصي، التناصية النظرية والمنهج، سلسلة كتابات نقدية تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة، وزارة الثقافة المصرية، ط١، القاهرة ، ٢٠١٠م، ص ١٠٥

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ١٠٤

(٣) أماني بسيسو: آفاق، قراءات نقدية ودراسات أدبية، طباعة خاصة / المؤلف نفسه، عمان، ٢٠١٧م، ص ٧

أولا: التناص مع القرآن الكريم .

من البدهي أن النص القرآني له طبيعته التي تختلف عن أي نص آخر من وضع البشر، ورغم ذلك فإنه يظل المعين الذي تهفو إليه نفوس الأدباء ليستلهموا معانيه وصوره، لتنسرب من ثم في كتاباتهم، الأمر الذي يُنظر إليه في الدراسات النقدية الحديثة على أنه تفاعل " مع مضامينه وأشكاله تركيبيا ودلاليا بواسطة آلية من آليات شتى، ويعد هذا النوع جزءا مما يسمى بالتفاعل مع التراث الديني بأنماطه المتعددة "[١] .

إذ تنشد الشاعرة بسيسو في صدر ديوانها "أموت وكفي ممسك قلمي"، قصيدتها "في ذكرى المولد النبوي" التي تأسى فيها لحال الهوان التي وصلت إليها الأمة في العصر الحديث في مواجهة أعدائها، لذلك فهي تعمد إلى تقريع ضمير الأمة بقولها:

ما لي أراكم تفرّقتم وجمعكم أضحى شتاتا !! أيا دمعاتي انسكبي[٢]

وهذا التقريع مبعثه السخط ولا ريب، ولكن يظل يحدوها الأمل في أن يأتي الوقت الذي يطرأ فيه التغيير المنشود، لذلك نجدها تعيش بوجدانها في سياقات عدد من آيات القرآن الكريم على التوالي، مستلهمة دلالات تحوّل الضعيف فيها من حال ضعفه إلى حال قوته فيما بعد، في ثلاثة مواضع، تقول في أولها:

---

(١) عصام حفظ الله واصل: التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر، ط١، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١١م، ص ٧٧

(٢) أموت وكفي ممسك قلمي، ص ١٢

(داود) يهزم (جالوت) الذي انصاعت له الممالك يعلو دونما سبب[1]

ليقع التناص هنا بين البيت السابق، وقول الحق جل وعلا: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ [2]، مستلهمة من هذه الآيات تحول النبي داود عليه السلام، من كونه جنديا يقاتل في جيش العبد الصالح (طالوت)، إلى نبي وملك آتاه الله الملك والحكمة.

وتقول في الموضع الثاني:

و(العنكبوت) يباري خيطه حشدا هل يملكون نجاة منه بالهرب[3]

إذ يقع التناص هنا بين هذا البيت وقول الحق جلّ وعلا: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [4]، وكأن الشاعرة تريد من الإنسان العربي المسلم، أن يحيل ما بين يديه من ضعف إلى وسائل من أدوات القوة، كالعنكبوت التي أحالت ضعف الخيوط ووهنها إلى بيت، وهذا البيت لا يمثل للعنكبوت وجاء وسكنا فحسب، بل هو الأداة التي تفتك بوساطته بعدوها الذي يهم بها شرا .

---

(١) المصدر السابق نفسه،، ص ١٢

(٢) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ٢٥١

(٣) أموت وكفي ممسك قلمي، ص ١٣

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٤١

وتقول في موضع ثالث من القصيدة:

قضى ولادة (أحمد) وسط الجهل فاحتجبت كل الشموس وتبت يا (أبا لهب)[١]

فالرسول الكريم محمد ﷺ ولد في جو مكة الذي كان محتقنا بالشرك وعبادة الأوثان، وكان النبي على ما كان عليه من حال الضعف إلى أن آتاه الله أسباب القوة، فقضى على البغاة الظلمة، ومن أبرزهم عمه أبو لهب، الذي ذكره الحق في آيات لا يفتأ الخلق يتلونها صباح مساء: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝ ﴾ [٢] .

إذن فمبعث الجمال هنا، يعود أولا إلى هذا التوالي القريب في سياق القصيدة نفسه مع هذه الآيات الثلاث، فضلا عن تناص الشاعرة مع أبيات شعرية أخرى للغرض ذاته وفي السياق نفسه، ستتم الإشارة إليها في المحور القادم، والغرض – كما سلف القول – هو بث روح العزم في ضمير الأمة بهذا التناص والاستدعاء، الأمر الذي تعبر عنه الشاعرة بجلاء في قولها:

يا ليت ذي الذكرى — يوما — تذكرنا بأن أسلافنا فخر لذي النسب[٣]

والأمر الذي تجدر الإشارة إليه هنا في هذا الموضع المتقدم من الدراسة، هو أن التناص لدى الشاعرة يقع في شكلين، أحدهما التناص الذي يُطلق عليه في الدراسات النقدية الحديثة "الاستشهاد الشعري أو التنصيص citation" الذي

---

(١) أموت وكفي ممسك قلمي، ص ١٣

(٢) سورة المسد، الآيتان ١، ٢

(٣) أموت وكفي ممسك قلمي، ص ١٣

تعمد فيه الشاعرة إلى وضع الكلمات التي تشي به في متون قصائدها بين قوسين، أو تشير إليه في الهامش، كما يُلاحظ في الأبيات السابقة من خلال تعمدها وضع كلمات: (داود) (جالوت) (العنكبوت) (أحمد) بين قوسين، وكما سيلاحظ في الأمثلة التالية من الدراسة، هذا النوع الذي " لا يكلّف القارئ والدارس أي عناء لاستكشافه وملاحظته، فبمجرد قراءة بصرية وعمودية للنص المعارض نستكشف خيوط هذا الحوار ومكوناته، فهو يتكون من بنيتين لغويتين متجاورتين ومتآخذتين، إحداهما أصلية ومجردة من أي قيود شكلية، والأخرى مسيجة بهلالين تبدو وكأن لها كيانها الخاص، لكنها في الحقيقة ليست سوى مكون من مكونات النص المعارض "[١] .

في حين أن الثاني هو الذي يُدعى "التناص الإحالي"، الذي يعتمد فيه القارئ على مهارته في الربط بين دلالات الأبيات ومفرداتها من جهة، ودلالات بعض الآيات القرآنية والأبيات الشعرية ومفرداتها من جهة ثانية، بحيث لا تشير له الشاعرة صراحة لا في المتن ولا في الهامش، كما سيلاحظ في مواضع تالية من الدراسة، فهو الذي " لا يعلن عن وجود ملفوظ حرفي مأخوذ من نص آخر، ويندرج في بنيته بشكل صريح كلي ومعلن، وإنما يشير إليه ويحيل الذاكرة القرآنية عليه عن طريق دال من دواله، أو شيء منه ينوب عنه، حيث يذكر النص شيئا من النصوص السابقة أو الأحداث "[٢] .

---

(١) التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر، ص ٩٥

(٢) عبد القادر بقشي: التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، دراسة نظرية وتطبيقية، د ط، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٧م، ص ٩٠

وتعود بسيسو من جديد لتعيش في سياق ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، متناصّة معها في قصيدة "أهزوجة غزة" من الديوان ذاته "أموت وكفي ممسك قلمي"، بحيث تتناصّ أولا مع قول الحق سبحانه وتعالى في سورة الأحزاب: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾[1]، بالبيت الذي تقول فيه:

هم (الأنصار) ما وهنوا تصدوا للملمات

أرى الأحزاب قد حشدوا لقهري كل ما حشدوا[2]

لتحيّي بهذا التناص الشرفاءَ من الأمة الذين وقفوا مع أهل غزة، في واحدة من مواجهاتها غير المتوقفة مع العدو الصهيوني؛ والشرفاء هنا حالهم كحال (أنصار) النبي محمد ﷺ في موقفهم معه من وجوده وقيادته ليثرب عامة، وفي أحداث غزوة الأحزاب خاصة التي كانوا في خضمها وفي الصميم منها، ولا يفوت الشاعرة طبعا هنا أن تعرّض بالمتخاذلين من أبناء الأمة في هذا الموقف، المتماهين مع موقف دولة الصهاينة، بقولها:

تصدرهم بنو قومي وكنت أخالهم عضدي

لقد صاغوا لإسرائيـ ل من أوطاننا سكنا[3]

لتستمر في مخاطبة العدو الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين، متحدية إياه بقولها في نبرة من التصميم:

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢٢

(٢) أموت وكفي ممسك قلمي، ص ٤٦

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٤٧

سآتيهم بجند الله أدكّ صروحهم دكـا
لقد آليت أتركهم بها (عصفا) و(مأكولا)[1]

فهي بذلك تتناص في هذا الموضع الثاني مع آيتين كريمتين، أولاهما قول الحق سبحانه وتعالى في سورة الفجر: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾[2]، وكأنها تستدعي في البيت الأول قوة الله الجبارة، لتهز قوى الطغيان في مشهد يذكر بيوم القيامة الذي تدك فيه الأرض دكا دكّا، وهذا التناص في هذا الموضع يستشعره القارئ من خلال استخدامها لتعبير: أدكّ دكّـا . الذي يشي بأنها تعيش بوجدانها في سياق هذ الآية .

في حين تتناص في البيت الثاني مع قوله سبحانه وتعالى في سورة الفيل: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ٥﴾[3]، ليكون وجه الشبه المرتسم في وجدان الشاعرة بين الصورتين، هو أن مصير الظلمة الطغاة من الصهاينة، سيكون كمصير أهل الفيل الذين أهلكهم الله بحجارة من سجيل في حادثة الفيل المعروفة، لكن الفارق بين الصورتين هو أن الطغاة هنا سيكون هلاكهم بيدي جند الله من المجاهدين، في حين أن هلاك أهل الفيل كان بجند الله من الطير الأبابيل، ولا ريب أن تعمد الشاعرة وضع كلمتي (عصفا) و(مأكولا) بين قوسين، هو إيحاء منها بل لفت

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٤٨
(٢) سورة الفجر، الآيتان ٢٢، ٢٣
(٣) سورة الفيل .

مباشر لانتباه القارئ، إلى هذا التماهي في الدلالة بين بيت الشعر والآية الكريمة المشار إليها.

ولا تخرج الشاعرة على سياق الحماسة والانتماء لمشكلات الأمة في العصر الحديث، إذ تبكي الحال التي آلت إليها الأوضاع في سورية ومصر في سياق الربيع العربي، والدمار والتشتت الذي لحق بسورية خاصة، في قصيدة "آهات الشام"، قائلة في صدرها:

يا شام يا لوعة في القلب تضطرب ساد النحيب، ومن للنجب إذ غلبوا![1]

وفي موضع تال من القصيدة يرد المقطع التالي منها، الذي يتضمن إيمان الشاعرة بحق الشعب المغلوب على أمره في أن يحكم نفسه، واستنكارها إرغامه على ما لا يريد ويرغب، الأمر الذي يسوقها إلى تمني الركون إلى جهة ذات قوة وبأس شديد، حيث تقول:

حق الشعوب بحكم الله في بلد دوما لدين رسول الله ينتسب
مكرا وقهرا وإرغاما على جبر قد طاب موتي، لخلد الله أنتخب
(لو أن لي بكم قوة) لأرى حشد الفلول قد ارتدوا قد انغلبوا[2]

ليقع التناص بين البيت الثالث من هذا المقطع، وبين الموضع من القرآن الكريم الذي يجأر فيه النبي لوط عليه السلام بالشكوى إلى ربه، بعد أن أحس

(١) أموت وكفي ممسك قلمي، ص ٥٥
(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٥٧

بمكر قومه به: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ [١]، فالشاعرة تتعمد وضع المقطع اللغوي (لو أن لي بكم قوة) بين قوسين، بشكل ظاهر جليّ لتبدي أن الذي يستدعي هذه القوة الغيبية هو عقلها الظاهر، فضلا عن عقلها الباطن، وهي تأسى لحال الضعف والوهن التي وصل إليها المغلوبون على أمرهم في هذه المطحنة، وإذن فالتناص مع هذه الآيات في هذه المواضع الثلاثة من القصيدة، يولّد زخما من الجمال والقوة في التعبير في بناء القصيدة بلا شك.

وكذلك في ديوان "يا طائر الأيك" يقع التناص بين بعض من أبيات بسيسو الشعرية وبعض الآيات القرآنية الكريمة، فهي تبث قراءها في قصيدة "اللحن الأخير" شيئا من شجن نفسها، تمهد له بقولها نثرا بين يدي القصيدة: " وقفتْ وفي قلبها يموج الألم، وفي عينيها تتراقص الدموع .. على شفا جرف هار .. تعزف لحنا حزينا .. "[٢]، بحيث يقع التناص بين قولها في سياق هذه القصيدة:

وقد ولّى زمان كنت فيه تمنين المنون ولا تحين[٣]

وبين قول الحق جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [٤]، ويبدو أن التشابه بين موقف الألم والشجن الشخصي الذي تعيشه الشاعرة، والألم والمشقة التي كان يعيشها النبي محمد

(١) سورة هود، الآية ٨٠

(٢) يا طائر الأيك، ص ٣٥

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٣٥

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٤٣

ﷺوصحبه إبان غزوة الأحزاب، هو الذي استدعى هذا التناص اللاشعوري بين بيت الشعر والآية في وجدان الشاعرة، استنادا إلى أنها لم تتعمد –كما تفعل في مواضع أخرى من شعرها، أن تضع الألفاظ التي توحي بالتناص، بين أقواس أو تشير لها في الهامش .

ويؤدي (الليل) في قصيدة "نفثة مصدور" دورا مزدوجا في علاقته مع الشاعرة؛ فهو من جهة الميقات الزمني الذي تنفث في حضرته شجونها وهموم نفسها التي تعتلج في صدرها، إذ تقول في ذلك:

أرخى المساء على قلبي جلائله فكان للسهد والأشجان ميقاتا[١]

وهو من جهة ثانية، الشخص الآدمي المتخيل الذي تحاوره في سياق قصصي:

أطرقت أصغي له بادلته النجوى فبات صمتي جوى، والبث إخباتا

إني كذلك، إذ صوت يناجيني همس وهيمنة، أصغيت إنصاتا[٢]

إلى أن يصل بها النظم إلى موقع التناص، في البيت الذي تقول فيه:

(اقرأ) وربك يروي النفس إن ظمئت يرد وهج الصبا، والعمر إن فاتا[٣]

بحيث يقع التناص هنا بين هذا البيت، وبين قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ ﴾[٤]، ومبعث التناص هو أن

---

(١) يا طائر الأيك، ص ٤١

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٤١

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٤١

(٤) سورة العلق، الآيتان ١، ٢

الشاعرة تجد في القراءة تسلية لها تخرجها من جو الشجن الذي يكتنفها في الليل، الأمر الذي تجد ذاتها قادرة على التعبير عنه باستحضار هذه الآية القرآنية، ولعل هذا ما يدعوها إلى تعمد وضع كلمة (اقرأ) بين قوسين، فلا غرابة إذن أن تكون القراءة التسلية المثلى، التي حض عليها القرآن في أول آية نزلت من آياته الكريمة .

ثانيا: التناص مع الشعر .

يتناص شعر بسيسو في كثير من المواضع مع أبيات شعر لعدد من الشعراء العرب، القدماء والمحدثين منهم على حد سواء، بحيث يلحظ القارئ أيضا توظيف الشاعرة تقنية "التنصيص أو الاستشهاد الشعري" بكثرة في تلك المواضع التي يقع فيها التناص، وذلك من خلال وضعها الكلمات التي تشي بالتناص بين قوسين، أو بالإشارة إليه في هوامش ديوانيها، تماما كما فعلت في المواضع التي يُلمس فيها التناص مع آيات القرآن الكريم، كما في المحور السابق إذ " قد تتضمن القصيدة تناصّات أدبية متنوعة في أجزائها المختلفة، بسبب حتمية اندماج المقروء الثقافي في ذاكرة الشاعر، ثم تسربه إلى عالم القصيدة من خلال اللغة أو الصور أو الأسلوب أو الرؤية إلى غير ذلك "[١] .

فهي تقول في مطلع قصيدتها "أرجوك .. ربي، وحدك" في صدر ديوانها: "أموت وكفي ممسك قلمي":

هل أقبل العيد أم عادت لي النوب ما لي إلى الدرب أسعى، والضنى شهب[٢]

(١) أحمد الزعبي: التناص نظريا وتطبيقيا، د ط، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٠م، ص١٥٣

(٢) أموت وكفي ممسك قلمي، ص ١٠

متناصة بذلك مع بيت المتنبي:

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم بأمر فيك تجديد[١]

إذ تشاركه الشاعرة إحساسه الذي كان يكتنفه وقت قوله لتلك القصيدة ولذاك البيت فيها، وهو الخوف مما يمكن أن يأتي به الزمن المستقبل، في سياق مناسبة كالعيد يُخشى أن تتفتح فيها جراح قديمة أو ألا تأتي بما يسر كما هو مرجو منها، وكما يقول ستيفان تودوروف Tzvetan *Todorov*: " ففي العلاقة التناصية يعتبر الملفوظ كشاهد على حضور الذات المتكلمة (...) بهذا المعنى فإن لكل ملفوظ مؤلفا نلمس حضوره داخل الملفوظ ذاته باعتباره مبدعه الأول، إن الفعل الحواري هو الذي يحدد وجود الملفوظ ويشخصه "[٢] .

وفي القصيدة التي أشير إليها في المحور السابق من الدراسة، وهي قصيدة "في ذكرى المولد النبوي" من الديوان "أموت وكفي ممسك قلمي"، يقع التناص بين عدد من أبياتها وعدد من آيات القرآن الكريم، وزيادة في رغبة الشاعرة في بيان تعمدها تقريع ضمير الأمة بسبب ما آلت إليه حالها من هوان، فهي تتعمد إيقاع التناص في موضعين منها مع أبيات شعرية؛ ذلك أنها تتعمد الإشارة

---

(١) أبو الطيب المتنبي: ديوانه، بشرح أبي البقاء العكبري، المسمى بالبيان في شرح الديوان، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقى وآخرون، د ط، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د ت، الجزء ٢، ص ٣٩ .

(٢) ستيفان تودوروف: التناص، ترجمة أنور المرتجي، مجلة فكر– العلوم الإنسانية والاجتماعية، الرباط، العدد١، ٢٠٠٥م، ص ١٠٨

إلى موضع التناص في عجز البيت التالي من القصيدة، بوضع المفردات بين قوسين، وبالإشارة إلى البيت الذي يقع التناص معه في الهامش، بقولها:

ماذا سنشكو ؟! هتافات بغير صدى ! .. (طال اغترابي، وما همي بمنقضب)[١]

والبيت الذي يقع التناص معه هو:

طال اغترابي، وما همي بمنقضب والدهر قد جد في حربي وفي طلبي[٢]

وهو للشاعر عصام العطار، ورغم أن الشاعر يقول هذا البيت في سياق قصيدة يشكو فيها من الغربة وأشجانها، بوصفه غريب الدار، فإن بسيسو تجيز لنفسها اقتباس صدر بيت الشاعر لتجعله عجزا لبيتها هذا، بداعي ما بين السياقين من شكوى وشجن، فالشاعر العطار يشكو الغربة وألمها، في حين أن بسيسو تتحسس الألم والشجن والغربة بعيدا عن مآثر الأمة وأسباب شجاعتها التي كانت لها في ماضيها، وكما يقول مصطفى السعدني: ففي " النسيج النصي خيوط تشدنا إلى خلفية الذات ولا يمكن تفسيرها بالذات أو "الأنا" أو

---

(١) أموت وكفي ممسك قلمي، ص ١٢

(٢) رابطة أدباء الشام عبر الشبكة العنكبوتية .

http://www.odabasham.net/%D٨٪AA%D٨٪B١٪D٨٪A٧٪D٨٪-AC%D٩٪٨٥/٧١٠١٣-%D٨٪B٩٪D٨٪B٥٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٥-D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٩٪D٨٪B٧٪D٨٪A٧٪D٨٪B١-٧١٠١٣%

الاقتصار على وصف قوانين اللعبة الفنية، فإذا المجتمع بمختلف رموزه ومؤسساته قابع في النص "[1]، .

أما الموضع الثاني، فهو الذي تقول فيه الشاعرة:

من خير أنساب أهل الأرض أنت أيا هادي الهداة، ولكن جزت بالرتب

هلا أجبتم ! فأنتم نسل من شرفا حبا وبذلا .. كذا جدي كذاك أبي[2]

موجهة خطابها في البيت الأول منهما، إلى شخص الرسول الكريم محمد ﷺ مفاخرة بنسبه الشريف، وفي الثاني إلى أبناء الأمة العربية عامة، مذكرة إياهم بأنهم من نسل عربي عريق يُفترض في أبنائه ألا يقبلوا الضيم والذل، ليقع التناص هنا بين هذين البيتين وبعض أبيات قصيدة بشار بن برد، التي صُنفت على أنها قيلت في سياق النفس الشعوبي المعادي للعرق العربي في العصر العباسي آنذاك، التي فاخر فيها بشار العرب بنسبه الساساني:

هل من رسول مخبر عني جميع العرب

جدي الذي أسمو به كسرى وساسان أبي[3]

وكأن لسان حال الشاعرة يقول: إن كنت يا بشار بن برد تفاخر بنسبك الساساني، فنحن نفاخر بعراقة نسبنا الذي تنتمي إليه الدرة المكنونة (الرسول

---

(١) مصطفى السعدني: التناص الشعري، قراءة أخرى لقضية السرقات، توزيع منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩١م، ص ٨٦

(٢) أموت وكفي ممسك قلمي، ص ١٣، ١٤

(٣) بشار بن برد: ديوان بشار بن برد ، جمع وتحقيق وشرح محمد الطاهر بن عاشور، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر،٢٠٠٧م، الجزء الأول، ص ٣٨٩

محمد ﷺ)، فضلا عن القبائل العربية الأخرى ! ورغم ضعف الحال التي فيها الأمة في الظرف الراهن الآن، إلا أن روح العزة والإباء تسري في دمائنا، وستؤتي أكلها عاجلا أو آجلا .

وفي قصيدتها "لو كنت من (مازن)" يقع التناص بين موضعين منها، وبيت للشاعر الجاهلي قريط بن ظريف، هو قوله:

لو كنت من مازن لم يستبح إبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا[١]

فالشاعر قريط يتمنى في بيته هذا، لو أنه كان واحدا من أبناء قبيلة (مازن) ليذب الأذى عن نفسه، لذلك فقد تعمدت الشاعرة وضع اسم القبيلة التي يتحدث عنه قريط، بين قوسين في عنوان قصيدتها "لو كنت من (مازن)" فضلا عن قولها في المتن:

(لو كنت من مازن لم يستبح) حُرُمي ذوو الجهالة، لكن أين هم قومي![٢]

إذن فالتناص بين بيت شعر قريط بن ظريف وقصيدة بسيسو هذه، يقع أولا في العنوان ومن ثم في متن بيتها الذي تقتبس فيه معظم صدر بيت قريط (بين قوسين)، ولا ريب أن تعمد الشاعرة الإشارة إلى موضعي التناص بوضعهما أولا بين أقواس، ومن ثم بالإشارة إليهما في الهامش من متن الديوان، هو أدعى

(١) حبيب بن أوس أبو تمام: ديوان الحماسة، برواية أبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي، شرحه وعلق عليه أحمد حسن بسج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، ص ١١

(٢) أموت وكفي ممسك قلمي، ص ٢٢

إلى تغليظ تقريعها ولومها الشديدين للضمير الجمعي للأمة المتخاذل عن استرداد حقه .

وكما فعلت بسيسو في قصيدة "لو كنت من (مازن)"، فإنها تتعمد الفعل ذاته في قصيدة "السيف أصدق ..."، إذ التناص هنا واضح ومتعمّد بين عنوان القصيدة من جهة، ومطلعها من جهة أخرى، الذي هو قولها:

(السيف أصدق إنباء من الكتب) استضعفونا ودالت دولة النجب[١]

وبين بيت الشعر المشهور لأبي تمام في مطلع قصيدته المشهورة:

السيف أصدق إنباء من الكتب في حدّه الحدّ بين الجِدّ واللعب[٢]

هذا النوع الذي يُدعى "التنصيص بالمصراع الواحد"[٣] وهو الذي يجيز الشاعر لنفسه فيه أن يستعير شطرا من بيت لشاعر آخر، بحيث يجعله صدرا لبيته الجديد أو عجزا له، بداعي ما بين البيتين من شبه في الفكرة أو العاطفة أو الصورة.

فالشاعرة هنا تستدعي "السيف" الذي هو رمز من رموز القوة عند العرب والمسلمين قديما وحديثا، في الوقت نفسه الذي تستدعي فيه روح النصر التي كانت للأمة في يوم من الأيام في فتح عمورية، الذي قيلت قصيدة أبي تمام في جوه ممجدة له ولبطله الأول الخليفة المعتصم العباسي، ولا شك أن التاريخ يظل

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٥٠

(٢) الخطيب التبريزي: شرح ديوان أبي تمام، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه راجي الأسمر، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، الجزء الأول، ص ٣٢

(٣) انظر ص ٩٢ من كتاب: التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، دراسة نظرية وتطبيقية .

" مركز جذب للشاعر الحديث، بما يقدم من أمثولات وعبر مترشحة ومصفاة، بهيئات سردية مرمزة أو مختزلة في حبكات لها أثر دلالي تعجز عنه المباشرة والتقريرية والغنائية الصارخة "[١] .

وفضلا عن جزالة ألفاظ القصيدة وحماسة موسيقاها التي هي في بحر البسيط، فإن تناص الشاعرة مع قصيدة أبي تمام هذه خاصة، في الموضعين المشار إليهما من قصيدتها، يمنح القصيدة إيقاعا مضاعفا ليتفاعل معها المتلقي، لا سيما أن الشاعرة قد تعمدت – كما يبدو – أن تجعل رويّها (الباء المكسورة) متوافقا مع رويّ قصيدة أبي تمام، وكأنها تأتي بهذه القصيدة من باب معارضة قصيدة أبي تمام التي هي درة من درر الشعر العربي القديم.

وفي جو آخر غير جو الحماسة والانفعال لقضايا الأمة وهمومها وأشجانها، ترثي الشاعرة صديقها المرحوم الأستاذ "عدنان النحوي" في قصيدة "وبعض العمر باق لا يبيد" قائلة في صدرها:

(هل غادر الشعراء) من ذكر الأسى لا، فالمواجع – في حياتي – لا تبيد[٢]

متناصة بذلك بشكل واضح ومقصود، من خلال وضع عبارة (هل غادر الشعراء) بين قوسين، مع مطلع معلقة عنترة بن شداد المشهورة:

---

(١) حصة البادي: التناص في الشعر العربي الحديث، البرغوثي أنموذجا، ط١، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، ص ٥٤

(٢) أموت وكفي ممسك قلمي، ص ٩٣

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم[١]

وإذا كان عنترة قال هذا البيت في جو التأسّي لبعده عن حبيبته عبلة، الأمر الذي دعاه إلى التعبير عن افتقاده لـ (معنى) ينظم في جوه مأساته وألمه، بعد أن أتى من سبقه من الشعراء على كل المعاني التي يمكن أن ينظم فيها بحسب زعمه؛ فإن بسيسو تقول بيتها هذا في مطلع قصيدتها، في جو يتقاطع مع الجو الذي قال فيه عنترة بيته، وهو الأسى والشجن لوفاة صديقها المرحوم، ما يدعوها لأن تعيش بوجدانها في سياق بيت عنترة هذا، متسائلة إن كان من سبقها من الشعراء تركوا لها (معنى) لتنظم فيه مشاعرها وحزنها العظيم لوفاة صديقها.

ومن ثم يقع التناص في قولها في موضع تال من القصيدة نفسها، وهو قولها:

لا، لم تمت – عماه – أنت مجاهد باق بذكرك، إنه أجل جديد[٢]

متناصة مع بيت سيّد قطب:

فإذا انتهى أجل العظيـ م، فذكره أجل جديد[٣]

هذا التناص الذي تشير له بسيسو في هامش القصيدة في متن الديوان، متعمدة إيقاع هذا التناص، وواضح ما بين البيتين من تماه في فكرة أن حيوات

---

(١) الخطيب التبريزي: شرح ديوان عنترة بن شداد، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه مجيد طراد، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، ص ١٤٧

(٢) أموت وكفي ممسك قلمي، ص ٩٣

(٣) سيد قطب: ديوانه، جمعه ووثقه وقدم له عبد الباقي محمد حسين، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م، ص ٢٥٥

العظماء وأعمارهم، لا تقاس بالأيام والأعوام بل بالمنجزات التي تبقي ذكرهم خالدا على مر الدهر .

وتناص بيتي بسيسو مع بيتي عنترة بن شداد وسيّد قطب، يضفي على القصيدة جوا من الحزن والعمق الفلسفي الأكثر غورا، ابتداء من فكرتها التي ذهبت فيها إلى أنها (تفتقر لمعنى تصوغ فيه مشاعرها تجاه الفقيد)، وانتهاء بالفكرة العميقة ولا شك، وهي أن أعمار العظماء تقاس بمدى إنجازاتهم التي تخلد ذكرهم .

لتنثني الشاعرة في موضع تال من ديوانها في قصيدة "طبّ آهاتي" إلى فكرة إنسانية حساسة ومؤثرة، وهي تعاطفها وبكاؤها مع صديقتها التي تورد اسمها صراحة في متن الديوان، بقولها بين يدي القصيدة: "إلى صديقتي، وحبيبتي السيدة: أسماء العزة، أوحت لي دمعاتك الغالية هذه الأبيات"[١] من دون أن تصرح الشاعرة بطبيعة الموقف ولا سبب الحزن، بحيث يقع التناص في قولها:

(لكل شيء إذا ما تم نقصان) كذا المصيبات إن حاقت لأشتات[٢]

والتناص هنا واضح بين بيتها هذا، والبيت المشهور لأبي البقاء الرندي:

لكل شي إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان[٣]

---

(١) أموت وكفي ممسك قلمي، ص ١١٧

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ١١٩

(٣) أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، د ط، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، الجزء٤، ص ٤٨٦

والقاسم المشترك بين البيتين بلا شك، هو تعمد كلا الشاعرين بث الصبر والعزم في نفس مخاطَبه، تثبيتا له وشدا على يديه في جو الحزن الذي هو فيه .

وتعيش الشاعرة في جو من الشجن وتعمُّد بث لواعج نفسها لقرائها في كثير من المواضع في ديوانيها، ومنها قولها في قصيدة "روح شريد" في ديوان "يا طائر الأيك":

ما الذي أملك في هذا الوجود ؟ حين قلبي – رغم من حولي – وحيد

حين نبضي في دجى الليل كما خفق طير، متعب الروح، شريد[١]

إلى أن تصل لقولها:

ذاك صوتي (عبرة مهراقة) هي شعري، وغنائي والقصيد[٢]

والتناص هنا يقع بوضوح متعمد من الشاعرة من خلال وضع المقطع (عبرة مهراقة) بين قوسين – بين بيتها هذا وبيت امرئ القيس:

وإن شفائي عبرة مُهَراقة فهل عند رسم دارس من معوّل ![٣]

وإذا كان امرؤ القيس يبكي على أطلال أحبّته، الذين كانوا يحلّون في يوم من الأيام في هذا الموضع ثم ارتحلوا منه، فأورثوه الألم والحزن والشجن برحيلهم هذا؛ فإن بسيسو تبكي في هذا الموضع لهاجس يغالبها بأنها تفتقد شيئا ما في

---

(١) يا طائر الأيك، ص ٣٩

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٣٩

(٣) جندح بن حجر امرؤ القيس: ديوانه وملحقاته، بشرح أبي سعيد السكري، تحقيق أنور أبو سويلم ومحمد الشوابكة، ط١، من إصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ٢٠٠٠م، المجلد الأول، ص ١٧٤

الحياة، لا تعبّر عنه بشكل واضح وإنما يستشعره القارئ المتذوق لشعرها والمتأمل فيه، فلا غرابة إذن أن يحضر في ذهنا بيت كبيت امرئ القيس هذا، وبين البيتين ما بينهما من توارد إحساس .

وفي جو دافق بالأحاسيس الإنسانية المرهفة، غير البعيدة عن جو أبياتها قصيدتها السابقة؛ تتعمّد الشاعرة التغني بحبّها لطفلة صغيرة وتعلّقها بها، وذلك في قصيدتها "أنفاس عاشق"، بحيث تمهّد بسيسو للقصيدة بقولها متسائلة نثرا: " أيعذرني أهل الهوى، إن كانت حبيبتي .. طفلة ذات عامين ؟! "[1]، لتصل إلى قولها في أواخر القصيدة في سياق:

والريق عذب سلسل، سقيا شغاف لم تزل (غرثى صواد) عودها قد جف حتى أمحلا[2]

والإنسان الغرث أو الغرثى هو ذاك الشخص النحيل الجسم الضامر البطن، والصادي هو الذي بلغ به العطش مبلغا[3]، بحيث تصف الشاعرة نفسها بهاتين الصفتين وهما الذبول والعطش لشدة تعلقها بها، ومحبتها لها المحبة الصوفية التي تجعلها تعيش – وهي تتحدث عن هذه المحبة — بوجدانها في جو بيتي الشاعر ابن الفارض، اللذين يقول فيهما:

خفف السير واتئد يا حادي إنما أنت سائق بفؤادي

---

(١) يا طائر الأيك، ص ٧٣

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٧٤

(٣) المعجم الوسيط، ط٤، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، ص ٥١١ (لفظة صدى)، ص ٦٤٨ (لفظة غرث)

ما ترى العيس بين سوق وشوق لربيع الربوع غرثى صوادي[1]

وإذا كانت العيس في بيتي ابن الفارض تضمر ويدركها العطش في سعيها الدؤوب والسريع نحو موطن الربيع، فإن الشاعرة يدركها ما يدرك تلك العيس من جراء تعلقها بهذه الطفلة ولا ريب، فالشاعرة إذن تتعمد إيصال مستوى حبها لطفلتها إلى مقام الحب الصوفي، الذي فيه من السمو ما فيه وفيه من الرفعة ما فيه، بحيث يشكل هذا التناص مع بيت لشاعر صوفي خاصة، ميزة جمالية تضفي على هذا القصيدة شكلا من الجمال، يُضاف إلى ما فيها من أشكال الجمال الأخرى وألوانه .

(١) بدر الدين الحسن بن محمد البوريني، وعبد الغني بن إسماعيل النابلسي: شرح ديوان ابن الفارض، جمعه رشيد بن غالب اللبناني، ضبطه وصححه محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، الجزء الثاني، ص ص ١١٤، ١١٥

خاتمة:

يشكل التناص ظاهرة فنية ملحوظة في شعر الشاعرة أماني بسيسو، ذلك أنها تعمد إلى العودة في مواضع كثيرة من ديوانيها "أموت وكفي ممسك قلمي" و"يا طائر الأيك"، إلى مصدرين هما: الدين والأدب، لتوجد التناص بين أبيات من شعرها مع آيات من القرآن الكريم أو أبيات من الشعر العربي قديمه وحديثه، بحيث يضفي التناص مع مفردات من هذين المصدرين ومكوناتهما، قدرا من الجمال يُحسب للشاعرة في هذين الديوانين .

وكان أكثر ما يميز تناص بسيسو مع هذه المفردات من هذه المصادر، هو ما يُسمى في الدراسات النقدية الحديثة، بـ "الامتصاص" الذي يتجسد في تمثل بسيسو لهذه الآية أو ذاك البيت من الشعر والعيش في جوه من جهة، ومن ثم توظيف لفظة أو شطر منه في سياق شعرها، خدمة لغرضها الذي هي فيه، في سياق تأثرها بحال الأمة الإسلامية العربية في العصر الحديث، أو مقاربتها لشجن من متعلقات نفسها وشخصها كما يبدو للقارئ، الأمر الذي يوحي بحالة من التماهي بين بيت شعرها من جهة وذاك المصدر الذي تتناص معه من جهة ثانية .

والباحث هنا لا يدعي أنه أحاط شعر الشاعرة بدراسة أوفته حقه من البحث، وإنما تظل الآفاق مفتوحة لمن يرغب في دراسته من جوانب أخرى، يزعم الباحث أن منها تنوع المظاهر البلاغية من حيث كثرة الاستعارات فيه .

قائمة المصادر والمراجع:

أ- المصادر

١. (بسيسو) أماني: آفاق، قراءات نقدية ودراسات أدبية، طباعة خاصة / المؤلف نفسه، عمان، ٢٠١٧م.

٢. """ : أموت وكفي ممسك قلمي، ديوان شعر، طباعة خاصة / المؤلف نفسه، عمان ٢٠١٨م

٣. """ : يا طائر الأيك، ديوان شعر، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض،٢٠١١م

ب- المراجع.

٤. القرآن الكريم .

٥. (الأحمد) نهلة فيصل: التفاعل النصي، التناصية النظرية والمنهج، سلسة كتابات نقدية تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة، وزارة الثقافة المصرية، ط١، القاهرة ، ٢٠١٠م

٦. (امرؤ القيس) جندح بن حجر: ديوانه وملحقاته، بشرح أبي سعيد السكري، تحقيق أنور أبو سويلم ومحمد الشوابكة، ط١، من إصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ٢٠٠٠م

٧. (البادي) حصة: التناص في الشعر العربي الحديث، البرغوثي أنموذجا، ط١، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

٨. (بقشي) عبد القادر: التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، دراسة نظرية وتطبيقية، د ط، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٧م

٩. (بنيس) محمد: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقاربة بنيوية تفكيكية، ط٢، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ١٩٨٥م

١٠. (ابن برد) بشار: ديوان بشار بن برد، جمع وتحقيق وشرح محمد الطاهر بن عاشور، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر،٢٠٠٧م

١١. (البوريني) بدر الدين الحسن بن محمد ، وعبد الغني بن إسماعيل النابلسي: شرح ديوان ابن الفارض، جمعه رشيد بن غالب اللبناني، ضبطه وصححه محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت
١٢. (التبريزي) الخطيب: شرح ديوان أبي تمام، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه راجي الأسمر، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م
١٣. (التبريزي) الخطيب: شرح ديوان عنترة بن شداد، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه مجيد طراد، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م
١٤. (التلمساني) أحمد بن محمد المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، د ط، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م
١٥. (أبو تمام) حبيب بن أوس: ديوان الحماسة، برواية أبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي، شرحه وعلق عليه أحمد حسن بسج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م
١٦. (تودوروف) ستيفان: التناص، ترجمة أنور المرتجي، مجلة فكر— العلوم الإنسانية والاجتماعية، الرباط، العدد١، ٢٠٠٥م (ص ص ١٠٧ - ١٢١) .
١٧. رابطة أبناء الشام عبر الشبكة العنكبوتية .
http://www.odabasham.net/%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AC%D9%85/71013-%D8%B9%D8%B5%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B7%D8%A7%D8%B1-71013
١٨. (الزعبي) أحمد: التناص نظريا وتطبيقيا، د ط، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٠م
١٩. (السعدني) مصطفى: التناص الشعري، قراءة أخرى لقضية السرقات، توزيع منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩١م
٢٠. (شاندلر) دانييل: التناص، ترجمة إدريس الرضواني، مجلة علامات في النقد الأدبي، جدة، العدد ٢٩، ٢٠٠٨م (ص ص ١٢٧ - ١٣٦)

٢١. (قطب) سيد: ديوانه، جمعه ووثقه وقدم له عبد الباقي محمد حسين، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
٢٢. (كرستيفا) جوليا: علم النص، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، ط١، الدار البيضاء، ١٩٩١م
٢٣. (المتنبي) أبو الطيب: ديوانه، بشرح أبي البقاء العكبري، المسمى بالبيان في شرح الديوان، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقى وآخرون، د ط، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د ت،
٢٤. المعجم الوسيط، ط٤، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م
٢٥. (واصل) عصام حفظ الله: التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر، ط١، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١١م

خطابة يوم السقيفة
دراسة تداولية في مقصدية القول والأفعال الإنجازية

د. حسن بن احمد النعمي
قسم الأدب– كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

خطابة يوم السقيفة دراسة تداولية في مقصدية القول والأفعال الإنجازية

د. حسن بن احمد النعمي

قسم الأدب– كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ١/ ١/ ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ١٤/ ٤/ ١٤٤٢ هـ

ملخص الدراسة:

يسلّط هذا البحث الضوء من وجهة الدرس التداولي على الحوارات والمساجلات القصيرة التي دارت بين الصحابة رضي الله عنهم أجمعين يوم السقيفة، وهي حوارات ومساجلات تندرج ضمن الجنس الخطابي العام. وتنبع أهمية هذا البحث من ثلاثة جوانب؛ أولهما: خصوصية مقام التخاطب وهو يوم السقيفة؛ اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، واختلف أصحابه–رضي الله عنهم أجمعين– حول من هو أولى القوم بخلافة المسلمين من بعده، هل المهاجرون أو الأنصار؟ ودارت تحت سقيفة بني ساعدة التي تجمّع تحتها الصحابة حوارات ومساجلات أخذتْ قيمةً تاريخيةً عظيمة، ودلالةً تأسيسية مهمة، وما فتئت محل الاستشهاد والاستدعاء عند وقوع الحوادث المشابهة. وتتمثّل الأهمية الثانية لهذا البحث في خصوصية المنهج التداوليّ ونجاعته الإجرائية في دراسة هذه النصوص؛ لطبيعة هذه الأقوال التي صدرت في مقام جدال وحوار وسجال، فقد كان كلُّ قائل يبتغي إقناع الآخر بأطروحته وخياراته، وقد استعمل المتخاطبون في هذا الفضاء الحجاجي من الوسائل الإقناعية، ومن مسالك تصريف مقاصد القول والتوجيه الخطابي ما يتيح تطبيق هذا المنهج والإفادة من مفاهيمه دون سائر المناهج النقديّة؛ وذلك لطبيعة الخطاب التواصلي والتفاعل القولي الذي وجهته مقاصد المتخاطبين، فبرزت الأفعال الإنجازيّة بوصفها الركيزة الرئيسة في هذه الدراسة، وحاول البحث جاهدًا تتبّع مقاصد هذه الأفعال والكشف عن وظيفتها التواصليّة والمقصديّة، واكتفى بها دون الآليات التداوليّة الأخرى من مقام وسياق وافتراض مسبق وغير ذلك من الأدوات التي يمكن أن يعالج بها هذا الخطاب في دراسات أخرى مكملة لهذه الفكرة. أمّا الأهمية الثالثة فتتمثّل في أنّ هذه النصوص ذات خصوصية في النثر العربي القديم؛ لكونها لأناس من فصحاء العرب وبلغائهم، وهم الصحابة الأجلاء، الذين تشبعوا بالخطاب القرآني وبأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم. وأرجو أن أضيف بهذا الدرس جديدًا، وأفتح به بابًا لقادمين ليعطوا هذه النصوص حقّها من النقد والتحليل؛ سيّما أنّها لم تنل حظّها بعدُ من أقلام الباحثين.

الكلمات المفتاحية: فن الخطابة–يوم السقيفة– التداولية– مقصدية القول أو الأفعال الكلامية– الأفعال الإنجازية.

Elocution of Saqifa Day
A pragmatic study of the intent of utterance and performative verbs

Dr. Hassan bin Ahmad Al_Na'mi
Department of literature, Rhetoric and criticism - Faculty of Arabic Language
Imam Mohamed Ibn Saud Islamic University

Abstract:

This research aims to highlight the discussion and the concise deliberations, which took place between the companions of the Prophet (PBUH), on Saqifa day, from a pragmatic perspective; which discussion and deliberations fall within the general discourse. However, the importance of this research emanates from three aspects, namely the particularity of the discourse situation or site, which was the Saqifa day; the day on which Prophet Mohamed (PBUH) passed away, and his companions disagreed upon who would assume the caliphate after his death; the immigrants (Al-Muhajrun) or the "Ansar", the supporters?

The companions of the Prophet met together in Saqifa Bani Sa'ida, and they conducted historic and great discussion and deliberation; which were of a unique constituent significance, which are often cited and invoked upon the occurrence of similar incidents.

The second importance of this research is associated with the particularity of pragmatics, and its procedural efficacy with respect to studying literary texts; taking into account the special nature of the speeches which were delivered, in that situation involving argument and dialogue; where everyone was attempting to convince the others with his opinion and option. During the deliberations and discussions, the participants resorted to various methods of persuasion, difference approaches of negotiation and multi-communicative techniques, leading to actual achievements which are the core issue of this study; with the purpose of applying such approach and making use of the concepts thereof, without relying on all other critical approaches; due to the nature of the communicative discourse and verbal interaction, revealed by the intentions of the persons who participated in the deliberations.

This research attempts to reveal the actual achievements, which the core issue of this study, as well as investigating the communicative and purposive function of such intentions. The research is limited to these pragmatic mechanisms, including situations, context and assumption, that may be used in other complementary studies to this notion.

Thirdly, these literary texts have a particular significance in ancient Arabic prose; because they were produced by eloquent and fluent Arabs, were the honorable companions of the Prophet (PBUH), who were influence the eloquence of the Holy Quran and the Prophet's sayings.

The researcher is hopeful to produce a new breakthrough in order to instigate others to give due attention to these literary texts through delight criticism and analysis, particularly such texts have not been dealt with by researchers earnestly.

key words: (rhetoric) Public speaking- Alsaqifa Day- Pragmatics -Speech acts- Illocutionary acts.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيسلط هذا البحث الضوء على الحوارات والمساجلات القصيرة التي دارت بين الصحابة رضي الله عنهم أجمعين يوم السقيفة من وجهة الدرس التداولي، وهي حوارات ومساجلات تندرج ضمن الجنس الخطابي العام، وليست خطباً بالمفهوم التجنيسي لمصطلح "الخطبة"، كما سيتبين لاحقاً، ولذلك عنونت البحث بـ"خطابة يوم السقيفة" عوضاً عن " خطب يوم السقيفة".

وتنبع أهمية هذا البحث من جانبين اثنين، أولهما: خصوصية المدونة المختارة، وهي مدونة يوم السقيفة، وهو اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، واختلف أصحابه–رضي الله عنهم أجمعين– حول من هو الأولى بخلافة المسلمين من بعده، هل الأولى بها المهاجرون أو الأنصار؟ ولذا عُدَّ يوم السقيفة يوماً خالداً في حياة المسلمين، وكان يوم اختبار عظيم لهم، إذ اجتمع على الصحابة في ذلك اليوم مصيبتان، وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما انعكس من ذلك على نفوسهم من حزنٍ عميق، ووجدٍ كبير، والمصيبةُ الأخرى خوفهم من انفراط عقد المسلمين، وضياع الدين وعودة الجاهلية، التي لم يزالوا قريبي عهد بها، ويضاف إلى هاتين المحنتين افتقار التجربة السياسية في مجتمع المدينة قبل مجيء الإسلام إلى أعراف إدارة شؤون الحكم وتقاليد تدبير السياسة العامة للمجتمع خارج سياق العصبية القبلية أو الملك الدنيوي؛ فمن ثم أخذت هذه المحاورات والمساجلات التي دارت ذلك اليوم تحت سقيفة بني

ساعدة قيمةً تاريخيةً عظيمة، ودلالةً تأسيسية مهمة، وما فتئت محل الاستشهاد والاستدعاء عند وقوع الحوادث المشابهة.

وأمّا الأهمية الأخرى لهذا البحث فتكمن في خصوصية المنهج التداوليّ وتوقع نجاعته الإجرائية في دراسة هذه النصوص؛ لطبيعة هذه الأقوال التي صدرت في مقام جدال وحوار وسجال، فقد كان كلُّ قائل يبتغي إقناع الآخر بأطروحته وخياراته، وقد استعمل المتخاطبون في هذا الفضاء الحجاجي من الوسائل الإقناعية، ومن مسالك تصريف مقاصد القول والتوجيه الخطابي ما يتيح لنا تطبيق هذا المنهج والإفادة من مفاهيمه دون سائر مناهج دراسة النثر الأدبي، كما أنّ هذه النصوص كانت ذات خصوصية أخرى في النثر العربي القديم؛ لكونها لأناس من فصحاء العرب وبلغائهم، وهم الصحابة الأجلاء، الذين تشبعوا بالخطاب القرآني وبأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقسّمتُ هذا البحث قسمين؛ الأول نظريّ، واستعرضت فيه جوانب مهمة، متصلة بالمتن المدروس، وجعلتها أشبه بالمهاد للقسم الثاني الذي اشتمل على الجانب التطبيقي، وتوزّع الأول في ثلاثة محاور؛ الأول منها عن آليات رواية أخبار يوم السقيفة، حيثُ بدا لي أنّ الوقوف على هذه الآليات من الأهميّة بمكان؛ وذلك للفروق الكبيرة التي ألفيتها في رواية أخبار يوم السقيفة بين المصادر المختلفة، الحديثية والتاريخية والسيريّة والأدبيّة؛ فلذا خصصت لذلك مطلبًا بيّنت فيه هذه الاختلافات ومنازعها وما بدا لي من غاياتها، وما ترتّب على ذلك من اختلاف في النصوص، ثمّ كان المحور الثاني عن هويّة هذه النصوص ومقصديّتها؛ وذلك لأنّ أنماطها جاءت هجينة بين الخطب والحوارات

والمساجلات، فكان من الصعب تصنيفها ضمن جنس نثري واحد من هذه الأجناس، أمّا المحور الثالث من محاور الدراسة النظريّة فكان عن الوشائج التداوليّة بين المقصديّة والأفعال الإنجازيّة، وفي ذلك بيّنت مبررات اختيار المنهج التداوليّ، والصلّة التواصليّة بين مقاصد القول والأفعال الإنجازيّة.

أمّا القسم الثاني فقد خصصته لتحليل هذه الخطابة وفاق المنهج الذي اخترته، فكان عن الجانب التطبيقيّ، وقد قسّمتُه إلى خمسة أجزاء وفقًا لعدد الأفعال الإنجازيّة عند كلّ من جون أوستين(ت١٣٧٩هـ) وجون سيرل، وهما لغويان طورا الممارسات العربية القديمة في "الأفعال" في النظرية العربية لدى البلاغيين أولاً، ولدى وعلماء أصول الفقه لاحقاً، ولاسيما في باب "الخبر والإنشاء" عند البلاغيين، وباب "الإنشاء وفعل الأمر منه خاصة" عند علماء أصول الفقه(١)، وقد اعتمدت على مبادئ التقسيم عند سيرل، وهي: الإخباريات والتوجيهيات والالتزاميات والتعبيريات والتصريحيات، ثمّ أنهيت البحث بخاتمة أوجزت فيها أهمّ النتائج التي توصلّت إليها، وتلا الخاتمة فهرسٌ للموضوعات ثمّ ثبتٌ للمصادر والمراجع.

وبعد فعلى الرغم من القيمة العالية التي تتميّز بها هذه النصوص لم أعثر على أيّة دراسة أعطتها حقّها الأدبيّ والنقديّ، ولست أدري؛ أذلك تهيّب لهذه النصوص لما فيها من صراع بين المسلمين، ومن قضايا مصيرية بالنسبة إلى نظام

(١) انظر: نظرية أفعال الكلام العامّة – كيف ننجز الأشياء بالكلام"، جون أوستين، ترجمة عبد القادر قينيني، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩١م: ٦-٧.

الحكم، أم ظلّت بعيدة عن أقلام الدارسين جهلًا بقيمتها؟ وإن كنت أرى أن التبرير الأول لا مسوّغ له؛ إذ لم تتهيب أقلام الدارسين الخوض في دراسة القرآن الكريم تداولياً، غير آبهين بالخطأ والزلل في تأويل لفظه وتحليل معناه، أما ندرة الدراسات الأدبية التي اتجهت نحو نصوص الجلّة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أمر شاع ذكره بين الباحثين(١)، فضلاً عن أنني لم أجد- في حدود علمي- أي دراسة منهجية تداولية اتجهت إلى المدونة المستهدفة، وجل ما وقفت عليه مما اتجه نحو نصوص الصحابة لا يخرج عن جمع خطابة الخلفاء الراشدين خصوصاً، وبقية الصحابة عموما، ودراسة مضامينها وأشكالها دراسات نسقية، دون الاقتراب من الدراسات السياقية وعلى رأسها المقصدية التداولية التي يروم هذا البحث الاتجاه نحو تجريبها.

وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

(١) انظر الإشارة إلى ذلك في: أفاويق أدبية، أبحاث في الأدب العربي القديم، بحث "الأجناس النثرية الوجيزة للصحابة"، عبد الكريم بن عبد الله العبد الكريم، مكتبة روائع المملكة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م :١٩٧ وأصله بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، ع١٥٩، ١٤٣٣هـ.

أولاً: آليات رواية أخبار يوم السقيفة وحواراته:

رويت حوارات يوم السقيفة[1] بين المهاجرين والأنصار بطرائق مختلفة، وبصيغ شتى في المصادر التي تناقلتها، وهي مدونات الحديث والسيرة والتاريخ ومجاميع الأدب، ولكل أهل فن طرائقهم في صياغة الرواية وبما يتوافق مع قواعد فنهم وأصوله، وبما يناسب أحياناً مذهبهم في قراءة التاريخ وتوجيهه، فنص المدونة تتوزعه مصادر شتى ذات أبعاد مختلفة وطرائق توثيق متنوعة، فكان من

(١) هي سقيفة بني ساعدة، بالمدينة المنورة، وهي ظُلّة كانوا يجلسون تحتها عند بئر بضاعة، وبنو ساعدة الذين أضيفت إليهم السقيفة هم حي من الأنصار، ينتسبون لساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو، ومنهم سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة، وذكر المؤرخ ابن زبالة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد بني ساعدة وجلس في السقيفة، وشرب فيها. وقد اختلف في حقيقة موضع سقيفة بني ساعدة، فمن المؤرخين من يقول إنها بداخل المدينة، في جنوبي مقعد بني حسين، ومنهم من يرى أنها بخارج سور المدينة قريبا من بئر بضاعة، ورجح الرأي الثاني كثيرون، منهم جمال الدين المطري، والسمهودي الذي أشار إلى أن سقيفة بني ساعدة كانت في منزل بني ساعدة الثالث، شامي سوق المدينة، قرب ذباب. وعبد القدوس الأنصاري ذكر أدلة كثيرة على ترجيح الرأي الثاني، ومحدداً موقع السقيفة المعاصر، ولمزيد من التفصيل حول السقيفة وتاريخها وموقعها الحالي، انظر: أخبار المدينة، محمد بن الحسن بن زبالة، جمع وتوثيق ودراسة صلاح بن عبد العزيز سلامة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، الطبعة الأولى،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م:١٤٧-١٤٨. و: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت،١٣٧٤هـ/١٩٥٥م:٣/٨٦٠، والمغانم المطابة في معالم طابة، مجد الدين أبي الطاهر محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، تحقيق حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة الأولى،١٣٨٩هـ/١٩٦٩م:١٨١-١٨٢، وآثار المدينة المنورة، عبد القدوس الأنصاري، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الثالثة،١٣٩٣هـ/١٩٧٣م:١٥٥-١٥٧.

المستحسن بسط القول في تلك المصادر، وبيان ما تفرد به كل نوع منها في مبحث مستقل يسبق التحليل التداولي للنص، ولم أكن هنا بصدد التحقيق أو الوصول إلى النص الأدق والأصح وهو أمر مستحسن ومحمود فعله- ولكنه لم يكن مما يهدف إليه هذا البحث- وربما أنجزه آخرون ممن لهم مزيد عناية بتخريج النصوص الحديثية والتاريخية وفرزها وتوثيقها، وإنما أردت هنا الوقوف على التمايز والتماثل الذي حفلت به مدونة السقيفة، وبيان أين تتوافر تلك الحوارات والمساجلات في المقام الأول.

فأقول: إن المصادر الحديثية أسندت الأخبار إلى الجلة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن حضروا تلك الوقائع، وكان لبعضهم مشاركة مؤثرة في الحدث وحواراته، بينما نجد كتاب السير والطبقات والمؤرخين-كذلك- ينطلقون من صيغ المحدثين ليبنوا سياقات جديدة، ويحدثوا إضافات تساير الطرائق التي يسلكها كتاب السير أو الأخباريون عادة، بينما مجاميع الأدب راحت تصيغ الحوارات بشكل سردي؛ ليكون مساراً سردياً قصصياً متكاملاً بحدث وحوار وشخصيات وزمان ومكان؛ فيضمن حدًّاً أدنى من الأدبية. وطرائق رواية المحدثين تدور بين الإجمال والتفصيل، بعضها تروي الخبر وتنطلق في سرد مقدماته بدءاً من لحظة علم الصحابة رضي الله عنهم بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم وما تلاها من أحداث مفاجئة لهم(١)، إلى اجتماع الأنصار في

(١) انظر النقاش الذي دار بين صحابة رسول الله حول خبر وفاته، وإقسام عمر رضي الله عنه بأنه لم يمت، وإقناع أبي بكر رضي الله عنه له بموته في: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان

سقيفة بني ساعدة في اليوم نفسه وهو يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة، وتداولهم الأمر بينهم في اختيار من يليه في الخلافة، فمما ورد مُجمِلاً من تلك الأحداث ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسُّنح، فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: وقال عمر: والله ما كان يقع في قلبي إلا ذاك، وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم. فجاء أبو بكر- رضي الله عنه- فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقَبَّله، فقال: بأبي وأمي، طبت حياً وميتاً، والذي نفسي بيده: لا يذيقك الله الموتتين أبداً، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك. فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر...قال: فنشج الناس يبكون، واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة. فقالوا: منَّا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني هيأت كلاماً قد أعجبني، خشيت ألا يَبْلُغُه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر، فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: لا، ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء. هم أوسط العرب داراً، وأعربهم أحساباً، فبايعوا عمر

للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم (٣٦٦٧):٧/٢٢.

أو أبا عبيدة بن الجراح. فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس. فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة. فقال عمر: قتله الله"[1].

ومثل ذلك مما اعتمد الإجمالَ الروايةُ الأخرى التي تفيد بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل قياساً مضمراً حين ذكَّرَ بتقديم النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه بالإمامة، وذلك فيما أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الأنصار: منَّا أمير ومنكم أمير، فأتاهم عمر فقال: يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمَرَ أبا بكر أن يَؤمَّ الناس؟ فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر"[2].

ومما ورد في المصادر الحديثية مُفصّلاً تلك الحوارات بتركيز أكثر على بعض التفاصيل الدقيقة لأحداث ذلك اليوم، متضمنة أسماء وحوارات وأقوالاً أضحت

---

(١) المصدر السابق، كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم (٣٦٦٧-٣٦٦٨)،٧/٢٤.

(٢) مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، شرحه وصنع فهارسه أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى١٤١٦هـ/١٩٩٥م، حديث رقم (١٣٣) ١/٢٢٣، وقال الشيخ أحمد شاكر: "إسناده صحيح". وصيغ المؤرخين في هذا:" فقال عمر: أيكم يطيب نفساً أن يخلف قدمين قدمهما النبي صلى الله عليه وسلم..." انظر: تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، د.ت:٣/٢٠٢، والكامل في التاريخ، عز الدين ابن الأثير، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م:٢/١٨٧.

أمثالاً، وغيرها، ما جاء في صحيح البخاري(ت٢٥٦هـ) من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما فيما يرويه من خطبة عمر رضي الله عنه المشهورة التي خطب بها مرجعه من الحج في آخر عمره، ومما جاء فيها قوله:" وإنه قد كان من خبرنا حين توفَّى اللهُ نبيَه صلى الله عليه وسلم، أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا عليٌّ والزبير ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلتُ لأبي بكر: يا أبا بكر، انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء الأنصار، فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقيَنَا منهم رجلان صالحان[١] فذكرا ما تمالأ عليه القوم، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نُريدُ إخوانَنا هؤلاء من الأنصار، فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم، اقضوا أمرَكم. فقلت: والله لنأتِيَنَّهم، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجلٌ مُزمَّلٌ بين ظهرانيهم، فقلتُ: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة، فقلت:

(١) ذكر عدد من المحدثين وكتاب السير هذين الرجلين الصالحين الأنصاريين، وفي الأرجح أنهما عويمر بن ساعدة ومعن بن عدي رضي الله عنهما. انظر: مسند الإمام أحمد، ٣٣١/١، ونسب القول باسميهما إلى الإمام مالك بن أنس، وأضاف وهما ممن شهد بدراً، وانظر: منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الثانية،١٤١١هـ/١٩٩١م:٤٧٧/٥، والبداية والنهاية لابن كثير، تحقيق فؤاد السيد وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨/١٩٨٨م :٢١٦/٥، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني:٣٧/٧، واسمه: عويمر(بالراء) كما هو في مسند الإمام أحمد، وورد في: تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٢٠٦/٣، والكامل في التاريخ ،ابن الأثير،:١٨٨/٢، وفي موضع آخر في فتح الباري ١٥٦/١٢: هو: عويم (بدون الراء).

ماله؟ قالوا: يُوعَك. فلما جلسنا قليلا تشهّدَ خطيبهم[١] فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فنحنُ أنصارُ الله وكتيبةُ الإسلام، وأنتم –معشر المهاجرين– رَهْطٌ، وقد دفّت دافَّةٌ[٢] من قومكم، فإذا هم[٣] يريدون أن يختزلونا[٤] من أصلنا، وأن يحضنونا[٥] من الأمر. فلما سكت أردتُ أن أتكلم، وكنت قد زورتُ مقالةً أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي لأبي بكر– وكنت أداري منه بعض الحَدِّ[٦]، فلما أردتُ أن أتكلم، قال أبو بكر: على رِسْلِك. فكرهتُ أن أغضبه، فتكلم أبو بكر، فكان هو أحلم مني وأوقر، والله ما ترك

(١) ذكر الحافظ بن حجر العسقلاني بأنه ربما يكون ثابت بن قيس بن شماس، فهو الذي يدعى عادة "خطيب الأنصار"، انظر: فتح الباري، لابن حجر، ١٥٧/١٢.

(٢) الدَّافّةُ: القوم يجدبون فيمطرون، دَفُّوا يَدِفُّون. ودفَّت دافَّة أي أتى قومٌ من أهل البادية قد أُقْحِمُوا، وقال ابن دريد: هي الجماعة من الناس تُقبِل من بلد إلى بلد. انظر: لسان العرب، لابن منظور، طبعة دار المعارف، تحقيق عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم الشاذلي، الطبعة الأولى، د.ت، مادة (دفف) ١٣٩٦/٣، وقال ابن حجر: "بالدال المهملة والفاء: أي عدد قليل، وأصله من الدف، وهو السير البطيء في جماعة"، فتح الباري، لابن حجر،١٥٧/١٢.

(٣) صوب الحافظ بن حجر العسقلاني في هذا الموضع ما ذكره الإمام ابن ماجه من أن هذا القول هنا لعمر بن الخطاب بزيادة:" قال عمر فإذا هم يريدون..."، مؤكداً أن هذا وهمٌ من ابن ماجه، وأن الكلام هنا ليس لعمر، بل هو لخطيب الأنصار. انظر: المصدر السابق، ١٥٧/١٢.

(٤) يختزلونا: قال ابن حجر: "يقتطعونا عن الأمر وينفردوا به دوننا، وقال أبو زيد: خزلته عن حاجته: عوقته عنها، والمراد هنا بالأصل: ما يستحقونه من الأمر"

(٥) يحضنونا: يخرجونا، قال ابن حجر: " ووقع في رواية المستملي: أي يخرجونا، قاله أبوعبيد، وهو كما يقال: حضنه واحتضنه عن الأمر: أخرجه في ناحية عنه واستبد به أو حبسه عنه".

(٦) الحدّ: الحِدةُ والجرأة.

من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكتَ. فقال: ما ذكرتم فيكم من خيرٍ فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً. وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيَّهما شئتم. فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح، وهو جالسٌ بيننا. فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أُقَدّمَ فتضرب عنقي لا يقرّبني ذلك من إثمٍ أحبَّ إليَّ من أن أتأمَّرَ على قومٍ فيهم أبو بكر، اللهمَّ إلا أن تُسوّلَ إليَّ نفسي عند الموت شيئاً لا أجدهُ الآن. فقال قائلٌ من الأنصار: أنا جُذَيْلُها المُحَكَّك، وعُذَيقُها المرجَّب[1]، منَّا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى فَرِقْتُ من الاختلاف، فقلتُ: أُبسُطْ يدك يا

(١) ينسب هذا القول إلى الصحابي الجليل الحباب بن المنذر رضي الله عنه، ذكره الإمام أحمد في المسند، حديث رقم(٣٩١):٣٣١/١، وشرح الشيخ أحمد شاكر قول الحباب بن المنذر، بقوله:" الجذيل: العود الذي ينصب للإبل الجَرْبَى لتحتك به، وهو تصغير تعظيم، والمحكك: الذي يُحتَكُّ به كثيراً، أراد أنه يستشفى برأيه، كما تستشفي الإبل الجربى بالاحتكاك بهذا العود، وقيل: أراد أنه شديد البأس صلب المكسر، والعُذَيقُ هو النخلة، والمرجب: من رَجَب النخلة إذا جُعل لها ما تعتمدُ عليه لكثرة حملها، يعني أنه يعتمد عليه لكفاءته وجودة رأيه. المصدر السابق٣٢٧/١-٣٢٨. وانظر: منهاج السنة النبوية، لابن تيمية:٤٧٦/٥، الهامش ٣، والبداية والنهاية، ابن كثير:٢١٦/٥، وفيه قال عمر بن الخطاب: فقلت لمالك: ما يعني: أنا جُذيلُها المُحَكَّك، وعُذيقُها المرجَّب؟ قال: كأنه يقول: أنا داهيتها. وفي الكامل في التاريخ، ابن الأثير:١٩١/٢ زيادة في كلام الحباب هي: "أنا أبو شبل في عرينه الأسد، والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة"، وانظر: فتح الباري، ابن حجر،١٥٨/١٢، والتاريخ الإسلامي مواقف وعبر، عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ودار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ٢٢/٥.

أبا بكر، فبسط يده، فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعَتْه الأنصار، ونزونا على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عباده. فقلت: قتل الله سعد بن عبادة. قال عمر: وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر؛ خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعةً، أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإما بايعناهم على ما لا نرضى، وإما أن نخالفهم فيكون فساداً..."[1].

وتختم كتب الحديث أخبار ما دار في سقيفة بني ساعدة بخطبة أبي بكر التي يبين فيها للناس زهده بالخلافة، وسبب قبوله بها، وذلك في ما رواه الحاكم(ت٤٠٥هـ) في مستدركه بإسناده من حديث إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف قال: "ثم قام أبو بكر فخطب الناس واعتذر إليهم، وقال: والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة قط، ولا كنت فيها راغباً ولا سألتها الله عز وجل في سر وعلانية، ولكني أشفقت من الفتنة ومالي في الإمارة من راحة، ولكن قُلِّدتُ أمراً عظيماً مالي به من طاقة ولا يد إلا بتقوية الله عز وجل، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني اليوم..."، وعقب عليه الحاكم بقوله: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه"، وأقره

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، كتاب الحدود، حديث رقم (٦٨٣٠):١٢/١٤٨-١٤٩، واللفظ له، وورد في مسند الإمام أحمد بطوله بتغيير في بعض الصيغ، حديث رقم (٣٩١)١/٣٢٧-٣٣١. وورد بطولة بصيغ متقاربة في: تاريخ الرسل والملوك، للطبري:٣/٢٠٣-٢٠٦، والكامل في التاريخ، ابن الأثير:٢/١٨٨-١٨٩.

الذهبي(ت٧٤٨هـ)[١] وهذه الخطبة يدرجها بعضهم ضمن ما قيل ذلك اليوم تحت السقيفة، يوم الإثنين ولم تكن ذات صلة بما قيل في خطبة اليوم التالي حيث البيعة العامة.

بينما نجد بعضاً من كتب التاريخ في عرضها ما دار من محاورات وسجالات تحت السقيفة تركز على تفاصيل تاريخية خارج إطار الحوار الذي دار، وتذهب للتدقيق في من خالف من الأنصار أو من المهاجرين بيعة أبي بكر، أو تأخر عنها كما هو الحال في حديث الطبري(ت٣١٠هـ) المطول عن ذلك[٢]، وكذا مقدمات ابن الأثير(ت٦٣٠هـ) عن أخبار يوم السقيفة وما سبقه وما تلاه من نقاشات[٣]، أو نجد بعضها –كتب التاريخ– تصلها بما دار من حوارات بخصوص بيعة أبي بكر في اليوم التالي، ومن هنا ظهر شيء من التداخل في الترتيب الزمني عند بعض المؤرخين، ومن ذلك صنيع الحافظ ابن كثير(ت٧٧٤هـ) رحمه الله في سياق حديثه عن إجماع الصحابة على بيعة أبي بكر رضي الله عنه.[٤].

على أن ابن كثير(ت٧٧٤هـ) كان قد أورد صيغاً كثيرة في حديثه عن يوم السقيفة تحدد الفوارق بين يوم السقيفة حيث البيعة الخاصة يوم الإثنين ويوم

---

(١) المستدرك على الصحيحين، الإمام الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م: ٣/٧٠.

(٢) انظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢٠٧-٢١٠.

(٣) انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق عمر بن عبد السلام تدمري: ٢/١٨٧.

(٤) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير:٥/٢١٨

البيعة العامة وهو اليوم التالي أي الثلاثاء، فمن ذلك قوله: "قلت كان هذا في بقية يوم الإثنين فلما كان الغد صبيحة يوم الثلاثاء اجتمع الناس في المسجد فتممت البيعة من المهاجرين والأنصار قاطبة، وكان ذلك قبل تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم"(١)، وفي موضع آخر قال معلقا على طريقة مبايعة بعض الصحابة لأبي بكر:" وفيه فائدة جليلة وهي مبايعة علي بن أبي طالب إما في أول يوم أو في اليوم الثاني من الوفاة..."(٢).

وتفرد المؤرخون برواية الحوارات التي دارت بين الأنصار أنفسهم سواء أكانت قبيل وصول المهاجرين إلى السقيفة، أو بعد وصولهم، فمما دار من حوارات في السقيفة قبيل وصول المهاجرين — حسب المؤرخين–الخطبة التي ألقاها نيابة عن سعد بن عبادة ابنه، وهي التي سيتكئ عليها لاحقا رواة الأدب وجامعوه، وصيغتها عند ابن الأثير(ت٦٣٠هـ) في تاريخه: "وقال أبو عمرة الأنصاري لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم، اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وأخرجوا سعد بن عبادة ليولوه الأمر، وكان مريضاً، فقال بعد أن حمد الله: يا معشر الأنصار، لكم سابقةٌ، وفضيلةٌ ليست لأحد من العرب، إنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم لَبِثَ في قومه بضْعَ عشرة سنةً يدعوهم، فما آمَنَ به إلا القليل، ما كانوا يقدرونَ على منعه، ولا على إعزاز دينه، ولا على دفع ضيم، حتى إذا أراد بكم الفضيلَةَ ساقَ إليكم الكرامة، ورزقكم الإيمان به وبرسوله، والمنعَ له

(١) المصدر السابق:٥/٢١٧.

(٢) المصدر السابق:٥/٢١٩. وفيه رد على مزاعم الرافضة الذين يزعمون أن عليّاً –رضي الله عنه– لم يبايع أبا بكر علناً.

ولأصحابه، والإعزاز له ولدينه، والجهاد لأعدائه، فكنتم أشَدَّ الناس على عدوه ، حتى استقامت العرب لأمر الله طَوْعاً وكَرْهاً، وأعطى البعيدُ المقَادَةَ صاغِراً ، فدانت لرسوله بأسيافكم العربُ، وتوفاه الله وهو عنكم راضٍ قرير العين، اسْتَبِدُّوا بهذا الأمر دون الناس، فإنه لكم دونَهم. فأجابوه بأجمعهم أن قد وُفِّقْتَ وأصبتَ الرَّأي، ونحن نولّيك هذا الأمر، فإنك مَقْنعٌ ورضا للمؤمنين"(١).

كما وردت حوارات لاحقة لخطبة سعد بن عبادة –رضي الله عنه– فقد شكك بعض من سمع حديثه في قبول المهاجرين، وحصل بينهم ترددٌ للكلام وأخذٌ وعطاء، فكان هذا الحوار الذي أورده المؤرخون دون سواهم، وهو بصياغة ابن الأثير:" ثم إنهم ترادوا الكلام فقالوا: وأبى المهاجرون من قريش وقالوا نحن المهاجرون وأصحابه الأولون وعشيرته وأولياؤه! فقالت طائفة منهم: فإنا نقول منا أمير ومنكم أمير، ولن نرضى بدون هذا أبداً. فقال سعد: هذا أول الوهن"(٢). ومن الحوارات التي دارت بين الأنصار أنفسهم بعد وصول المهاجرين إلى السقيفة، تلك التي دارت بين الأوس والخزرج، وذلك حين أيقن الأوس أن الخزرج ربما يذهبون بالمجد العظيم حين تكون الخلافة فيهم، فراحوا يتراجعون عن تأييد سعد بن عبادة الخزرجي، يقول ابن الأثير(ت٦٣٠هـ):" ولما رأت الأوس ما صنع بشير وما تطلب الخزرج من تأمير سعد، قال بعضهم لبعض،

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير٢/١٨٩-١٩٠.

(٢) المصدر السابق:٢/١٩٠.

وفيهم أسيد بن حضير، وكان نقيباً: والله لئن وَلِيَتْها الخزرج مرَّة لا زالت[1] لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر. فبايعوه، فانكسر على سعد والخزرج ما أجمعوا عليه، وأقبل الناس يبايعون أبا بكر من كل جانب"[2]

في حين أن كتب السير والطبقات راعت ذلك واهتمت بالتحديد الزمني للفصل بين اليومين يوم السقيفة وما يتصل ببيعة الخاصة، وبيعة اليوم التالي حيث بيعة العامة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما عند ابن إسحاق (ت١٥١هـ).[3].

واهتمت كتب السير والطبقات ببعض التفاصيل المتعلقة بالأقوام والقبائل وما يختزل أحداثاً مؤثرة في توجيه الحوارات والسجالات التي دارت بين المهاجرين

---

(١) ورد الفعل الماضي منفيا بـ "لا" على وجه الإخبار والسرد، وهو استعمال قديم، يمكن أن نفسر به جواز أن يكون الإخبار باستعمال "لا" مع الماضي، ويكون قوله تعالى في سورة البلد (فلا اقتحم العقبة) إخبارا وليس دعاءً. والحال أن القاعدة التي استقرت في النحو العربي البصري خاصة توجب أن يكون دخول "لا" على الماضي مفيدا للدعاء أي إنشاءً إذا استعمل مرة واحدة، ولم يعطف عليه مضارع منفي، فهذه الرواية يمكن أن تدل على أن هذا الاستعمال لغة من لغات العرب في الحجاز في ذلك العصر.

(٢) المصدر السابق:٢/١٩١-١٩٢. والخبر بصيغ أكثر تفصيلا في: تاريخ الرسل والملوك، الطبري٣/٢٢٢.

(٣) انظر :السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق عمر بن عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م:٤/٣١١-٣١٢. علماً بأن هذا النص أورده كثير من المؤرخين، ومنهم الطبري، انظر: تاريخ الرسل والملوك: ٣/٢١٠.وجميعهم في ذلك عيال على ابن إسحاق.

والأنصار، إذا نجد مثالا على ذلك ما أورده ابن سعد(ت٢٣٠هـ) في طبقاته في حديثه عن بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قوله: "أن النبي صلى الله عليه وسلم لما توفّي اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة، فأتاهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح، قال: فقام حُبابُ بن المنذر وكان بدرِيّاً فقال: مِنَّا أميرٌ ومنكم أميرٌ، فإنا والله ما نَنْفَسُ هذا الأمرَ عليكم أيها الرهط، ولكنَّا نخاف أن يليها أقوامٌ قتلنا آباءهم وإخوتهم. قال: فقال له عمر: إذا كان ذلك فمُتْ إن استطعت، فتكلم أبو بكر فقال: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، وهذا الأمر بيننا وبينكم نصفين كقَدّ الأُبْلُمَة، يعني الخوصة، فبايعَ أول الناس بشيرُ بن سعد أبو النعمان"(١).

إنَّ خبر يوم السقيفة يصاغ بطريقة تختزل الحوارات، وتقدم بعض المبررات لتخوف الأنصار من إمارة المهاجرين لهم، وأن أبا بكر أقنعهم بجعلهم وزراء، وهذه الطريقة التي سلكها ابن سعد(ت٢٣٠هـ) تصور نمطاً من مقصدية كتاب السير وبعض الأخباريين في توجيه الخبر نحو المسار الذي يخدم منهجية التأليف لديهم، وابن سعد(ت٢٣٠هـ) كان اهتمامه منصباً على أنَّ تخوف الأنصار لم يكن تخوفاً مصلحياً ضد المهاجرين، بل كان تخوفاً من ردود أفعال العصبيات القبلية التي ما زالت تسود الحياة الاجتماعية في الجزيرة العربية، أي تخوفاً من تولي بعض القبائل الأمر دونهم، وكذا على توضيح منزلة أبي بكر -رضي الله

(١) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد الزهري، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ١٦٦/٣-١٦٧.

عنه- بين الصحابة أجمعين وتأثيره الكبير عليهم، واستحقاقه للخلافة، بغض النظر عن تلك التفاصيل المؤثرة والحوارات الطويلة التي ساقها المحدثون بخصوص يوم السقيفة. ومما يستحسن ذكره هنا أن ابن سعد(ت٢٣٠هـ) في طبقاته عند حديثه عن سعد بن عبادة-رضي الله عنه- أورد مقطعا مختصراً فيه الحديث الطويل الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه الوارد في صحيح البخاري بخصوص ما دار في سقيفة بني ساعدة.

ويلحظ من طريقة سرده تحديده الواضح لأجناسية ما دار تحت السقيفة، بقوله:" وبلغ الخبر أبا بكر وعمر، رضي الله عنهما، فخرجا حتى أتيناهم ومعهما ناس من المهاجرين، فجرى بينهم وبين الأنصار كلامٌ ومحاورة ..."[1]، فهو هنا يحدد بأن ما حدث بين الفريقين كان حواراً ولم يكن خطباً.

أما مدونات الأدب ومجاميعه فذهبت لتجمع روايات المحدثين وكتاب السير والمؤرخين وتصوغ منها سردية جديدة، في هيئة نصوص أدبية مكتملة، وقد أسمتها بعض تلك المصادر خطباً، كما هو الحال في " البيان والتبيين" للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، و"عيون الأخبار" لابن قتيبة(ت٢٧٦هـ)، و"العقد الفريد" لابن عبدربه(ت٣٢٨هـ)، و"جمهرة خطب العرب" لأحمد زكي صفوت(ت١٣٤٥هـ)؛ وذلك من خلال تجميعهم لنتف من سجالات يوم السقيفة وحواراته، وتقديمها في شكل خطب مؤلفة لنص متكامل، كأنما هي قصة واحدة، فابن قتيبة(ت٢٧٦هـ) أورد خطبة أبي بكر بصيغة مختلفة نوعا ما

(١) المصدر السابق:٣/٥٦٩.

عن سائر المصادر- وإن ورد أصلها هنا أو هناك - ووافقه فيها ابن عبد ربه(ت٣٢٨هـ) في "العقد الفريد"، باختلاف يسير، ونص الخطبة عند ابن قتيبة(ت٢٧٦هـ)، هو: "أراد عمر الكلام، فقال له أبو بكر: على رسلك. نحن المهاجرون أول الناس إسلاماً، وأوسطهم داراً، وأكرمهم أحساباً، وأحسنهم وجوهاً، وأكثرُ الناس ولادةً في العرب، وأمسُّهم رَحِماً برسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلمنا قبلكم، وقُدِّمنا في القرآن عليكم، فأنتم إخواننا في الدين، وشركاؤنا في الفيء، وأنصارنا على العدو، آويتُم وواسَيْتُم، فجزاكم الله خيراً؛ نحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش، وأنتم محقوقون ألاّ تَنْفَسُوا على إخوانكم من المهاجرين ما ساق الله إليهم"(١).بينما عند الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في "البيان والتبيين"(٢) قد قدم كلام الحباب بن المنذر الذي فيه:" أنا جذيلها المحكك..." على خطبة أبي بكر، على أنَّ جل المصادر قد أوردت كلام الحباب بعد كلام أبي بكر-رضي الله عنه-.

ويروي الجاحظ(ت٢٥٥هـ) نصَّاً مهماً، لم يرد عند أحد سواه، وهو قوله:" ...عيسى بن يزيد قال: قال أبو بكر رحمه الله: "نحن أهلُ الله، وأقرب الناس

(١) عيون الأخبار، ابن قتيبة، شرح وتعليق يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م:٢/٢٥٤، والعقد الفريد، ابن عبد ربه، شرح أحمد أمين وأحمد الزين وإبرهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى ١٩٤٩-١٩٦٥م:٤/٥٨-٥٩.

(٢) انظر البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، د.ت، ٢/٢٩٦-٢٩٧.

بيتاً من بيت الله، وأمسهم رحماً برسول الله صلى الله عليه وسلم. إن هذا الأمر إن تطاولت له الخزرجُ لم تُقصِّر عنه الأوس، وإن تطاولت له الأوسُ لم تُقصِّر عنه الخزرج. وقد كان بين الحيين قتلى لا تُنْسَى، وجَرْحَى لا تُداوَى. فإنْ نَعَقَ منكم ناعقٌ فقد جلس بين لَحَيَيْ أسد، يَضْغَمه المهاجريُّ، ويجرحُه الأنصاري" قال ابن دَأبٍ: فرماهم والله بالمسكِتة"(١).

واللافت للنظر أن كتب الأدب ومجاميعه أوردت صيغ خطبة سعد بن عبادة- رضي الله عنه- بين يدي من حوله من الأنصار قبل وصول الخبر إلى المهاجرين، وهي الصيغ الواردة عند المؤرخين، ولكن جاءت في كتب الأدب بتعديل كبير في الصيغ بما يتناسب مع طبيعة تآليفهم، وسياقات السرد لديهم، ونص خطبة سعد بن عبادة الوارد في "جمهرة خطب العرب"، هو:" لما قُبض النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا نُوَلّي هذا الأمر بعد محمد عليه الصلاة والسلام سعدَ بن عبادة، وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض، فلما اجتمعوا قال لابنه أو بعض بني عمه: إني لا أقدر لشكوايَ أن أُسمعَ القوم كلهم كلامي، ولكن تَلَقَّ مني قولي فأسْمِعْهُمُوه، فكان يتكلم ويحفظ الرجل قوله: فيرفع صوته، فيسمع أصحابه، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: يا معشر الأنصار، لكم سابقةٌ في الدين، وفضيلةٌ في الإسلام، ليست لقبيلة من العرب، إنَّ محمداً عليه الصلاة والسلام لَبِثَ بضْعَ عشرة سنةً في

(١) المصدر السابق: ٢/٢٩٧-٢٩٨، وعرف عبد السلام هارون بابن دأب، وذكر أنه: عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب، كان يضع الحديث والشعر وأحاديث السمر، روى عنه محمد بن سلام الجمحي انظر: البيان والتبيين: ١/٣٢٤.

قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن، وخَلعِ الأندادِ والأوثان، فما آمَنَ به من قومه إلا رجالٌ قليل، وما كانوا يقدرونَ على أن يمنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أن يُعِزُّوا دينه، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضَيْماً غُمُّوا به، حتى إذا أراد بكم الفضيلَةَ ساقَ إليكم الكرامة، وخصكم بالنعمة، فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله، والمنعَ له ولأصحابه، والإعزاز له ولدينه، والجهاد لأعدائه، فكنتم أشَدَّ الناس على عدوه من غيركم، حتى استقامت العرب لأمر الله طَوْعاً وكَرْهاً، وأعطى البعيدُ المقَادَةَ صاغِراً داخِراً، حتى أثخنَ الله عزَّ وجلَّ لرسوله بكم الأرضَ، ودانت بأسيافكم لهُ العربُ، وتوفاه الله وهو عنكم راضٍ، وبكم قريرُ عينٍ، اسْتَبِدُّوا بهذا الأمر دون الناس، فإنه لكم دونَ الناسِ. فأجابوه بأجمعهم أن قد وُفِّقْتَ في الرَّأي، وأصَبْتَ في القول، ولن نَعْدُوَ ما رَأَيْتَ، نُوَلِّيكَ هذا الأمر، وأتى عمرَ الخبرُ، فأقبل إلى أبي بكر فقال: أما علمتَ أنَّ الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، يريدون أن يولوا هذا الأمر سعدَ بنَ عبادة؟ وأحْسنُهُمْ مقالةً من يقول: مِنَّا أميرٌ ومن قريشٍ أميرٌ. فمضيا مسرعين نحوهم، فلقيا أبا عبيدةَ بن الجراح فتماشَوْا إليهم ثلاثَتُهُم، فجاءوا وهم مجتمعون، فقال عمر: أتيناهم وقد كنت زويت كلاما أردت أن أقوم به فيهم، فلما أن دفعت إليهم ذهبت لأبتدئ المنطق. فقال لي أبو بكر: روَيداً حتى أتكلَّم، ثمَّ انطق بَعْدُ بما أحبَبْتَ، فنطق. فقال عمر: فما شيءٌ كنتُ أردتُ أن أقوله إلا وقد

أتى به أو زاد عليه..."[1]. ثم أعقبه أحمد زكي صفوت(ت١٣٤٥هـ) بما تكلم به أبو بكر-رضي الله عنه- من حديث مطول، وبيان مفصل في أحقية المهاجرين بالأمر، وكذا ما للأنصار من فضل.

فالنص بهذه الصيغة من حديث سعد بن عبادة- رضي الله عنه- ورد أصله عند كبار المؤرخين كالطبري(ت٣١٠هـ)[2] وابن الأثير(ت٦٣٠هـ)[3]، بتعديلات جوهرية لا تخفى لأدنى وهلة، وأيسر مقارنة، بينما لم يرد هذا النص ولا غيره من النصوص المشابهة عند المحدثين ولا كتاب السير والطبقات، الذين كانوا يبدَؤون رواية أخبار وحوارات سقيفة بني ساعدة من لحظة وصول أبي بكر وعمر ومن معهما من المهاجرين- رضي الله عنهم- إلى السقيفة، بل ورد الحديث عنها مجملا، كما مر من قبل.

ولا يفوتنا هنا الحديث عن مقولة الحباب بن المنذر-رضي الله عنه- التي سارت بها الركبان، وأضحت مثلاً من الأمثال، ودارت بين المصادر المختلفة بإضافات متنوعة، وهي قوله:" أنا جُذَيْلُها الُمحَكَّك، وعُذَيقُها المرجَّب"، فالميداني(ت٥١٨هـ) أورده في "مجمع الأمثال"، وأحال إلى أبي عبيد(ت٢٢٤هـ) إشارته إلى أن الحباب هو أول من قاله، بقوله: "قال أبو عبيد: هذا قول الحباب

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٥٢/١٩٣٣م:١/٦١-٦٢.

(٢) تاريخ الأمم والملوك، الطبري:٣/٢١٨-٢١٩.

(٣) الكامل في التاريخ، ابن الأثير:٢/١٨٩-١٩٠. وسبق إيراد نص حديث سعد للأنصار في هذا البحث عند بيان ما تميزت به طريقة عرض المؤرخين.

بن المنذر بن الجموح الأنصاري، قاله يوم السقيفة منذ بيعة أبي بكر"[١]، ومر بنا من قبل أن ابن الأثير أضاف في صياغة خبر الحباب كلاما بعد المثل وهو قوله: "أنا أبو شبل في عرينه الأسد، والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة"[٢]، كما سبقه الطبري(ت٣١٠هـ) حيث أضاف كلاما طويلاً للحباب، منه قوله:" يا معشر الأنصار أملكوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا واصحابه، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموه فأجلوهم عن هذه البلاد...فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان، ممن لم يكن يدين، أنا جذيلها... "[٣] وهنا نجد عند الأدباء زيادات متنوعة، تتلو مقولة الحباب تلك التي غدت مثلا، فالجاحظ يرويها هكذا:" أنا جُذَيْلُها الُمحَكَّك، وعُذَيقُها المرجَّب، إن شئتم كررناها جذعة... فإن عمل المهاجريُّ شيئاً في الأنصاري ردَّ ذلك عليه الأنصاريُّ، وإن عمل الأنصاريُّ شيئاً في المهاجري ردَّ عليه المهاجري"[٤].

وقد اعتمد البحث على مدونات الأدب بخاصة "جمهرة خطب العرب" لاكتمال النصّ واستيفائه خصائص الأدبيّة التي سهّلت على الباحث كثيرًا

(١) مجمع الأمثال، أبو الفضل الميداني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م:١/٥٣.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير:٢/١٩١.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢٢٠. ورواية الطبري في ٣/٢٢٣:" أنا أبو شبل في عِرّيسة الأسد..."، وهي الأقرب للصواب، وفي المثل: كمبتغي الصيد في عريسة الأسد، والعريس: الشجر الملتف يكون مأوى للأسد.

(٤) البيان والتبيين، الجاحظ: ٢/٢٩٦-٢٩٧.

استكناه الأفعال الإنجازيّة والكشف عن الخصيصة التداولية الكامنة في النصوص؛ وذلك لما بذله أحمد زكي صفوت من جهد بيّن في تجميع هذه الأقوال والحوارات التي جاءت شذرات هنا وهناك، وعبارات متناثرة في مدونات السنة وكتب التاريخ والسير، كلٌّ يرويها بحسب حاجته إلى النصّ، وبحسب الوجهة التي يختارها، بينما مدونات الأدب ولاسيما "جمهرة خطب العرب" راعت الجوانب الأدبيّة لهذه الحوارات والمساجلات، وهي التي حفزت الباحث على خوض التجربة التداوليّة التي يرجو بها أن يضيف جديدًا إلى قراءة هذه الأخبار والحوارات.

ثانياً: مدونة يوم السقيفة، هوية النص ومقصديته:

من الأهمية بمكان محاولة تصنيف النشاط القولي الذي تمَّ في مجتمع المدينة بين أفراد الطبقة المحيطة بالرسول صلى الله عليه وسلم غداة وفاته، ومعرفة أين يمكننا أن نُنزّل تلك الحوارات التي دارت بين المهاجرين والأنصار تحت سقيفة بني ساعدة، وما المكان الأنسب لها من مقامات القول الشفهي والسلم الأجناسي في النثر العربي القديم؛ لأنه "لا يمكن فهم نص أدبي فهماً حقيقياً دون إدراجه ضمن دائرة أجناسية معينة، ومقاربته مقاربة أجناسية"(١)، وبمحاولة وضع نصوص مدونة يوم السقيفة في مكانها الأنسب من خارطة الأجناس الأدبية فمن المناسب القول بأن الدرس البلاغي القديم أو الحديث لم يقصّر في الحديث عن الخطابة والأجناس القولية المتصلة بها من محاورات ومساجلات ومناظرات ومنافرات وبيان ما بينها وبين الشعر من فوارق، وكذا ما بينها وبين الأجناس الأخرى من صلات وروابط، ضمن السلم التصنيفي للأجناس، ووفق المعايير التصنيفية المتمثلة في معيار الصياغة ومعيار المضمون ومعيار التركيب،(٢) وفي نظري أن اتجاه سعيد يقطين في تحديد الأجناس والأنواع الأدبية هو الأقرب إلى الذائقة النقدية العربية، وهو يتناغم معها من خلال مقولة النمط التصنيفية،

---

(١) نظرية الأجناس الأدبية في التراث النثري، جدلية الحضور والغياب، عبد العزيز شبيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة، تونس، ودار محمد علي الحامي، صفاقس، الطبعة الأولى،٢٠٠١م:٣٢.

(٢) انظر الأسس التي تم تقسيم الأجناس على ضوئها في القديم والحديث، وكذا أسس النظرية الأجناسية الغربية في: الأجناس الوجيزة في النثر العربي القديم، جميل بن علي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة، جامعة سوسة، تونس، الطبعة الأولى،٢٠١٣م:٤٢-٤٥.

إذ ضمَّنها كل ما هو مشترك من صفات الكلام بصرف النظر عن الجنس والنوع ، ويستدعي الباحث مفهوم الصيغة، وهما صيغتان" القول والإخبار"؛ فالمرسل في صيغة القول يبلغ بما في نفسه أو يشرك المخاطب في القول، ويتجلى ذلك في المخاطبات والمحاورات والمراسلات والخطب والمساجلات، أما في صيغة الإخبار فيتم الإبلاغ عن شيء أو أمر لإعلام المخاطب بما وقع، ويبرز في الوقائع والحكايات والأخبار والتواريخ[١] وهذا النوع من القول الذي بين أيدينا مما يتصل بحوارات يوم السقيفة سواء في شكله العام من حيث هو خطابة مشاجرية، أو من حيث جنسه الفرعي من حيث هو خطاب محاورات أو مساجلات قولية أو مناظرات مبنية على تبادل الرأي بين فريقين متحاجّين، نظام خطاب يقترب كثيراً من نظام الخطب التقليدية المألوفة، يشترك معها في أمور ويفترق عنها في أمور، "وإذا كنا نُقرُّ بأن الشكل مكون أساسي من مكونات الأجناس الأدبية على اختلافها وتنوعها، فإن الجنس في حد ذاته مفهوم مركب منفتح، ما أجمعت الدراسات على حدود بيّنة له، بل إن السمات الأجناسية تتغير بتغير العصر وتختلف باختلاف الأثر، ولا شك في أن مفهوم الجنس متصل بشكل النص ونشأته، وطريقة تلقيه وتقبله، فالجنس الأدبي محكوم بإكراهات لحظة النشأة ومشروط بزمان التلفظ والإنتاج، مثلما هو مشروط بهيئة معلومة وطبيعة خاصة ومحكوم بطقوس تقبّل محددة"[٢] ومن هنا فلا

(١) انظر: الكلام والخبر: مقدمة للسرد العربي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٩٧: ١٩٠

(٢) الأجناس الوجيزة في النثر العربي القديم، جميل بن علي:١٠.

يمكن إطلاق مصطلح الخطب على تلك المدونة، حتى وإن سماها كثيرون خطباً[١]، ومن المجازفة-كذلك- الجزم بتسميتها محاورات أو حوارات، فما بين يدينا من نصوص تمثل خطاباً له مقصديته الخاصة، ومنازعه المنتقاة، وتجنيسه الخاص، وتلك المقاصد لا تكاد تخرج عن مقصدين رئيسين، أولهما: الاستمالة والإغراء، وثانيهما: الإقناع والردع والتهديد، والأول منهما هو الغالب، وهما في هذا النوع من الخطاب الذي بين أيدينا في مدونة يوم السقيفة ظاهرٌ بيّن، وهما منزعان قليلاً ما يجتمعان، بل من النادر حدوث ذلك، إذ الصحابة- رضوان الله عليهم- من الفريقين، المهاجرين والأنصار في محاوراتهم وسجالاتهم ذلك اليوم كان يستميل كلٌّ منهما الآخر، وفي الوقت ذاته يهدّدُ بما يملك من مقومات وفضائل ومكانة، وقد وجدنا أرسطو(ت ٣٢٣ق.م) يشير-قديماً- إلى أن الخطابة: هي معالجات متنوعة في آن واحد، وربما تقود بعض حلقاتها إلى بعض، فيقول:" مهمة الخطابة هي معالجة موضوعات تستوجب المناقشة، أي موضوعات ليس لحلّها قواعد فنية(علمية)، وهي موضوعات تتصل بالنسبيات والمشهورات من الآراء غير الضرورية، كما هو الأمر في البرهان والمنطق؛ لأنها تعالج هذه الموضوعات أمام جمع من المستمعين غير قادر على الاستدلال التدريجي المتصل الحلقات، وغير قادر على تتبع الدليل البعيد المأخذ"[٢]، وفي النقد العربي القديم نبه إلى هذا مبكراً كثيرون، من أبرزهم ابن

(١) من هؤلاء أحمد زكي صفوت، في: جمهرة خطب العرب:١/٦١-٦٥.

(٢) الخطابة، لأرسطو، ترجمه وقدم له وحقق نصوصه إبراهيم سلامه، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٥٩م: ١٠٤.

وهب الكاتب(ت ٣٣٥هـ) بقوله: " والخطب تستعمل في إصلاح ذات البين، وإطفاء نائرة الحرب... وفي الاحتجاج على المخالفين..."[١].

ومن خلال مقولة النمط الأجناسية، ومفهومي الصيغة(القول والإخبار) وربطها بتعريفات التداولية في الدرس اللساني الحديث، وتكرار النظر في تطبيقاتها العربية سواء تلك التي انتابتها الحيرة في التحديد الدقيق لميدانها في مقابل فروع اللسانيات الأخرى، كتعريف محمد مفتاح حين عرفها بما بينها وبين الحقول الاجتماعية من تداخل، قائلا:" التداولية تتناول مظاهر عديدة بوجهات نظر متنوعة، ولكنها تكاد تتفق على أن اللغة اجتماعية يمارسها أناس يعيشون في مجتمع..."[٢] مروراً بالتعريفات العربية التي تقربها من التفكير التداولي الغربي بربطها بمفهوم إلقاء القول، وبإنشاء القول، أو الوظيفة الإحالية الذاتية كما في القاموس الموسوعي للتداولية[٣]، وصولاً إلى التعريفات التي تجعل التداولية حقلا معرفيا يهتم بالحركة الدلالية التي تحدثها الخطابات، وهي تحول اللغة إلى أعمال قولية بحسب حاجة التواصل بين الأفراد والمجموعات، متمثلة في الحقل المعرفي الذي تنظر من خلاله علوم اللسان عامة، والتواصل والخطاب خاصة إلى اللغة

---

(١) البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب، تحقيق أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، ط العاني، بغداد،١٩٦٧م :١٩١.

(٢) تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناص، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م:١٣٧-١٣٨.

(٣) القاموس الموسوعي للتداولية، بحث:" التداولية واللسان والعرفان" تعريب شكري المبخوت، المركز الوطني للترجمة، تونس،٢٠١٠م:٢٤.

بما هي نشاط فعلي[1]، نجد أن مدونة يوم السقيفة من خلال مقولات التجنيس العربية وكذا المقولات الكبرى للتداولية لدى محاولة وضعها في مكانها الدقيق من خريطة التجنيس الأدبي، فالأقرب أن يقال هي من الأجناس الخطابية الكبرى؛ أو من أجناس الخطابة المجلسية؛ فالخطابة منذ أن فرق أرسطو بين أنواعها ومقاصدها لا تكاد تخرج عن ثلاثة أجناس كبرى، هي: الخطابة الحملية ويناسبها في الخطابة العربية قسم من الخطابة السياسية التي تحث على الأفعال، وخطابة الجهاد، وثاني هذه الأجناس هو الخطابة الاستدلالية، ويناسبها في الخطابة العربية قسم من الخطابة السياسية ذات المنزع الإقناعي، كخطابة الوفود، وخطابة المناظرات بين الأمويين والخوارج، وأما الجنس الثالث فهو الخطابة القضائية، وهي مما لا محل له في المؤسسة الخطابية القديمة[2]، ولذا فإن أقرب الأجناس التي يمكن لها أن تنتظم حوارات يوم السقيفة هو الخطابة الاستدلالية، التي تتخذ الإقناع منزعا لها، إذ يقوم الخطيب أو المحاور حينها بوظيفة الطبيب النفسي؛ فالإصلاح بين الجماعات في خطابة إصلاح ذات البين عملية ترويضية إقناعية، تتطلب آليات مقامية خاصة، لا تشاركها فيها الأنواع الأخرى، ومن هنا تفطن القدامى إلى متانة الصلة بين الغرض القولي (المقصد)

(١) انظر تفصيل ذلك في: التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراكية، صالح بن الهادي رمضان، منشورات النادي الأدبي بالرياض، والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ/٢٠١٥م:٣١.

(٢) انظر: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، صالح بن رمضان، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس، ودار الفارابي، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م: ٢٨٣.

والعمل القولي المناسب له في مثل هذا، يقول ابن قتيبة(ت٢٧٦هـ):" وليس يجوز لمن قام مقاماً في تحضيضٍ على حرب أو حمالة بدم، أو صلح بين عشائر أن يُقَلِّلَ الكلام ويختصره..."[١]، فالمقام هنا في جملة "قام مقاماً" عند ابن قتيبة هو الأساس المحدد للجنس القولي بل والمسيطر عليه، وبتأمل المقولات التداولية المعاصرة، نجد أن مقولة المقام هذه التي انطلق منها ابن قتيبة في معرض حديثه عن مقامات الخطيب تكاد تكون هي أساس النظرية وأهم دعاماتها، فإن "مقولة المقام- كما عند صالح بن رمضان- مولدة لعامة مستويات تحليل الخطاب التداولي، فهي تنهض على مفهوم مراتب التخاطب، أي أنواع المتكلمين في علاقاتهم بأنواع المخاطبين، وهي أكثر ميلاً ونزوعاً إلى البلاغة التفاعلية القائمة على الإقناع منها إلى بلاغة جمال العبارة وزخرف القول، فالمقام في أي نوع من أنواع الخطاب هو الذي يدفع بالمتكلم إلى اختيار الآليات والأدوات والروابط العاملة على التأثير والاستدراج والإقناع، وذلك حتى ينخرط المخاطب في الاعتقاد في الآراء التي يعتقد المتكلم أنه ينبغي الإقناع بها..."[٢].

فالمقام والمقصدية بما أنهما أساسان متينان في الفهم التداولي، وهما منطلق فهم فن الخطابة في القديم منذ المرحلة الأرسطية، والحديث في البلاغة الجديدة، فهما بقدر توافرهما في هذا الجنس القولي فإنهما يمكّنان من العودة إلى هذه الأدوات التداولية-بمسمياتها الجديدة- لقياس بعض مدونات الأدب النثرية

(١) أدب الكاتب، لابن قتيبة، شرح وتقديم علي فاعور، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الأولى، مصورة عن طبعة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م: "المقدمة" :٢١.

(٢) التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراكية، صالح بن الهادي رمضان:٢٧.

العربية القديمة، التي لم تسلط عليها تلك الآليات، أو تقرب إلى القراء من خلالها.

ثالثاً: الوشائج التداولية بين مقصدية القول والأفعال الإنجازية:

التداوليّة في أبسط تعريفاتها هي دراسة اللغة إبّان العمليّة التواصليّة بين المتخاطبين، وتتألف هذه التواصليّة من جملة تقنيات كأفعال الكلام والاقتضاء والاستلزام الحواريّ ومبادئ التخاطب ومعتقدات المتكلم ومقاصده وغيرها من التقنيات التي ترفد المتكلم بآليات الخطاب، والتي تعين المخاطب على فهم المضمون، وعلى الانخراط في جهات الإقناع، وما تنطوي عليه مقاصد المتكلم في إطار المعتقدات والأعراف والسنن المشتركة بينهما.

والمقصدية مجال من مجالات اهتمام الدرس التداولي في مدرسة فلسفة اللغة بأكسفورد خاصة، وهي المدرسة الفلسفية التحليلية المعروفة بنظرية أفعال الكلام، وقد قدّمها عبد القادر قنيني بقوله: "يصحّ أن نعتبر نظرية أفعال الكلام العامة لأوستين أوّل محاولة جادّة تتجاوز بالفعل الطرح الأرسطي في كتابه الخطابة للقول الخطابي والدراسة البلاغية بإعادة تنظيم منطق اللغة الطبيعية على ضوء الدراسات اللسانية المعاصرة"(١).

وهي تمثّل الأساس في هذه العمليّة التداوليّة التي لا تنهض بها اللغة وحدها؛ إذ إنّه دون معرفة المقاصد لا يمكن أن يستدلّ بكلام المتكلم على ما يريد؛ لأنّ المواضعة – وإن كانت ضروريّة لجعل الكلام مفيدًا – فهي-أيضا – غير كافية؛ إذ لابدّ من اعتبار المتكلم أي قصده، وهي ما أشار إليه عبد القاهر

(١) نظرية أفعال الكلام العامّة – كيف ننجز الأشياء بالكلام"، جون أوستين، ترجمة عبد القادر قينيني: ٦.

الجرجاني(ت٤٧١هـ) بقوله:" إن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"[١]، فالقصد ومواقع المعاني في النفس عند علماء العربيّة القدامى والمحدثين يعدّ من أهمّ مقومات الدلالة[٢]، فالقول عندهم بمراد المتكلم وقصده لا بلفظه[٣]، والكلام وحده غير كافٍ للإفهام وتبليغ الرسالة الخطابيّة التي يبتغيها المتكلم، بل تارة قد يُفهم منه خلاف مقصود المتكلم، وقد شاع بين الناس أنَّ كثيراً من المحبة يضيع بين منطوق لم يقصد ومقصود لم ينطق.

والمقصد هو الذي يوجّه دلالة القول فيكون للقول نفسه بحسب سياق التخاطب والتلفُّظ وبمقتضى وجهة المقصد دلالتان مختلفتان: دلالة إخبار ودلالة إنشاء، فقولنا مثلاً: إن أبا بكر كان ثاني اثنين، يمكن أن تكون له دلالة إخبار لمن لا يعرف التاريخ ومن لم يقرأ أسباب نزول الآية التي ورد فيها هذا الإخبار، وقد يكون له دلالة إنشاء، تعني: بايعوا أبا بكر فهو أحقّ الناس بخلافة الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة،١٤١٣هـ/١٩٩٢م: ٥٤. وانظر تفصيل دلالات ذلك في: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربيّ، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨م: ٢٥٠.

(٢) انظر: مبدأ القصدية والطابع التداوليّ لخطاب الشاطبي الأصولي- نحو تأويل كليّ، عبد الغني بارة، جامعة فرحات عباس – سطيف/ الجزائر:١٩، رابط شبكي للموقع بتاريخ ٢٠٢٠/٧/٩م: rodin.uca.es/xmlui/bitstream/handle/١٠٤٩٨/١٥١٥٩/٠١_Barra.pdf?١

(٣) إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية تحقيق مشهور حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٣هـ: ٥٤/١.

ويعرّف الطاهر بن عاشور(ت١٣٩٣هـ) المقصديّة بأنّها: "هي الأعمال والتصرّفات المقصودة لذاتها، والتي تسعى النفوس إلى تحصيلها بمساعٍ شتّى أو تعول على السعي إليها مثالًا..."[١]؛ ووفقًا لهذا المفهوم التداولي فإنّ وجهة المعنى ترتبط بقصد المتكلم، وهذا هو أساس عمليّة الإبلاغ والتواصل[٢]. ولا تتحقق المقصدية باللغة التي يوظّفها المتكلم وحدها- مع أنّها هي الأساس في العملية التواصلية – وإنّما لابدّ من الأخذ في الحسبان ما بينه وبين المرسل إليه من أعراف وتقاليد وسنن مشتركة؛ ممّا يسهّل على المرسل إليه تلقي الخطاب وتفكيك شفرته، يشير عبدالهادي الشهريّ إلى أهمية المقاصد، وأنّ لها تأثيراً معيناً "في المرسل إليه (المتلقّي) ويتمّ توصيل القصد بين الطرفين عن طريق اللغة في مستوياتها المعروفة، ومنها المستوى الدلالي؛ وذلك بمعرفته للعلاقة بين الدوال والمدلولات وكذا بمعرفته بقواعد تركيبها وسياقاتها"[٣]، ولا شكّ أن اللغة هي الحامل لهذا الخطاب ولكنّها تارة تكون قاصرة دون أداء الرسالة المقصودة من الخطاب، وعندئذ يستكمل المتلقي فهمه مضمون الخطاب استنادًا إلى وعيه

(١) مقاصد الشريعة الإسلاميّة، الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٧م:٥١.

(٢) نحو منظور تداولي لدراسة البلاغة العربية، مشروع لربط البلاغة بالاتصال، خليفة بوجادي، ضمن سجل بحوث ندوة "الدراسات البلاغية: الواقع والمأمول" بكلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مطابع الجامعة، الرياض، :٧٢٠.

(٣) إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م: ١٨٣.

بمقصدية المتكلم وما يرمي إليه؛ وذلك وفقًا للأعراف والتقاليد المشتركة التي تجعلهما متوافقين في العملية التواصليّة رسالة واستقبالًا.

وقد أشار عبد السلام المسدّي إلى هذه المقصديّة ضمن ما سمّاه قانون الانخراط الدلاليّ المشترك، قائلًا: "ونعني به أنّ كلّ كلمة يختارها المتحدّث في سلسلة كلامه تمثّل التزامًا بدلالتها التصريحيّة وبدلالتها الإيحائيّة، وهذا يؤدي إلى الالتزام الدلالي الواعي باختيار ما نختاره من الألفاظ والالتزام الواعي بالإعراض عمّا لا نختاره، وهذا القانون يرجع إلى ما يسمى في علم تحليل الخطاب بمبدأ التموضع، ويعني أنّ المتكلم ما إن يتفوّه بكلامه حتى يكون قد اتخذ موضعه داخل جزء من أجزاء كلامه"(١).

والرأي عندي –بعد أن جرى استعراض أبرز تعريفات التداولية في تطبيقاتها العربية ومن خلال روادها في العالم العربي المتأثرين بروادها الغربيين كشارل موريس وجاك موشلار وآن ريبول وغيرهم– فهي مهما ذهبت بعيداً فإنها تعود إلى المقصدية التي أطلقها أبو الخطابة أرسطو قديما وأشار إليها ابن وهب الكاتب(ت٣٣٥هـ) لاحقاً في النظرية العربية كما سبقت الإشارة إليه–، ويمكن القول بأن نظرية أفعال الكلام العامة لأوستين(ت١٩٦٠م) محاولة من المحاولات الجادة تتجاوز بالفعل الطرح الأرسطي في كتابه الخطابة للقول الخطابي والدراسة البلاغية بإعادة تنظيم منطق اللغة الطبيعية، ومثل صنيعه سارت أبرز الدراسات

(١) نحو وعي ثقافي جديد، عبد السلام المسدي، سلسلة دبي الثقافية، ٢٠١٠م: ٦٤، نقلا عن: المقصديّة في الخطاب السردي المعاصر – الرواية المغربيّة أنموذجًا – قراءة تداوليّة"، نعار محمد، أطروحة دكتوراه، الجزائر، جامعة أبي بكر بلقايد، ٢٠١٣م: ٥٨.

التداولية التنظيرية والتطبيقية والمنطلقة من رؤى مدرسة أكسفورد التي اعتمدت على المقصدية، والتشاكل الجامع، وترابط الكلام رغم ما يعترضه من انقطاعات وثغرات كما عند غرايس وسيرل في كتابه "المعنى والتعبير والمقصدية"، إذ كانت آلياتهما وإجراءاتهما التداولية مفيدة للدرس الأدبي(١).

وأيًّا كان الرأي في نظرية أفعال الكلام فإنّ الشائع في أمرها هو أنّ أوستين أوّل من أسّس لنظريّتها، وفتح بها الباب واسعًا نحو الدراسات التداوليّة؛ لأنّ الأفعال الكلاميّة من أهمّ أركان اللسانيات التداوليّة، وأبرز مباحثها، بل هناك من يعدّ التداولية كلّها مرادفة للأفعال الكلامية؛ ولهذا يعدّ أوستين(ت١٩٦٠م) أب التداوليّة(٢)التي هي بعامة تهتمّ "بتحليل الأفعال الكلاميّة ووظائف المنطوقات اللغويّة، وسماتها في عمليّات الاتصال بوجه عامّ"(٣). وذلك من منطلق أنّ وظيفة اللغة عند المهتمين بالتداوليّة لا تنحصر في الإخبار وعرض المعلومات، وإنّما وظيفتها هي إنشاء الأشياء بالكلمات (in saying doing) وهي ما تحدث من تغيير وتأثير في متلقّي الخطاب(٤).

---

(١) انظر: تحليل الخطاب الشعري، محمد مفتاح:١٤٦.

(٢) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠٢م: ٤١.

(٣) مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، د.ت، د.ت: ٤٩.

(٤) انظر: نظرية أفعال الكلام العامّة –كيف ننجز الأشياء بالكلام–، جون أوستين، ترجمة عبد القادر قينيني: ٧-٨.

وتستندّ نظرية الأفعال الكلاميّة إلى أنّ الاستعمال اللغويّ ليس إصدار سلسلة من الأصوات فحسب، أو نظماً للحروف، بل إنجاز أحداث اجتماعيّة معينة- أيضًا- في الوقت نفسه(١)، والفعل الكلاميّ في أبسط تعريف هو "الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقّق اللغة فعلًا بعينه (أمر، طلب، تصريح، وعد...) غايته تغيير حال المخاطبين"(٢)؛ وبهذا فإنّ الفعل الكلاميّ يُراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد نطقه بمنطوقات معينة، ومن خلال منظومة من الأفعال النطقيّة والإنجازية والتأثيريّة، ولكن أبرز ما يمثّل ويحقق الفعل الكلاميّ هو الفعل الإنجازيّ الذي يكاد يساوي الفعل الكلاميّ، فكلّ فعل إنجازيّ هو فعل كلاميّ طبقًا لنظرية الأفعال الكلاميّة(٣)؛ ولهذا فكثير من الدارسين أطلقوا على الأفعال الإنجازيّة اسم الأفعال الكلاميّة غير آبهين بالنوعين الآخرين.

والإنجاز "طبقًا للمعنى الأصلي للكلمة وهو إنجاز الفعل في السياق، إمّا بمحايثته لقدرات المتكلمين؛ أي معرفتهم وإلمامهم بالقواعد، وإمّا بتوجّب إدماج التمرّس اللساني بمفهوم أكثر تفهُّمًا كالقدرة التواصليّة"(٤) وقد فرّق سيرل بين

(١) علم النصّ، مدخل متداخل الاختصاصات، فاين دايك، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م: ١٣٠.

(٢) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومنيك مانقونو، ترجمة محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م:٧.

(٣) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة:٦٩-٧٢.

(٤) النظرية التداوليّة، المفهوم والتصور، رضوان الرقبي، صحيفة المثقف، العدد ٤٢٦٨، بتاريخ ١٣/ ٥/ ٢٠١٨م: ٢٢.

الأفعال الإنجازيّة المباشرة والأفعال غير المباشرة؛ ذلك بأنّ "الأفعال الإنجازيّة المباشرة هي التي تطابق قوّتها الإنجازيّة مراد المتكلّم أي يكون ما يقوله مطابقًا لما يعنيه، أمّا الأفعال الإنجازيّة غير المباشرة فهي التي تخالف فيها قوّتها الإنجازيّة مراد المتكلّم"(١)، ولاشكّ أنّ التعبير بالفعل الإنجازيّ غير المباشر أكثر جمالًا وتأثيرًا في المتلقي، ولاسيما في أفعال التوجيهات والأفعال الدالة على الأوامر والنهي، فكلّما كان الفعل الكلامي الحاضن لها غير مباشر كان أكثر تأثيرًا في المتلقي؛ لما في ذلك من قيم التأدّب واحترام الآخر، ومثّل سيرل للفعل الإنجازي غير المباشر بقوله:" إذا قال رجلٌ لرفيقٍ له على المائدة: هل تناولني الملح؟ فهذا فعل إنجازي غير مباشر؛ إذ قوّته الإنجازيّة الأصليّة تدلّ على الاستفهام الذي يحتاج إلى جواب، وهو مُصَدَّر بدليل الاستفهام "هل"، لكنّ الاستفهام غير مراد للمتكلّم، بل طلب مهذّب يؤدي معنى فعل إنجازيّ مباشر هو: ناولني الملح"(٢) ، ولعلّ في الفعل الإنجازيّ غير المباشر تكمن كثيرٌ من قيم التداوليّة ومبادئها من تأدب وتعاون واستنتاج؛ لأنّ الدلالة المبتغاة في هذا الفعل لا يتحقّق بظاهر اللفظ، وإنّما تتطلّب التعاون الحواري على نحو أقرّه جرايس، وإستراتيجيّة الاستنتاج كما أشار إلى ذلك كثير من التداوليين ومنهم سيرل.

وقد قسّم جون أوستين(ت١٩٦٠م) الأفعال الكلامية بحسب قوّتها الإنجازيّة إلى خمسة أفعال: الأحكام، والقرارات والتعهّد والسلوك والإيضاح(٣)،

---

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة:٥٠.

(٢) المرجع السابق:٥١.

(٣) المرجع السابق:٤٦.

غير أنّ هذه التقسيمات بدت متداخلة حتى قدّم سيرل بديلًا لها، وجعلها خمسة كذلك، وهي: الإخباريّات، والتوجيهيات، والالتزاميّات، والتعبيريات، والإعلانيّات، أو التصريحيات[١] وهذه المنهجيّة هي التي اعتمدتها في تناول الأفعال الإنجازيّة في هذه الدراسة.

أولاً–الإخباريات ومقاصد القول في خطابة السقيفة:

يعرف التداوليون الإخباريات بأنها:" الأقوال التي يكون الغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلم واقعة ما بدرجات متفاوتة، من خلال قضية (proposition) يعبّر بها عن هذه الواقعة، وأفعال هذا الصنف تحتمل الصدق والكذب..."[٢]، أو بمعنى آخر أنّ الهدف من هذه الأفعال تعهّد المتكلم بدرجات منوّعة بكون شيء ما حقيقة، وبصدق القضية المعبّر عنها، وجميع أعضاء هذه الفئة قابلة للتقييم في حدود الصدق والكذب[٣].

وقد كان للإخباريّات في الأقوال الخطبية التي كونت خطابة السقيفة حضور لافت للنظر، وتمثل محتواها القضوي في ادّعاء خيريّة الجماعة وأفضليّتها على الآخرين، ولا يختلف الأمر سواء أكان الخطيب من المهاجرين أو من الأنصار،

(١) انظر اعتراضات سيرل على أوستين بخصوص تقسيم الأفعال الكلامية، ومنهجيته فيها في: التحليل اللغويّ عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٣م:٢٢٩.

(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي، محمود نحلة:٧٨-٧٩.

(٣)انظر: التحليل اللغويّ عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق:٢٣٣.

فكلّ يدّعي أنّ قومه خير الناس وأنّهم أفضل من الآخرين؛ ولهذا كان الغرض من الفعل الكلامي هو أحقيّة الخلافة لمن انطبق أو قام عليه هذا الادعاء.

وتبدو الإخباريات واضحة في خطبة سعد بن عبادة من مطلع خطبته، إذ يقول: "يا معشر الأنصار، لكم في الدين سابقة، وفضيلة في الإسلام، ليست لقبيلة من العرب، إنّ محمّدًا لبث عليه الصلاة والسلام بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن، وخلع الأنداد والأوثان، فما آمن به من قومه إلا رجال قليل..."(١)، لقد ورد كلام سعد في صيغة سردية للتذكير بمنزلة الأنصار من الدعوة المحمدية في سنوات المحنة، وبعد عام الحزن، ولكن هذا التذكير لم يكن على وجه الإخبار الحقيقي؛ لأن عامة السامعين يعلمون تلك الحقيقة، فالمقصد ليس الإخبار بل استعمال السرد؛ لإنشاء واقع جديد هو أحقية الأنصار بالخلافة. وسردية الحجاج في هذا النوع من مقامات القول هي سردية الحمل على الإقناع لا الإخبار(٢)، ولم يرد سعد بن عبادة مجرد تبيان ذلك للناس الذين احتشدوا لسماع هذه المناظرة للحكم بالخلافة لمن يستحقّها، وإنّما جعل سعد بن عبادة من قوله هذا فعلًا كلاميًّا وراءه منجز، هو تحريض الأنصار على ألا يتخلّوا عن حقّ كفلته لهم أسبقيتهم في الدين وفضلهم في الإسلام

(١) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢١٨، والكامل في التاريخ، ابن الأثير:٢/١٨٩، وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:١/٦١.

(٢) أول من اهتم بسردية الإخبار ذي القيمة الحجاجية د. عبد الله صولة في بحثه الموسوم ب "كتاب الأيّام لطه حسين خطاباً حجاجيا"، ضمن أعمال ندوة "صناعة المعنى وتأويل النصّ"، منشورات كلية الآداب بمنّوبة، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٩٢: ٣٠٠.

واتّباعهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – ونصرتهم له إبّان خذلانه من قبل الكثيرين.

ثمّ ينتقل سعد بن عبادة في مقارنة بين ما قدّمه الأنصار للرسول صلى الله عليه وسلّم، وما تخاذل عنه المهاجرون–في زعمه– أول أمرهم معه، فيقول : " لبث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن، وخلع الأنداد والأوثان، فما آمن به من قومه إلا رجالٌ قليل... فكنتم أشدّ الناس على عدوّه من غيركم"(١) لقد سعى سعد إلى افتكاك سلطة القول السردي التاريخي، وأُشرِب هذا القول بحكم قضوي فكانت القضية المعروضة في هذا القول هو خذلان المهاجرين الرسول صلى الله عليه وسلم ونصرة الأنصار له؛ فالمهاجرون– في مقتضى كلامه– لم ينصروه ساعة الضعف، ولم يذودوا عنه وقت الحاجة، وإنّما تركوه يتخطّفه كفار قريش وعتاتهم، فلاقى منهم ويلاتٍ من العذاب كما هو معروف في السيرة(٢)، حتّى هاجر إلى الأنصار فوجد عندهم النصرة والمنعة، فكانت مقصديّة سعد من هذا الفعل الكلامي هي أن يؤسس في المقام الأول لذاته شرعية القول وفق ما سماه أوستين بصدقية المتكلم من خلال الإثباتات

(١) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٢١٨/٣، والكامل في التاريخ، ابن الأثير:١٨٩/٢، وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:٦١/١.

(٢) بل لعل أقوال سعد بن عبادة هذه كانت مصدراً من المصادر التي اعتمدها مدوّنو السيرة، بصفته شاهد عيان، وسلطة قولية تاريخية، عايشت عصر الرسول صلى الله عليه وسلم.

الخبرية[1]وهي أنَّ من كان هذا شأنه في الدين وخذلانه لرسوله ليس من الحقّ أن يتوّلى أمر المسلمين، والعكس صحيح، وهو أنّ من نصر الرسول صلى الله عليه وسلم وآزره وآواه هو أحقّ الناس بخلافته.

وثمة فعل إنجازي آخر في هذه العبارة، وهي قوله: "في قومه" والمقصد منه هو أنّ المهاجرين خذلوا رسولهم مع أنّه منهم وهو ابنهم؛ فقد بنى سعد قياس إضمار مؤداه أن من تخاذلوا عن نصرة ابنهم وتخلوا عنه، لا يصلحون لولاية أمر الآخرين.

وعلى نقيض ذلك يؤكد سعد بن عبادة بأفعال إنجازية أخرى قوة الأنصار الذين وجد فيهم الرسول صلى الله عليه "المنع له ولأصحابه، والإعزاز له ولدينه، والجهاد لأعدائه"، والمحتوى القضوي من هذا كلّه هو الادّعاء بقوّة الأنصار وشجاعتهم وإخلاصهم للدين؛ وذلك ما يؤهلهم للخلافة التي تحتاج إلى صفات الإخلاص والقوة والمنعة والذود عن هذا الدين. وقد أنجز بذلك سعد بن عبادة فعلًا كلاميًّا قصديته أن الخلافة تحتاج إلى شجعان أفذاذ يجودون بأنفسهم ولا يدخرون نفيسًا في حمايته، وليس أحد غير الأنصار يصلح لذلك؛ وفق ما يؤكّده سعد بفعل إنجازي آخر في عبارته "دون الناس"، وقد جاء هذا الفعل بقوّة غرضية أخرى تفيد التعميم والشمول، وقد حقّق هذا الفعل مقصديّة سعد من

(١) انظر: نظرية أفعال الكلام العامّة – كيف ننجز الأشياء بالكلام–، جون أوستن، ترجمة عبد القادر قينيني: ١٦١.

القول، وهو إقصاء عامّة الناس – وأولهم المهاجرون – من هذا الفضل الذي تفرّد به الأنصار وحدهم.

ومثلما وظّف زعيم الأنصار الإخباريات في محتواه القضوي وعرض أطروحته في بيان أفضليّة قومه على المهاجرين؛ ومن ثمّ أحقيّتهم بالخلافة، فقد آثر كذلك زعيم المهاجرين أبو بكر–رضي الله عنه– الاتكاء على هذا النوع من الأفعال، التي وجد فيها مندوحة لبيان مكانة قومه المهاجرين وما لهم من صفات تعلي قدرهم وترفع شأنهم، وليست هي للأنصار أو لغيرهم من بيوت العرب، ومن شواهد الإخباريات في حديث أبي بكر، قوله:"نحن المهاجرون، أول الناس إسلامًا، وأكرمهم أحسابًا، وأوسطهم دارًا، وأحسنهم وجوهًا، وأكثر الناس ولادة في العرب، وأمسّهم رحمًا برسول الله صلى الله عليه وسلم..."(١)، وقد استوحى أبو بكر هذه الإخباريات من أعراف خطابة المنافرات والمفاخرات، باستعمال أسلوب التفضيل وحجج الكيف" أحسنهم – أكرمهم"(٢)، ويحاول أبو بكر–رضي الله عنه– أن يسرد بجملة من الأفعال الإنجازيّة أخبارًا قد يتفق معه الحاضرون تحت السقيفة عليها أو يختلفون، فالمهاجرون– كما وصفهم – هم أول الناس إسلامًا، وأشرف العرب حسبًا؛ أي هم من خير بطون قبائل

(١) جمهرة خطب العرب:٦٣/١. ووردت بعض جمل النص في: فتح الباري، لابن حجر، كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم (٣٦٦٧–٣٦٦٨)،٢٤/٧. وصيغة البخاري:" أوسط العرب داراً، وأعربهم أحساباً".

(٢) ينظر في خصوص حجج الكيف أو النوع: في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١١م: ٢٨.

العرب؛ لأنّهم من قريش، وزادهم نسبهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم شرفًا، كما أنّهم أحسن الناس وجاهة، وأكثرهم عددًا؛ وبذلك يريد أبوبكر أن يشير إلى أنّ قومه يبزّون الناس كمًّا وكيفاً، غير أنّ هذا كلّه ليس مبتغى أبي بكر، وإنّما أراد هذه الأفعال السردية أفعالًا لينجز بقوّتها الغرضية هدفًا أكبر ممًا يعرضه من أخبار، فهو يريد بذلك حجاجًا يحمل السامعين على الاقتناع بتفرّد المهاجرين وبزّهم غيرهم؛ وذلك من خلال المحتوى القضوي لهذه الأفعال وهو تأكيد خيريّة المهاجرين وأفضليتهم على الناس قاطبة؛ ومن ثمّ ينجز بذلك أحقيّتهم بالخلافة؛ إذ لا أحد ينازعهم هذه الأهليّة التي توجب الخلافة لهم، والسيادة على الناس قاطبة.

ثمّ يبسط أبوبكر طرحه ويؤكّد دعواه في أحقيّة المهاجرين بالخلافة بفعل إنجازيّ خبريّ آخر، وهو في قوله "لا تدين العرب إلا لهذا الحيّ من قريش"[1] ، فأسلوب الخبر المتضمن للنفي بـ(لا) والاستثناء (إلا) يؤكّد به تأكيدًا قاطعًا أنّ الخلافة لا يمكن إلا أن تكون لقريش؛ لئلا تختلف العرب وتشقّ عصا الطاعة على خليفة لا يكون منهم؛ فالفعل الكلاميّ المتضمن في هذا الجملة يخدم الفكرة، وينجز قصدية أبي بكر من هذا الخطبة، وهي تنبيه الأنصار إلى أمر خطير إن تولّى الخلافة غير قرشي، وهو تفرّق المسلمين وتمرّدهم على القيادة،

(١) عيون الأخبار، ابن قتيبة:٢/٢٥٤، والعقد الفريد:٤/٥٩، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، كتاب الحدود، حديث رقم (٦٨٣٠):١٢/١٤٩، ومسند الإمام أحمد، شرح أحمد شاكر حديث رقم (٣٩١)١/٣٣٠، وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:١/٦٣.

ولا شكّ أنّ ذلك لا يرضى كلّ صاحب غيرة وحبّ لهذا الدين؛ وبذلك يحمل أبوبكر الناس على ألا يكون الخليفة إلا من قريش.

وفي مستهلّ حديث أبي بكر الصديق –رضي الله عنه – فعل إنجازي خبريّ اشتمل عليه قوله الذي يصف فيه حال أهله المهاجرين حينما بُعث فيهم الرسول — صلى الله عليه وسلم – "وهم يعبدون من دونه آلهة شتّى، ويزعمون أنّها لهم عنده شافعة ولهم نافعة"(١) ، فالمحتوى القضوي من هذا الفعل هو بيان حجم التحدّي الذي واجه المهاجرين حينما تخلّوا عن دين آبائهم ودخلوا في دين الإسلام، فقد كان في ذلك الخيار مشقّة عظيمة وخطر محقّق؛ لأنّهم عندما تخلوا عن دين آبائهم – وقد عظُم على أكثرهم أن يفعلوا ذلك – لاقوا ألوانًا من الإيذاء وضروبًا من العذاب.

وقد أكّد أبو بكر–رضي الله عنه– ما ذكره آنفًا بفعل إنجازي خبري آخر، وهو: "فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم"(٢)، والمحتوى القضوي من ذلك عرض الصراع النفسي والتحدي الاجتماعي الذي عاناه المهاجرون بمخالفة دين آبائهم ودخولهم في الإسلام، وعظم التضحيات التي قدّموها لرسولهم الكريم؛ لينجز بذلك أبوبكر فرادة المهاجرين وبزّهم غيرهم؛ ومن ثمّ يصوّب النتائج المنجزة من هذا الخطاب كلّه نحو قصديّته الأساس من الخطبة كلّها، وهي أنّ الخلافة يجب أن تكون للمهاجرين وحدهم. وواضح من كلام أبي بكر

(١) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢١٩، وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:٦٢.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢١٩، وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:٦٣.

أنّه لا يتحدّث عن قريش عامّة، وإنّما عن المهاجرين منهم خاصّة؛ فلذا فإنّ الأمر في أقواله السردية مختلف عمّا ساقه سعد بن عبادة الذي كان يحمّل المهاجرين عيوب غيرهم من قريش، وليس المقام مقامًا للمفاخرة بالقبيلة والجماعة بقدر ما هو مقام مباهاة بالتضحيات ومفاخرة بالمنجزات، وذلك ما جعل أبا بكر ينتصر لأطروحته في آخر الأمر.

وقد خلص أبوبكر من هذا الطرح كلّه قائلًا عن قومه المهاجرين:" فهم أول من عبد الله في الأرض، وآمن بالله وبالرسول، وهم أولياؤه وعشيرته، وأحقّ الناس بهذا الأمر من بعده"(١)، فأوليّة المهاجرين في عبادة الله، وأسبقيتهم في الإيمان، وصلّتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم كونه من عشيرتهم، فعل إنجازيّ آخر مقتضاه القضوي تفرّد المهاجرين وأهليتهم للخلافة؛ ومنه يفضي الحديث إلى وجوب أن يكون الخليفة منهم لا من قوم سواهم، فهم أولى الناس بخلافته، فحجة الأسبقية في دخول الإسلام تتضمن أسبقية في معرفة الدين الجديد وصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم، والأسبقية في إدارة الأمة.

ولعلّ سعد بن عبادة مهّد الطريق أمام الآخرين من خطباء الأنصار يوم السقيفة ليستعرضوا جوانب من صفاتهم بأفعال إخباريّة بلغ فيها بعضهم حدّ التجاوز كالحباب ابن المنذر الذي قال مفتخرًا بالأنصار ومخاطبًا إيّاهم:" أنتم أهل العزّة والثروة، وأولو العدد والمنعة والتجربة، وذوو البأس والنجدة، وإنّما ينظر

(١) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢٢٠، وجمهرة خطب العرب، صفوت:٦٣.

الناس إلى ما تصنعون"[١]، فهو بهذه الأفعال الإخباريّة يدّعي أنّهم لهم كل مجد وعزّة ومكرمة؛ لينجز بذلك فضلهم على المهاجرين؛ ومن ثمّ يجب أن تكون الخلافة فيهم، أو على أدنى تقدير أن تكون قسمة بينهم، وقد استعمل هو أيضا رواسب من الحجج التي تضمنتها المنافرات والمفاخرات الجاهلية وهي حجج العدد والكم التي جاء القرآن الكريم لمناهضتها، غير أنّ مبالغة الحباب بن المنذر في خطابه وبلوغه حدّ التحريض؛ بقوله :" فإن أبوا عليكم ما سألتموه فأجلوهم عن هذه البلاد، وتولّوا عليهم هذه الأمور فأنتم والله أحقّ بهذا الأمر منهم"[٢]، إنّ هذا الخطاب القاسي أتى بخلاف مقصديّة الحباب منه، وهو خروج بعض زعماء الأنصار من هذه المواجهة وتسليمهم بأن تكون الخلافة في المهاجرين، كبشير بن سعد الذي يقول رادًّا على الحباب وسعد قبله :" يا معشر الأنصار إنّا والله لئن كنّا أولي فضيلة في جهاد وسابقة في الدين ما أردنا به إلا رضا ربّنا، وطاعة نبيّنا، والكدح لأنفسنا، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك"[٣].

(١) المصدران السابقان: الصفحات نفسها.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢٢٠، وجمهرة خطب العرب، صفوت:٦٤.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢٢١، والكامل في التاريخ، ابن الأثير:٢/١٩١ وجمهرة خطب العرب، صفوت:٦٥.

ثانيًا– التوجيهيات في خطابة السقيفة:

تعني التوجيهيات عند سيرل "محاولة جعل المستمع يتصرّف بطريقة تجعل من تصرّفه متلائمًا مع المحتوى الخبري للتوجيه"[١]والهدف الإنجازي من هذه الأفعال هو تأثير المتكلم على المستمع ليقوم بفعل شيء ما مستقبلًا، ومن الأفعال التي تندرج تحت هذا النوع: أطلب، أرجو، أسأل، ألتمس، أناشد، أتضرّع، أستعطف، أشجع، أسمح، أنصح، وبعض ممّا أدرجه أوستين(ت١٩٦٠م) ضمن ما سمّاه أفعال السلوك، مثل أتحدّى[٢]. وقد كانت عند أوستن– أيضاً– بمعنى الممارسات التشريعية، وهي "تتعلّق بممارسة السلطة والقانون والنفوذ، وأمثلة ذلك: التعيين في المناصب والانتخابات وإصدار الأوامر التفسيريّة في المذكرات وإعطاء التوجيهات التنفيذيّة القريبة من النصح والتحذير وغيرها..."[٣].

ولا شكّ في أنّ هذه الأفعال عند سيرل بدت أكثر انفتاحًا ممّا كانت عند أوستين، فعند سيرل أخذت تستوعب كثيرًا من الأفعال الكلاميّة التي تتفاوت بحسب قوّتها الإنجازيّة، فقد تكون محاولاتٍ ليّنة جدًّا، نحو: أغريك أو أقترح، وقد تكون عنيفة جدًّا، مثل: أصرّ أن تفعل كذا[٤].

---

(١) العقل واللغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الواقعي)، جون سيرل، ترجمة سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٦م: ٢١٨.

(٢) انظر: التحليل اللغويّ عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق:٢٣٣.

(٣) كيف ننجز الأفعال بالكلمات، أوستين: ١٧٤.

(٤) انظر: التحليل اللغويّ عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق: ٢٣٣.

ولما كان المقام مقام تحريض على الأخذ بالحق في الخلافة، بخاصة في خطب زعماء الأنصار، كان لهذه الأفعال نصيب وافر من أفعالهم الكلاميّة التي قدّموا بها أطروحتهم وعرضوا بها قضيتهم، بخاصّة الأفعال الدالة على الأمر المباشر، فقد وظّفها زعيمهم سعد بن عبادة بوصفه سيدًا آمرًا، كما وظّفها الحباب بن المنذر الذي كان في طرحه مساوياً لسعد في المكانة، بل فاقه في الحدة، ولربما صرح بمالم يتمكن سعد من التصريح به أو قوله.

وربّما يكون التوجيه أكثر حدة بفعل إنجازي مباشر في خطبة الحباب بن المنذر–رضي الله عنه– الذي بدا أكثر مواجهة وصرامة في تحريض الأنصار، بقوله: "يا معشر الأنصار: أملكوا عليكم أمركم"(١)، فالدعوة صريحة إلى التمسّك بالخلافة التي هي أمرهم وحقّهم، ثمّ يمضي مدلّلًا لهذه المشروعية بأفعال إنجازية أخرى من جنس الإخباريات مر ذكرها آنفًا، محتواها القضويّ المنّ على المهاجرين؛ لأنّهم في أرض الأنصار وفيئهم وظلّهم، وأنّ الأنصار كذا وكذا، مفتخرًا بهم.

ولا نكاد نجد فعلًا إنجازيًّا من جنس الأمر مباشرًا أو غير مباشر في خطب المهاجرين إلا في موضعين، وكلاهما كان خارج المقام الذي يخيّم عليه الخلاف والصراع بين الفريقين؛ إذ كان الخطاب المتضمن لهذا الفعل بعد أن هدأت النفوس، وسلّم الأنصار بأن تكون الخلافة في المهاجرين، فكان الموضع الأول في قول أبي بكر موجّهًا الحديث للفريقين بأن يختاروا للخلافة من يرونه مناسبًا

(١) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢٢٠. وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:١/٦٤.

لها، يقول مخاطبًا إيّاهم:" هذا عمر وهذا أبوعبيدة، فأيهما شئتم فبايعوا"[١]، فمقتضى هذا التوجيه هو ترك الأمر إلى المهاجرين والأنصار بأن يختاروا من يجمعون عليه، في خطاب يسوده الأدب والاحترام لرأي الآخر، وفي ذلك تكريس مبدأ المداولة وسياسة الشورى في اختيار الخليفة لا محالة، وليس فيه أي بعد من أبعاد الأمر والتوجيه والإرغام على فعل شيء، على نحو ما كان في خطب زعماء الأنصار؛ فلذا فإنّ الأمر هنا على الرغم من دلالته المباشرة بحسب دلالته الاصطلاحية والمعجمية، غير أنّه وفق مفهومه الكلامي مقتضاه الشورى ومبتغاه التوافق، وليس فيه شيء من الاستعلاء أو حمل المخاطب على فعل شيء كما يدلّ عليه غالب الأمر.

أمّا الموضع الآخر للأمر في خطاب المهاجرين فقد كان في ذات السياق حينما ردّ عمر وأبو عبيدة –رضي الله عنهما– على أبي بكر– رضي الله عنه– قائلين:"... ابسط يدك نبايعك"[٢]، فالفعل هنا كذلك يدلّ على الأمر دلالة مباشرة وفق دلالته المعجمية غير أنّه بحسب مقصديّته في الفعل الإنجازي يشي بالطاعة والإذعان والاتباع وكل معنى من المعاني التي تشتمل عليه كلمة "المبايعة" التي ورد مشتقها في عبارة الفعل الكلامي نفسها:"... نبايعك".

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢٢١، وفتح الباري، لابن حجر:١٢/١٤٩، وصيغة البخاري:" وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين"، وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:١/٦٥.

(٢)تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢٢١، وفتح الباري، لابن حجر:١٢/١٤٩، وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:١/٦٥، ولدى ابن كثير، في: البداية والنهاية٥/٢١٨، صيغة: " فقام عمر ...وقال:" هذا صاحبكم فبايعوه".

ويلحظ الدارس أنّه عندما يتحوّل الخطاب دفاعًا عن أطروحة المهاجرين وتأكيد أحقيّتهم في الخلافة يتحوّل معه الفعل الإنجازي من جنس الأمر إلى النهي، أيًّا كان الخطيب سواء أكان من المهاجرين أو من الأنصار، ولعلّ ذلك أوضح في خطب المهاجرين، كما في خطبة أبي بكر: "فلا تنفسوا على إخوانكم ما منحهم الله من فضله"(١)، وقول أبي عبيدة :"فلا تكونوا أوّل من بدّل وغيّر"(٢) وفي العبارتين فعل إنجازي صريح من جنس النهي "فلا تنفسوا"، و"لا تكونوا"، والنهي كما هو معلوم يتجه إلى مخاطب أتى فعلاً ما أو نوى على أن يأتي فعلاً ما. وثمة فعل إنجازي غير مباشر في خطبة عمر–رضي الله عنه–: "ومن ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته"(٣)؛ أي لا تنازعونا في ذلك، ومثله في خطبة بشير بن سعد:" ولا نبتغي به من الدنيا عرضًا"(٤)، وهو يريد بذلك النفي نهي قومه؛ أي: لا تبتغوا بما قدّمتم في الإسلام عرضًا من الدنيا، ومع اختلاف القوة الغرضية التي عرض بها المحتوى القضوي للخطاب فإنّ المقصديّة

(١) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢٢١، والكامل، ابن الأثير ٢/١٩١ وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:١/٦٣. وورد في عيون الأخبار، ابن قتيبة:٢/٢٥٤، والعقد الفريد، ابن عبد ربه:٤/٥٨–٥٩ صيغة:" وأنتم محقوقون ألا تنفسوا على إخوانكم من المهاجرين ما ساق الله إليهم"

(٢) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢٢١، والكامل، ابن الأثير ٢/١٩١ وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:١/٦٥.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢٢٠، والكامل، ابن الأثير ٢/١٩١، وفيه:" من ينازعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه..." وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:١/٦٤.

(٤) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢٢١، والكامل، ابن الأثير ٢/١٩١، وفيه:" ولا نبتغي به الدنيا"، وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:١/٦٥.

من الأفعال الإنجازية هي التحذير من منازعة المهاجرين الخلافة، فليس ذلك من الإسلام في شيء.

وكثيرًا ما جاء الفعل الإنجازيّ الطلبي مباشرًا؛ وذلك لأنّ المقام يحتاج إلى الصراحة والوضوح، فالناس في أزمة، سواء أكانوا الأنصار الذين يرون أنّ حقّهم في الخلافة عرضة للضياع؛ لما للمهاجرين من مكانة وحظوة في بيت النبوة، أو كانوا المهاجرين الذين يرون أنّ الخلافة إن لم تكن في قريش افتتن المسلمون وضاع الدين؛ ولهذا كان الفعل الإنجازي الطلبي المباشر، ولا سيما النهي خير حاضن لهذا الخطاب الذي ينتظر منجزًا مؤثّرًا في الناس؛ ليخرجوا من هذه الأزمة، سواء أكان الانتصار من وجهة زعماء الأنصار بأن تكون الخلافة لهم، وهم أهل الدار، أو كان من وجهة المهاجرين بأن تكون الخلافة في قريش؛ ليستقيم الأمر.

ومن هذه الأفعال الإنجازيّة الطلبية الدالة على النهي دلالة مباشرة، ما جاء في خطبة أبي بكر-رضي الله عنه- مخاطبًا الأنصار ناصحًا إيّاهم بأن يعدلوا عن المطالبة بالخلافة بقوله: "فلا تنفسوا على إخوانكم ما منحهم الله من فضله"(١)، فهو في ذلك ينصحهم أكثر من أنّه ينهاهم، وهكذا قد بدت حكمة أبي بكر-رضي الله عنه- في هذه المحنة، فهو هنا يأخذهم بالحجاج على أنّ ما عليه المهاجرون من فضل وحقّ في الخلافة إنّما هو منحة من الله وحده، فهو

(١) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢٢١، والكامل، ابن الأثير ٢/١٩١ وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:١/٦٣.

قدر من الله، والأنصار لا محالة يؤمنون أنّ التسليم بقضاء الله وقدره ركن من أركان الإيمان، وهذا أسلوب من الأساليب الخطابيّة التي أفضت بالأنصار في آخر الجدال إلى التسليم بأن تكون الخلافة في المهاجرين، فأبوبكر-رضي الله عنه- حمل زعيم الأنصار — في بعض مصادر الحديث — إلى أن يعترف لهم بذلك قبل أن يجمع الناس على خلافة أبي بكر، فهو في فعل إنجازي غير مباشر من جنس التوجيهيات يحمل سعدًا-رضي الله عنه- على العدول عن موقفه؛ إذ جاء في مسند أحمد بن حنبل(ت٢٤١هـ) قول أبي بكر لسعد :" ولقد علمتَ يا سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد: "قريشٌ ولاة هذا الأمر فبَرُّ الناس تبعٌ لبَرّهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم"، قال: فقال له سعد: صدقت، نحن الوزراء وأنتم الأمراء"(١)، فقد جاء أبوبكر هنا بحجة قويّة؛ فينتزع من سعد بن عبادة هذا الاعتراف، موظّفًا الفعل الإنجازيّ :"وأنت قاعد" ليحمله مكرهًا على الاعتراف، والمحتوى القضوي من ذلك شهوده وحضوره مجلس النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال ذلك؛ لينتزع بذلك أبوبكر منه الاعتراف بقوله: "صدقت"؛ ليمثل هذا كذلك فعلًا إنجازيًّا آخر، محتواه القضوي الإقرار ومنجزه موافقة أبي بكر في أطروحته، فكانت موافقته في بادئ

(١) مسند الإمام أحمد، حديث رقم (١٨)، ١/١٧٦، وعلق عليه أحمد شاكر، بقوله: حميد بن عبد الرحمن الحميري التابعي الثقة يروي عن أمثال أبي هريرة وأبي بكرة وابن عمر وابن عباس، وذكر ابن سعد أنه روى عن علي بن أبي طالب، ولم يصرح هنا بمن حدثه هذا الحديث، وظاهر أنه لم يدرك وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديث السقيفة وبيعة أبي بكر. وورد النص كاملا في: تاريخ الرسل والملوك، للطبري: ٣/٢٠٣.

الأمر على أن يكون المهاجرون الأمراء والأنصار الوزراء، وفق ما ورد في هذه الرواية.

ولعلّ الحباب بن المنذر–رضي الله عنه– لما بدا منه من حدّة في الخطاب كان– أيضًا– من أكثرهم اختيارًا للأفعال المباشرة من الافعال الإنجازية الدالة على النهي، فقال ممّا قال مخاطبًا قومه الأنصار: "ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم"(١)، ويكرر نهيه بقوة غرضية أخرى، قائلًا لهم بتحريض مباشر وصريح: "ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه"(٢)، فالمحتوى القضوي في كلّ هو التحريض على ثبات الأنصار على مطالبهم، والعصيان لما يعرضه أبوبكر؛ والقصدية التي يصبو إليها الحباب هي أن تكون الخلافة في الأنصار دون المهاجرين.

فإن كان الحباب بن المنذر–رضي الله عنه– قد اختار الأفعال الإنجازيّة الدالة على النهي للتحريض الصريح على التمسك بالخلافة فإنّ بشير بن سعد– رضي الله عنه– اختار الأفعال نفسها، لكنّه وظّفها توظيفًا مغايرًا، وكانت مقصديّته من ذلك هي كفّ الأنصار عمّا يطالبون به من حقّهم في الخلافة، فهو ينهاهم صراحة عن ذلك: " فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم"(٣)، فالمحتوى القضوي من هذه الأفعال كلّها هو تحذير بشير بن سعد قومه ممّا هم

(١) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢٢٠، والكامل، ابن الأثير ٢/١٩١ وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:١/٦٤.

(٢) المصادر السابقة: الصفحات نفسها.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢٢١، والكامل، ابن الأثير ٢/١٩١، ولم ترد فيه" ولا تنازعوهم"، وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:١/٦٥.

عليه من دعوة للتمسّك والمطالبة بما ليس لهم، فذلك بحسب حجّته عليهم يفضي إلى الخلاف والتنازع، وهذا الطبع لا يرضاه أحد من المسلمين؛ ومن ثمّ يقصد المتكلم من هذه الأطروحة كلّها أن تؤول الخلافة إلى المهاجرين، وهو بذلك في توافق مع المهاجرين في الطرح واتّحاد في الرؤية. ولعلّ خطبة بشير بن سعد من الخطب التي أدّت دورًا مؤثرًا في حسم الموقف وتهدئة الصراع بين الطرفين؛ إذ أخذت منحى مختلفًا عمّا كانت عليه خطب جماعته الأنصار، كما كان خطابه وفاقيًّا يحمل على الوحدة في روح إسلاميّة سامية تدعو إلى التجرّد ونكران الذات وعدم المنّ والمساومة بما قدّمته الجماعة أو الفرد من فضل ومكرمة في الدين.

ولعلّ أبا عبيدة–رضي الله عنه– يقف في الطرف الآخر موقفًا مشابهًا لبشير بن سعد– رضي الله عنه–؛ فلذا كان اختياره للفعل الإنجازي الدال على النهي المباشر على غرار ما فعل بشير، وموجّهًا لذات المقصد الذي كان يبتغيه، وهو نهي الأنصار عمّا هم عليه من موقف، يقول أبو عبيدة:" يا معشر الأنصار: إنّكم أوّل من نصر وآزر، فلا تكونوا أوّل من بدّل وغيّر"(١)، فهو يناهم نهيًا صريحًا بألّا يكونوا أوّل من بدّل دينه وغيّر مبدأه ومعتقده، والقصديّة من هذا القول هي التسليم بأن تكون الخلافة للمهاجرين، ولا شكّ أنّ عبارة أبي عبيدة على قصرها حملت إنصافاً واستفزازًا للأنصار في الوقت ذاته، الإنصاف من

(١) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢٢١، والكامل، ابن الأثير ٢/١٩١، ولم ترد فيه:" وآزر" وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:١/٦٥.

خلال اعترافه بأوليتهم في الدين، وأمّا الاستفزاز فهو في تحذيرهم بألا يكونوا أولًا في الحقّ وأولًا في الباطل، وخير الأمور خواتيمها لا محالة، وأبوعبيدة هنا قد أوجز وأبان وأنجز.

وربّما كان لموقف عمر بن الخطاب–رضي الله عنه– المهادن واكتفائه بتمثيل أبي بكر–رضي الله عنه– في مواجهة القوم إذ آثر ألا يشارك بخطبة طويلة في هذا الموقف المأزوم؛ اتّقاء لتصعيد الصراع؛ فقد كان عمر معروفًا بحدّته في الخطاب، وقال هو عن نفسه هذا مبيناً وموضحاً[١]،ولعلّ للسبب نفسه بدا القليل من الأفعال الكلاميّة في بعض عباراته التي شارك بها في هذا الموقف، فمن ذلك قوله: "ومن ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مُدْلٍ بباطل أو متجانف لإثم أو متورّط في هلكة"[٢]، فالمحتوى القضوي في هذا الفعل هو إنكار عمر على بعض الأنصار منازعتهم الخلافة، وفعل إنجازيّ مشابه لما اختاره أبوبكر للتعبير عن المعنى نفسه، وهو قوله: " ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم"[٣]، فالقوّة الغرضية في كلا الفعلين واحدة، وهي النهي غير المباشر،

(١) انظر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خبر يوم السقيفة:" وكنت أداري منه بعض الحدّ" في: مسند الإمام أحمد، حديث رقم (٣٩١)١/٣٢٧-٣٣١. وتاريخ الرسل والملوك، للطبري:٣/٢٠٣-٢٠٦، والكامل في التاريخ، ابن الأثير:٢/١٨٨، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، كتاب الحدود، حديث رقم (٦٨٣٠):١٢/ ١٤٩.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢٢٠، والكامل، ابن الأثير ٢/١٩١، ولم ترد فيه:" إلا مدل بباطل..."، وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:١/٦٤.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢٢٠، والكامل، ابن الأثير ٢/١٩٠، وصيغته:" لا ينازعهم إلا ظالم"، وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:١/٦٣.

والمقصود: أيّها الأنصار لا تنازعونا هذا الحقّ على حدّ قول أبي بكر، ولا تنازعونا سلطان محمد كما قال عمر، غير أنّ عمر بدا أكثر حدّة على نحو ما هو معروف ، ولعلّه لو استمرّ في الخطاب لتصاعد الموقف واحتدم الخلاف بين الفريقين أكثر؛ إذ هو في هذا الفعل الإنجازي لم يكتف بالإشارة إلى أحقيّتهم بالخلافة فحسب، أو وصف من ينازعهم بالظلم كما فعل أبو بكر، وإنّما مضى أبعد من ذلك؛ ليقرّر أنّ من ينازعهم مدلّ بباطل وآثم وهالك لا محالة، فهي كلّها أفعال إنجازية رادعة تحمل الأنصار إلى حيث يقصد عمر وهو التسليم بأنّ الخلافة حقّ للمهاجرين شاءوا أم أبوا.

ثالثًا– الالتزاميات في مقاصد خطابة السقيفة:

الالتزاميات عند التداوليين ومنهم أوستين(ت١٩٦٠م) هي الأفعال التي يلزم فيها المتكلم نفسه طوعًا بفعل شيء ما للمخاطب في المستقبل بحيث يكون المتكلم مخلصًا في كلامه أو بمعنى آخر أن يلتزم المتكلّم من خلال الفعل الذي ينطقه بتصرف أو نشاط معيّن(١)، وقد أعجب سيرل بهذا التوصيف وعدّه رائعًا، غير أنّه أخذ على أصحابه ومنهم أوستين (ت١٩٦٠م) بعض استشهاداته التي ليست من الأفعال الإلزاميّة في شيء، مثل: سوف، وأقصد، وأفتح وغير ذلك(٢)،ويدخل في هذه الأفعال ما يدلّ على الوعد والوصية(٣)، وقد وضع لها أوستين تصنيفًا تتفاوت فيه الأفعال من حيث القوة الإنجازية

(١) انظر: نظرية أفعال الكلام العامة–كيف ننجز الأفعال بالكلمات–، أوستين: ١٧٤

(٢) انظر: التحليل اللغويّ عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق:٢٣٤.

(٣) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة:٥٠.

للفعل، فيكون أقواها بالقسم، وتتراخى عندما لا يعدو الفعل نية بفعل أمر ما[١]،وكذا ممّا يميّز هذا النوع من الأفعال الكلاميّة أنّ القصد فيه هو الإخلاص في العمل، و"والمحتوى القضوي فيها دائما فعل المتكلم شيئاً في المستقبل"[٢].

وقد احتوت خطبة أبي بكر في نهايتها على فعل إنجازيّ غير مباشر، مكرّسًا به مبدأً من مبادئ التعهد والالتزام؛ إذ يقول:" فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء، لا تُفْتَاتُون بمشورة ولا تُقضى دونكم الأمور"[٣]، ففي هذا القول محتوى قضوي، يضع بمقتضاه المتكلم صدقيته في الميزان فهو عقد أخلاقي بينه وبين الأطراف المتخاطبة في هذا المقام، وهو أنّه يعرض على الأنصار عقدًا سياسيًّا يريد توقيعه معهم، فإن أدّوا الطاعة ووافقوا على خلافة المهاجرين فإنّهم سيكونون شركاء في السلطة؛ إذ يكون منهم الوزراء وأهل الشورى الذين لا تُقضى الأمور دونهم، والمنجز من ذلك قرار الخلافة في المهاجرين لا محالة، والهدف غاية القصد من كلّ هذه الخطب والحوارات.

---

(١) انظر: في البراجماتية: الأفعال الإنجازيّة في العربيّة المعاصرة، دراسة دلاليّة ومعجم سياقي، علي محمود حجي الصراف، القاهرة، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م: ٤٧.

(٢)انظر: التحليل اللغويّ عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق:٢٣٤، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة:٥٠.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢٢١، وفيه:" ولا نقضي دونكم"، والكامل، ابن الأثير ٢/١٩٠، وفيه:" لا تفاوتون بمشورة" وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:١/٦٣.

ولعلّ لطبيعة المقام الذي خيّمت عليه روح الصراع في محاولة امتلاك الحق لم يكن ثمة مجال كبير لإبداء شيء من الالتزام أو التعهد أو أي فعل من الأفعال الإنجازيّة التي تندرج في هذا السياق، فإذا استثنينا مقولة أبي بكر-رضي الله عنه- السابقة التي تعهّد فيها للأنصار بشكل العلاقة السياسية التي ستؤطّر العلاقة بين المهاجرين والأنصار فلا نكاد نجد من هذه الأفعال إلا قليلًا، من ذلك ما جاء في خطبة بشير بن سعد- رضي الله عنه-: "وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبدًا"(١)، فهو هنا يوظّف فعلًا من أفعال العقود الإنجازية الدالة دلالة مباشرة على الالتزام والتعهد كما يبديه المحتوى القضوي للفعل الإنجازيّ؛ وذلك بالقسم الصريح المغلظ؛ لينجز بذلك التزامًا على نفسه، حاصله أنّه مسلّم بالخلافة للمهاجرين، ولن ينازعهم في ذلك البتة، ولا شكّ أنّ خطاب بشير بن سعد أحدث تحوّلًا كبيرًا في الموقف؛ إذ تحوّل سعد بن عبادة والحباب ومن معهما لهذا الاختيار الراشد، فسلّموا من بعد بأن تكون الخلافة للمهاجرين وبايعوا أبا بكر رضي الله عنه.

ولئن كانت الأفعال الإنجازية الدالة على الالتزام قليلة قياسًا بالأفعال السابقة، إلا أنّها أنجزت تحوّلًا كبيرًا في موقف الأنصار، حتى رضوا بأن تكون الخلافة في المهاجرين، فالراجح أن التزام أبي بكر-رضي الله عنه- من قبل وتعهده بأن يجعل منهم الوزراء وأهل الشورى جعلهم يشعرون بالرضا

(١) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢٢١، والكامل، ابن الأثير ٢/١٩١، وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:١/٦٥.

والطمأنينة بأن مكانتهم لن تضمحل بعد رحيل من ناصروه وآووه وأحبوه صلّى الله عليه وسلّم، وربّما كان فيهم شيء من الخوف والقلق من مآلات الأمور إذا انتقلت الخلافة إلى المهاجرين. كما أنّ التزام بشير بن سعد وما أبداه من تعهد وقسم صريح بأنّه لن ينازع المهاجرين في الخلافة، كان من أهم الأسباب التي حملت زعماء الأنصار على التماهي معه في قبول أن تكون الخلافة في المهاجرين، ولا سيما أنّ بشير بن سعد هو كذلك واحد من الزعماء وسيد من السادات.

ولم يكن بعد رضا القوم وحسمهم أمر الخلافة بأن تكون في المهاجرين إلا المبايعة لمن يجمعون عليه من المهاجرين – وقد أجمعوا على أبي بكر– ولا تكون هذه المبايعة إلا بتعهد والتزام، ويتعاظم ذلك عندما يكون صريحًا؛ فمن هنا اختار عمر وأبو عبيدة–رضي الله عنهما– فعلاً إنجازيًّا صريحًا، فقالا لأبي بكر: "لا والله لا نتولّى هذا الأمر عليك"(١) وكان ذلك فعلًا محتواه القضوي الإقرار بأنّ أبا بكر– رضي الله عنه– خير منهم ومقدّم عليهم في ذلك، ومقصديته البيعة والولاء والطاعة لأبي بكر.

وممّا يلحظ على خطبة سعد عبادة–رضي الله عنه– خلوها من الأفعال الإنجازية الدالة على الالتزام، ولعلّ مردَّ ذلك إلى أنّ سعدًا كان يشعر بأنّه موتور أو صاحب حقّ، كما بدا ذلك واضحًا من نبرة خطابه؛ فمن ثمّ فليس هناك

(١) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢٢١، والكامل، ابن الأثير ٢/١٩١، وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:١/٦٥.

ما يجعله ملتزمًا بأمر أو يتعهد بشيء، فإن آلت الخلافة إليهم، فهم – بحسب قناعته – أهل حقّ ودار؛ فمن ثم ليس هناك ما يلزمه بشيء أو يجبره على تعهّد. وقد أكّد ذلك الحباب بن المنذر الذي كان صريحًا في خطبته.

رابعًا– التعبيريات في مقاصد خطابة السقيفة:

يسميها أوستين(ت١٩٦٠م) أفعال السلوك، وعنده" تختصّ بمجموعة من الأفعال التي لا يمكن حصر أطرافها بسهولة، ولكنّها تندرج تحت باب السلوك والأعراف المجتمعيّة، وأمثلتها: الاعتذارات والتهاني والتعازي والقسم وأنواع السباب والقذف والتحدّي"(١)، وقد تدلّ هذه الأفعال على "سلوك الآخرين، وعلى ما لاقوه من نجاح أو فشل في مزاولتهم لذلك النشاط أو ذلك السلوك، كما تتضمّن أيضًا المواقف وضروب التعبير عن أوضاع السلوك الماضية ممّا قام به الآخرون أو ما يحتمل أن يقع من تصرفاتهم"(٢) ؛ وبهذا فإنّ الأفعال التعبيريّة، هي: "تعبير عن حالات نفسيّة ويمكن لها أن تتخذ شكل الجمل، تعبّر عن سرور أو ألم أو فرح أو حزن أو عمّا هو محبوب أو ممقوت"(٣)، وهي عند سيرل بالمفهوم نفسه ولكن مع اختلاف المصطلح –كما بيّنا آنفًا– فالغرض الرئيس

(١) نظرية أفعال الكلام العامة–كيف ننجز الأفعال بالكلمات–، أوستين: ١٧٤، وانظر: التحليل اللغويّ عند مدرسة أكسفورد، ص ٢٢٣.

(٢) نظريّة أفعال الكلام العامة– كيف ننجز الأفعال بالكلمات–، أوستين:١٨٢، والتحليل اللغويّ عند مدرسة أكسفورد:٢٢٣.

(٣) التداولية، جورج بول، ترجمة قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م: ٩٠.

منها – بحسب سيرل – هو التعبير عن حالة سيكولوجيّة محدّدة، وأمثلة أفعالها: أشكر، وأهنئ وأعتذر وأعزّي وأرحّب[1].

ونظرًا إلى المقام النفسي العصيب الذي قيلت فيه هذه الخطب، فقد كان المجال مناسبًا لهذه الأفعال، فمنها ما جاء تعبيرًا عن كرامة الجماعة والاعتداد بها، ومنها ما جاء تعبيرًا عن كرامة الآخر؛ تلطيفًا لنفسه وتطييبًا لخاطره؛ أملًا في أن يسلّم بأحقيّة الخلافة للآخر، على نحو ما نجد هذا في خطب أبي بكر خاصّة.

فسعد بن عبادة–رضي الله عنه– يعبّر عن اعتزازه وامتنانه بما خصّ به الله قومه الأنصار، قائلًا: "حتى إذا ساق إليكم الكرامة، وخصّكم بالنعمة فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله، والمنع له ولأصحابه، والإعزاز له ولدينه، والجهاد لأعدائه"[2]، فالخطيب هنا يعبّر بهذا الفعل الإنجازي المصوغ في جمل سردية وصفية عن حالة نفسية خاصّة، وهي عن زهوه وفخره وإعجابه بأنّهم من صفوة الناس وخاصّة المسلمين، فلا شكّ أنّ من ساق الله إليهم رسوله وخصّهم بهذه النعمة ورزقهم الإيمان به وبرسوله وأثخن بهم عدوه، لهم خيار الناس، ومن ثمّ هم أحقّ الناس بخلافة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا المقصد من الفعل الإنجازيّ؛ إذ هو لا يريد مجرد التباهي والزهو والافتخار بهذه المعاني والصفات.

---

(١)التحليل اللغويّ عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق:٢٣٤.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢٢١، والكامل، ابن الأثير ٢/١٩١، وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:١/٦٥.

وتزداد الأفعال الإنجازيّة الدالة على التعبير في خطبة سعد بن عبادة صعودًا في بيان فضل الأنصار على الناس قاطبة بفعل كلامي آخر، في قوله عن حال الرسول صلى الله عليه وسلم وقومه الأنصار: "توفّاه الله وهو عنكم راضٍ، وبكم قرير عينٍ"(١)، فهذا فعل إنجازيّ تعبيريّ؛ لما فيه من محتوى قضويّ، ليست دلالته تهنئة القوم، وزفّ البشرى إليهم فحسب، بل دلالته إثبات ما حظوا به من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ومن ثمّ التباهي والاعتزاز بما فعلوه مع الرسول صلى الله عليه وسلم، فلا أعظم من قوم يتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ؛ وعليه فإنّ مقصديّة هذه الأفعال كلّها هي أن تكون الحجة الدامغة على أنّ الأنصار هم أحقّ الناس بالخلافة؛ لما لهم من هذه الفضائل التي ليست لغيرهم، أو ليست للمهاجرين على وجه التحديد.

وإن كان سعد بن عبادة–رضي الله عنه– وظّف هذا الجنس من الأفعال الإنجازيّة السردية في التعبير عن حالة نفسية خاصّة به وبجماعته فحسب، وكان محتواها القضوي تهنئة قومه على ما قدّموه لرسولهم عليه الصلاة والسلام، والاعتزاز بهم والزهو بصنيعهم، فإنّ أبا بكر–رضي الله عنه– لما له من حكمة وحنكة في إدارة الحوار وظّف هذا الفعل في اتجاهين مغايرين؛ كان الأول لتأكيد علوّ منزلة قومه المهاجرين، وسلطته أو صورته التأثيرية أو ما يسمى في الخطابة

(١) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٢١٨/٣، والكامل، ابن الأثير ١٩٠/٢، وفيه:" قرير العين"، وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:٦٥/١.

الأرسطية بالإيتوس[1]، وعبّر عن ذلك بأفعال إنجازيّة ذات قوّة غرضية مفحمة، من ذلك – بحسب ما ورد في إحدى روايات الجاحظ – قوله: "نحن أهل الله، وأقرب الناس بيتًا من بيت الله، وأمسّهم رحمًا برسول الله صلى الله عليه وسلم"[2]، فالمحتوى القضوي من هذا القول هو أنّهم ذوو خصوصية ومكانة لا يدانيهم فيها أحد، والقوة الغرضية في ذلك هي الإخبار بالجمل الاسمية التفضيلية التي هي أكثر قوّة في أداء المعنى من الجمل الفعلية، ثمّ إنّه بدأ إعلاء شأنهم بأنّهم أولًا (أهل الله) ثمّ أهل رسوله "وأمسّهم رحمًا برسول الله"، ثمّ إنّه يلحّ على تكرار لفظة الجلالة "الله" إلحاحًا واضحًا وكان يمكنه الاكتفاء بالضمير، ولكنّه كان يقصد ذلك؛ إذ الناس في هذا المقام بحاجة إلى خطابهم بمثل هذا الخطاب الروحيّ، والمقصديّة التي ينشدها أبوبكر–رضي الله عنه– من هذا كلّه هي أنّهم أحقّ الناس بمسؤولية دين الله وخلافة رسوله.

وأمّا الاتجاه الثاني الذي وظّف فيه أبوبكر–رضي الله عنه– هذه الأفعال فهو عمل سياسي حكيم يرمي إلى إحداث توازن بين الأطراف، إذ فيه تعظيم دور الأنصار وتقدير علوّ كعبهم في خدمة الإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام، يقول في ذلك:" وأنتم معشر الأنصار من لا يُنكرُ فضلهم في الدين، ولا

---

(١) يراد بها: سمات الهيئة التي يجب على المتكلم أن يظهرها –كيفما كان صدقه– للمخاطب؛ لكي يترك لديه انطباعاً حسناً. انظر: تحليل الخطاب الحجاجي وفق استراتيجية الإيتوس في المشروع البلاغي لمحمد مشبال، غالم عبدالصمد، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، الجزائر، مجلد ٨، عدد ٥ ،٢٠٠٩م: ١٢٨–١٢٩.

(٢) البيان والتبيين، الجاحظ: ٢/٢٩٧–٢٩٨.

سابقتهم العظيمة في الإسلام، رضيكم الله أنصارًا لدينه ورسوله، وجعل إليكم هجرته، وفيكم جِلّة أزواجه وأصحابه"[1] ففي هذا إنصاف للأنصار؛ وإقرار بفضلهم واعتراف بيّنٌ بمنزلتهم.

وفي فعل إنجازيّ آخر من خطبته يقول:" فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار، وإخواننا في الدين، وشركاؤنا في الفيء، وأنصار على العدوّ، وآويتم وواسيتم، فجزاكم الله خيرًا"[2]، فأبوبكر-رضي الله عنه- في المحتوى القضوي لِما قال ينصف الأنصار في زهو منه بمكانتهم وإعجاب بمنزلتهم في الإسلام، محتفيًا بكريم ما قدّموه، ومعدّدًا فضائلهم من نصرتهم على عدو الله، ومؤازرتهم للمهاجرين ومواساتهم لهم. ثمّ يأتي الفعل الكلامي الإنجازيّ التعبيريّ "جزاكم الله خيرًا" دالًا على الدعاء معبّرًا به أبو بكر عن الرضا التامّ بمّا قدّمه الأنصار من إيثار وتضحية ومؤاخاة لإخوانهم المهاجرين؛ ليكون المحتوى القضوي من هذه الأفعال الإنجازية كلّها الاعتراف بفضل الأنصار والشكر لهم على ما بذلوه في خدمة الإسلام، ولا شكّ أنّ المنجز بذلك في منتهى الخطاب هو تطييب نفوس الأنصار؛ ومن ثم مطاوعة أبي بكر-رضي الله عنه- فيما يقول والتسليم بما يطرح، وهذا ما كان في ذاك اليوم العصيب.

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢٢٠، والكامل، ابن الأثير ٢/١٩٠، وليس فيه:" وفيكم جِلّة أزواجه وأصحابه"، وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:١/٦٣.

(٢) عيون الأخبار، ابن قتيبة:٢/٢٥٤، والبيان والتبيين، الجاحظ:٢/٢٩٦-٢٩٧، والعقد الفريد، ابن عبد ربه:٤/٥٨-٥٩، وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:١/٦٣.

ويمكن أن يندرج تحت هذه الأفعال ما ذكره الحباب بن المنذر–رضي الله عنه– في سياق تحريضه قومه لئلا يفرطوا في الخلافة، قائلًا لهم:" فإنّ الناس في فيئكم وفي ظلكم..."[1]، فالمحتوى القضوي لهذا الفعل الإنجازيّ هو المنّ على المهاجرين؛ بكونهم ليسوا أهل ديار، وإنّما هم دخلاء على الأنصار؛ قاصدًا بذلك الحباب إضعاف موقفهم؛ لأنّهم بحسب قوله إنّما هم عالة على الأنصار، فيجب أن يكونوا تبعًا لهم لا قادة، ومأمورين لا آمرين، محاولاً بذلك تحقيق إقصاء الخلافة عنهم وحصرها على الأنصار دون منازع.

ومن ضمن الأفعال الإنجازيّة التعبيرية في هذه الخطب والمحاورات ما ورد في قول عمر وأبي عبيدة–رضي الله عنهما– حينما وافق القوم على أن تكون الخلافة في قريش، وعرضهما أبوبكر–رضي الله عنه– ليختار المجتمعون واحدًا منهما، فقالا:" لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك، فإنّك أفضل المهاجرين، وثاني اثنين إذ هما في الغار، وخليفة رسول الله على الصلاة"[2]، فما أورداه من صفات تميّز أبا بكر عنهما: "أفضل المهاجرين..." في محتواه القضوي أفضلية أبي بكر عليهما، والفعل المنجز في هذا الخطاب هو تزكية أبي بكر والاحتفاء به وإعلاء قدره؛ وهو عمل سياسي فيه تأكيد أنّه لا أحد يدانيه في هذا الفضل؛ ومن ثمّ لا خلافة لغيره لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢٢٠، والكامل، ابن الأثير ٢/١٩١، وصيغته:" فإن الناس في ظلكم"، وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:١/٦٤.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢٢١، والكامل، ابن الأثير ٢/١٩١، وليس فيه:" وثاني اثنين إذ هما في الغار"، وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت:١/٦٥.

وقد ورد في أكثر المصادر ما يفيد عتب بعضهم على سعد بن عبادة بعد أن صار الأمر إلى أبي بكر، فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة. فقال عمر: قتله الله"[١]، ويمكن أن يندرج هذا تحت هذه الأفعال التعبيريّة؛ لما فيه من تعبير عن مشاعر الحزن على ما آل إليه سعد بن عبادة وفوات الأمر العظيم – الذي متّى نفسه به- عليه، ووفق ما تقتضيه هذه الأفعال، فالمحتوى القضوي من هذا الفعل الإنجازيّ هو تقريع سعد بن عباده على تسرعه في تأليب قومه الأنصار على إخوانهم المهاجرين، ومحاولته الاستئثار بالخلافة دونهم، ثم خروجه منها خالي الوفاض، والقوة الغرضية هي صيغة الإخبار "قتلتم"، ودرءًا للفتنة واتقاء لها أجاب عمر-رضي الله عنه- قائلاً: "قتله الله"، أي أن هذا أمر قضاه الله، وفي هذا أيضًا فعل إنجازيّ بقوته الغرضية الإخبار ومحتواه الدعوة إلى الرضا بقضاء الله وقدره.

خامسًا – التصريحيات في مقاصد خطابة السقيفة:

وقد سمّاها أوستن(ت١٩٦٠م) أفعال الإيضاح، ويقول إنّها: " أصعب الأصناف الكلاميّة تعريفًا، ولكنّها عمومًا تبيّن كيف أنّ العبارات المنطوق بها تجري مجرى الاحتجاج والنقاش، كما تكشف كيف أنّنا نستخدم الألفاظ، وبوجهٍ عامّ يصلح هذا الصنف لطريقة العرض"[٢]، وترجمها آخرون عند سيرل

(١) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٢٢٢/٣، والكامل، ابن الأثير ١٨٩/٢، والصيغة عنده:" فقلت: قتل الله سعداً"، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم (٣٦٦٧-٣٦٦٨)،٢٤/٧.

(٢) نظرية أفعال الكلام العامة-كيف ننجز الأفعال بالكلمات-، أوستين:١٧٥.

بمعنى الإعلانيات؛ وذلك لأنّ "الخصيصة المحدّدة لهذه الفئة هي أنّ الأداء الناجح لأي عضو من أعضائها يحدث تناظرًا بين المحتوى القضويّ والوجود الخارجيّ ... فإذا أنجزت أنا بصورة ناجحة فعل توظيفك رئيسًا للجنة معينة، إذن فأنت رئيس لهذه اللجنة، وإذا أنجزت بصورة ناجحة فعل إعلان حالة الحرب، إذن فالحرب معدّة"(١)، فالإيضاح بحسب أوستن، والتصريح أو الإعلان بحسب سيرل هو أنّ في كلّ فعل إنجازيّ قوّة إنجازية تجعل محتوى الفعل القضوي مساويًا للوجود الخارجيّ بمجرد النطق بالفعل.

ويتساوى في هذه الأفعال المحتوى القضوي والقوة الغرضية؛ ففي التصريحات: "أنت مطرود"، و"أنا مستقيل"، تستوي القوة الغرضية والمحتوى القضوي(٢)؛ بمعنى أنّ المنجز من الفعل الأول: الفصل عن العمل لا شيء غيره، وكذا في الفعل الثاني: التخلّي والترك واقع لا محالة، ولا تصدر هذه الأفعال عمن ليس له قوة إنجازية أي سلطة فعلية.

وهذه الأفعال تصلح لتفسير وجهات النظر وتقديم الحجج، وتوضيح استعمالاتنا للألفاظ(٣)، غير أنّ لطبيعتها المعقدة –كما بيّنا آنفًا – لم يكن لها حظّ وافر في هذه المدونة الخطابيّة، ربّما لأنّ النفوس لدى الفريقين مسكونة بروح الوفاق وحبّ الجماعة، أو لعل هذه السلطة القولية لم تكن قد استقرت

(١) التحليل اللغويّ عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق:٢٣٥.

(٢) انظر: العقل واللغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الواقعي)، جون سيرل، ترجمة سعيد الغانمي:٢١٩، والتحليل اللغويّ عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق: ٢٣٦.

(٣) انظر: نظرية أفعال الكلام العامة-كيف ننجز الأفعال بالكلمات-، أوستين:١٨٣.

بعدُ عند طرف دون آخر بمقتضى حضور الرسول صلى الله عليه وسلم بين يديهم، صاحب السلطة الروحية العليا، وجسده الطاهر المسجى قريبا منهم لما يوارى الثرى بعد، وأما ما أبداه بعض زعماء الأنصار فهو لا يعبّر عن العامة.

ويمكن أن نصّنف في هذه الأفعال قول سعد بن عبادة–رضي الله عنه– لقومه: "استبدّوا بهذا الأمر دون الناس، فإنّه لكم دون الناس"، فهذا فعل إنجازيّ غير مباشر من جنس التصريحيات المحرضة على التمسّك بالخلافة؛ ولما كان التوجيه من سيّدٍ وزعيم تساوى في ذلك المحتوى القضوي للفعل وقوّته الغرضية، فكان ردّ فعل القوم أن أجابوه " بأجمعهم أن قد وُفِّقْتَ في الرَّأي وأصبت في القول، ولن نعدو ما رأيت، ونولّيك هذا الأمر، فإنك فينا مَقْنعٌ ولصالح المؤمنين رضا"(١)، فكان قوله لهم أشبه بإعلان صريح وليس مجرد توجيه وإصدار أمر؛ فمن ثمّ جاءت النتيجة المنجزة من الفعل مطابقة له؛ بأن وافقوه الرأي وأمّنوا على أن يكون الأمر له دون غيره.

وقد قلّت هذه الأفعال في هذه المدونة قياسًا بالأفعال الأخرى؛ وذلك لطبيعة الأفعال التصريحية التي يتساوى فيها المحتوى القضوي والقوة الغرضية؛ ممّا يجعل الفعل منجزًا لا محالة – بغض النظر عما تترتب عليه من نتائج – فتوظيف هذه الأفعال يصعّد الصراع بين الفريقين، ويقود–ربما– إلى الحرب والاقتتال، ذلك أن الصراع القولي يمكن أن يكون مقدمة للصراع المادي بين مختلف

(١) تاريخ الرسل والملوك، الطبري:٣/٢٢١، والكامل في التاريخ، ابن الأثير٢/١٨٩–١٩٠. وصيغته:" قد وُفِّقْتَ وأصبتَ الرَّأي، ونحن نولّيك هذا الأمر، فإنك مَقْنعٌ ورضا للمؤمنين".

المتنازعين، وهذا ما لم يرده أي واحد من الطرفين، حتى زعماء الأنصار على الرغم من حدّتهم لم يندّ عنهم إلا رأي الحباب–رضي الله عنه– الذي بدا وكأنه يعلن القتال بقوله مهدّدًا المهاجرين: " أما والله لئن شئتم لنعيدنّها جذعة"(١)، ولعلّ هذا الفعل أقرب كذلك إلى هذا الجنس من الأفعال الإنجازيّة، ففيه تهديد وتصعيد، وإعلان ضمني للحرب، وقد فهم الفاروق عمر بن الخطاب–رضي الله عنه– ما يقصده الحباب، فردّ عليه: "إذن يقتلك الله، فقال الحباب: بل إيّاك يقتل"(٢)، فالحباب يلوّح بالحرب بوصفها بديلًا قد يكون حاضرًا بقوله :" إن شئتم"؛ ليجعل الأمر بيد المهاجرين، ومشيئتهم في ذلك تتمثّل في منازعة الأنصار في الخلافة – بحسب طرح الحباب – ولعلّ هذا ما جعل بشير بن سعد–رضي الله عنه– يتدخّل بقوله الوفاقي الذي حسم أمر الخلافة بأن تكون في المهاجرين بقول صريح:" وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبدًا، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم"(٣)، فانتهى الخطاب إلى أبي بكر–رضي الله عنه– فخيّر الناس بين عمر وأبي عبيدة–رضي الله عنهما–، وهما أجمعا على أن تكون الخلافة له دون منازع.

كما يمكن أن يُدرج ضمن أفعال التصريحيات ما ورد في روايات المؤرخين، وفيها:" ولما رأت الأوس ما صنع بشير وما تطلب الخزرج من تأمير سعد، قال

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير:٢/١٩١. وورد قوله هذا في: البيان والتبيين، للجاحظ: ٢/٢٩٧ بصيغة:" إن شئتم كررناها جذعة..."

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير:٢/١٩١.

(٣) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

بعضهم لبعض، وفيهم أسيد بن حضير، وكان نقيباً: والله لئن وَلَيتْها الخزرج مرَّة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبابكر. فبايعوه، فانكسر على سعد والخزرج ما أجمعوا عليه، وأقبل الناس يبايعون أبا بكر من كل جانب"(١)، فالفعل الإنجازي المتضمن في قول أسيد بن حضير-رضي الله عنه-: "والله لئن وليتها الخزرج مرة..." فعل تصريحيّ إذ تساوى فيه المحتوى القضوي والقوة الإنجازيّة، فالأول فحواه التعبير الصريح عن الخطر الذي سيطال الأوس إن آلت الخلافة إلى الخزرج ممثلّة في سعد بن عبادة، وأمّا الثاني (القوة الإنجازيّة) ممثلة في استجابة الأوس لمبايعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه..

وممَّا سبق يتضح أنّ الفعل الإنجازي في هذا النوع من الأفعال يكون - في مكوّنه من حيث محتواه القضوي والقوة الغرضية - أشبه بالفعل ورد الفعل، أو بمعنى آخر يكاد يكون الثاني صدى للأول؛ ولهذا كان هذا النوع قليلًا قياسًا بالأفعال الأخرى.

(١) تاريخ الرسل والملوك، الطبري: ٢٢٢/٣، والكامل في التاريخ، ابن الأثير :١٩١/٢-١٩٢.

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة أول نص خطابي حواري في تاريخ القول السياسي بعد الإسلام، واهتمت بركيزتين من أهم ركائز الثقافة التداولية في خطابة يوم السقيفة، هما مقصديّة القول والأفعال الإنجازيّة، وقد كان لهذه الخطابة قيمة تداولية عالية؛ لأنها تعبر عن أولى مظاهر الصراع من أجل تأسيس تصور سياسي للحكم ولإدارة الشأن العام في المجتمع الجديد، فهي ليست أقوالا ذات وظيفة أدبية وإمتاعية فنية فحسب، بل هي أعمال قولية ذات وظيفة إنجازية، وهي مكون من مكونات الفعل السياسي، وتجربة التواصل حول مفاهيم الحكم والسلوك الاجتماعي. وقد توصّلت الدراسة في نهايتها إلى جملة من النتائج التي يمكن إجمالها في الآتي:

- كشفت الدراسة الاتجاهات المتباينة لمتناولي أخبار يوم السقيفة، كلٌّ بحسب مقصديّته وغايته من الرواية، وحسب الصورة التي أراد أن يبنيها لأطراف الصراع، فقد مال أهل الحديث إلى إجمال الرواية دون تفصيل، ولعلّهم لم يعبأوا بالخوض في التفاصيل؛ لصدمة الرواة من جلة الصحابة الذين أخذت مروياتهم بالفقد الجلل بموت الرسول صلى الله عليه وسلم، وبدا ذلك واضحًا من اللغة التي استخدموها في رواية هذه الأخبار، بينما راح المؤرخون وكتاب السير يسردون ما دار من حوارات بدون تحفظ أو ترتيب، أما أهل المدوّنات الأدبيّة فقد أخذوا يفصلون الروايات ليعطوا هذه النصوص طابعًا إنشائيًّا مختلفًا، ولا سيّما المتأخرون منهم؛ و لعل ذلك مما حفزني لاختيار هذه المدونة التاريخيّة؛ فمن ثمّ اعتمدت على مدوّنات أهل الأدب اعتمادًا كبيرًا

مع الإفادة من اختلاف الروايات حينما أجد عبارة هنا أو هناك مشحونة بقيمة تداوليّة أو متشحة بفعل كلاميّ يستدعي قراءته والوقوف عنده لبيان مقصديّة القول منه، وممّا يجدر ذكره أنّ المدونات الأدبيّة نفسها اختلفت في رواياتها وطريقة تراتبية هذه الأخبار، وقد أثرى هذه الاختلاف مادة البحث إثراء كبيرًا، فأفادت الدراسة من كلّ نصّ وجدته في المصادر كلها.

- وضحت الدراسة الخلط في بعض الروايات وبينته، ففرقت بين الخطب التي قالها أبوبكر الصديق-رضي الله عنه- يوم السقيفة (الإثنين) والخطب التي قالها اليوم التالي (الثلاثاء) بعد توليه الخلافة؛ وذلك لأنّ بعض هذه الخطب التي قيلت يوم السقيفة فيها بعض بوادر الخلاف وملامح الصراع، وقد اختلفت هذه المشاعر بعد تولي أبي بكر-رضي الله عنه- الخلافة.
- اختارت الدراسة المنهج التداولي؛ لطبيعة الخطاب التواصلي والتفاعل القولي الذي وجهته مقاصد المتخاطبين، فبرزت الأفعال الإنجازيّة بوصفها الركيزة الرئيسة في هذه الدراسة، فحاولت جاهدًا تتبّع مقاصد هذه الأفعال والكشف عن وظيفتها التواصليّة والمقصديّة، واكتفيت بها دون الآليات التداوليّة الأخرى من مقام وسياق وافتراض مسبق وغير ذلك من الأدوات التداوليّة التي يمكن أن يعالج بها هذا الخطاب في دراسات أخرى مكملة لهذه الفكرة.
- وظّف خطاب يوم السقيفة جملة من الأفعال الإنجازيّة المباشرة منها وغير المباشرة، وقد اشتمل كلّ منها على محتوى قضوي واضح، ومقصديّة منتهاها الحجاج بمشروعيّة الخلافة في جماعة الخطيب دون الآخرين، وقد

تفاوت توظيف هذه الأفعال ومحتواها القضوي ومقصديّتها من طرف إلى آخر؛ فمن ثمّ كانت الإخباريات أوفر حظًّا من غيرها ثمّ تلتها التوجيهيات فالالتزاميات فالتعبيريات فالتصريحيات، وكان ذلك لطبيعة كلّ فعل وما يمكن أن يؤدّيه من مقصد ومبتغى فضلًا عن أهميّة القضية التي يحملها هذا الفعل ممثلة في محتواه القضوي.

- شاعت الإخباريات في خطابات الطرفين؛ المهاجرين والأنصار؛ لما تتميّز به هذه الأفعال من آليات السرد والحديث عن الماضي والرصيد السابق وما يدّعيه كلّ طرف من أطراف الخطاب من صفات وخصائص تميّزت بها جماعته دون الأخرى، غير أنّ التوظيف اختلف من طرف إلى آخر، وكان كل طرف عنصراً من العناصر التي تثري أصول التاريخ الإسلامي وفترة البعثة وما جرى فيها من أحداث ووقائع، فمثلًا سعد بن عبادة–رضي الله عنه– وظّف هذه الأفعال للتذكير بمنزلة الأنصار وما قدّموه لخدمة الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم، بينما وظفها أبوبكر–رضي الله عنه– لذات الغرض ثمّ نحا بها منحىً آخر، ولعلّ ذلك كان من الأسباب التي حملت الأنصار على التسليم بأن تكون الخلافة في المهاجرين؛ إذ وجّه أبوبكر هذه الأفعال للاعتراف بفضل الأنصار ونصرتهم للرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته من المهاجرين، غير أنّ ذلك لا يؤهلهم للخلافة التي لا تدين فيها العرب إلا لقريش، فاتضح من ذلك مقصديّة أبي بكر من هذه الأفعال الإنجازيّة، فكان المقصد منها هو حمل القوم على التسليم بأن المهاجرين–

وهم من قريش- هم أولى الناس بخلافة الرسول القرشي صلى الله عليه وسلم.

- اتضح لنا أن منزلة الخطيب وطبيعة المحتوى القضوي غالباً ما يكون موجّهًا لاختيار الفعل الإنجازيّ، فحينما يكون الخطيب سيدًا وزعيمًا مثل سعد بن عبادة زعيم الأنصار يصبح ما يقوله من أفعال أقرب إلى التوجيهيات والتصريحيّات؛ لأنّ المتلقين من اتّباعه يفهمون أنّ هذا توجيه لإنجاز أمر أو لتنفيذ فعل ما، ولا يكون مجرد تحريض كما هو الحال في خطابة الحباب بن المنذر، فعلى الرغم ممّا أبداه من حدّة في أفعاله التوجيهية فإن ذلك لا يعدو أن يكون أكثر من أنّه تحريضٌ ودفعٌ للقوم إلى المواجهة.
- وظف الخطباء والمتحاورون الأفعال التوجيهية بنسبة عالية، ولعل ما قاد إلى ذلك واستدعاه إنما هو طبيعة المقاصد القوليّة عند الخطباء والمتحاورين في الفريقين ونوعية المقام وحساسيته، فقد وظّفها خطباء الأنصار لتحريض الجماعة بعدم التخلي عن حقّهم في الخلافة، بينما وظّفها خطباء المهاجرين وبعض خطباء الأنصار لتوجيه المطالبين بالخلافة من الأنصار إلى الكفّ عن هذا المطلب، واختلفت درجات التوجيه باختلاف المحتوى القضوي للخطاب ومنزلة الخطيب ومقصد القول، فالتوجيه مثلًا من زعيم الأنصار سعد بن عبادة ومن معه جنح كثيراً إلى الأمر "استبدّوا بالأمر، املكوا عليكم أمركم.." بينما عند أبي بكر ومن وافقه هو من جنس النهي، مثل:" لا تنفسوا، لا تكونوا، لا تنازعونا.."؛ وذلك لمقام التخاطب عند كلّ، فالأول محرّض ومطالب، فهو يأمر أتباعه لإنجاز مبتغاه، والآخر صاحب

حقّ بحكم قربه حكمًا ونسبًا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فمن ثمّ هو يذود ويدافع عن هذا الحقّ بالنهي وطلب الكفّ عن الاعتداء عليه.

- ولطبيعة الأفعال الالتزاميّة ومقاصدها لم يكن لخطباء الأنصار نصيب منها بخلاف المهاجرين وبخاصة أبابكر الذي وظّفها توظيفًا محفزًّا لإقناع الأنصار بأن تكون الخلافة في المهاجرين؛ إذ عرض عليهم التزامًا وقدّم لهم ميثاقًا بأن يكون من المهاجرين الأمراء ومن الأنصار الوزراء وأهل الشورى، وربّما لاتفاق بشير بن سعد مع المهاجرين في مبدئهم وظّف فعلًا التزاميًّا من جنس القسم ليعلن به موقفه الصريح من التسليم بخلافة المهاجرين.
- وللحمولة النفسية التي تنطوي عليها الأفعال التعبيرية وجد أبوبكر مندوحة للتأثير بها وجدانيًّا على الأنصار ولحملهم على التسليم بخلافة المهاجرين، وتجلّت مقاصده القولية في الاعتراف بفضلهم في الماضي والشكر لهم على صنيعهم والدعاء لهم بالقبول عند الله "جزاكم الله خيرًا" وغير ذلك من الأفعال التي صنعت لأبي بكر صورة الخليفة وصاحب السلطة الروحية الجديد، وخاطبت نفوس الأنصار أكثر من مخاطبتها عقولها وتركت فيهم الأثر الساحر؛ ممّا حملهم على التنازل عن المطالبة الخلافة.
- ونظرًا لطبيعة الأفعال التصريحية التي تستلزم تساوي المحتوى القضوي والقوة الغرضية كانت أقلّ حضورًا في هذه المدونة قياسًا بجميع الأفعال، ولا نكاد نجد لها حضوراً إلا في بعض كلمات سعد بن عبادة والحباب بن المنذر، وربّما لأنّ المتحاورين في أخذ وردّ وكلّ يعرض ما يقتضي التحاور فيه، والاتفاق عليه لم يكن لهذه الأفعال نصيب وافر في هذا الخطاب.

وبعد هذا فقد جاءت نصوص يوم السقيفة وأخبارها زاخرة بكثير من القضايا والموضوعات السياسية والاجتماعية، وهي لا تزال بحاجة إلى دراسات أخرى وفق آليات المنهج التداولي نفسه فضلًا عن المناهج النقديّة الأخرى، فالحجاج والافتراض المسبق والمقام والسياق وغير ذلك من آليات المنهج التداولي، كلّها يمكن أن تكون مداخل أخرى للكشف عن كثير ممّا في هذه النصوص من مقوّمات خطابيّة، ولتوضيح ملابسات العصر الإسلامي الأول وزمن التأسيس، كما يمكن أن يتناول باحث آخر الخصائص الإنشائية أو الآليات السرديّة؛ ليبقى بذلك الباب واسعًا لكثير من الدراسات التي ستثري هذه النصوص النثرية الفريدة لا محالة.

ثبت المصادر والمراجع:

١-آثار المدينة المنورة، عبد القدوس الأنصاري، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الثالثة،١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

٢-الأجناس الوجيزة في النثر العربي القديم، جميل بن علي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة، جامعة سوسة، تونس، الطبعة الأولى،٢٠١٣م.

٣-أخبار المدينة، محمد بن الحسن بن زبالة، جمع وتوثيق ودراسة صلاح بن عبد العزيز سلامة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، الطبعة الأولى،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٤- أدب الكاتب، لابن قتيبة، شرح وتقديم علي فاعور، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الأولى، مصورة عن طبعة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٥- إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

٦- إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق مشهور حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٧- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، دار المعرفة الجامعية، مصر، د.ط، ٢٠٠٢م.

٨- أفاويق أدبية، أبحاث في الأدب العربي القديم، بحث "الأجناس النثرية الوجيزة للصحابة"، عبد الكريم بن عبد الله العبد الكريم، مكتبة روائع المملكة، الرياض، الطبعة الأولى،١٤٤٠هـ/٢٠١٩م، وأصله بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، ع١٥٩، ١٤٣٣هـ.

٩- البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، تحقيق فؤاد السيد وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨/١٩٨٨م.

١٠- البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب، تحقيق أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، طبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى،١٩٦٧م.

١١- البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، د.ت.
١٢-التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ودار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م
١٣- تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، د.ت.
١٤- تحليل الخطاب الحجاجي وفق استراتيجية الإيتوس في المشروع البلاغي لمحمد مشبال، غالم عبدالصمد، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، الجزائر، مجلد ٨، عدد ٥، سنة ٢٠٠٩م.
١٥- تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناص، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م.
١٦- التحليل اللغويّ عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
١٧- التداولية، جورج بول، ترجمة قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
١٨- التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراكية، صالح بن الهادي رمضان، منشورات النادي الأدبي بالرياض، والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ/٢٠١٥م.
١٩- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٥٢/١٩٣٣م.
٢٠- الخطابة، لأرسطو، ترجمه وقدم له وحقق نصوصه إبراهيم سلامه، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط،١٩٥٩م.
٢١- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة،١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٢٢- الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، صالح بن رمضان، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس، ودار الفارابي، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.
٢٣- السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق عمر بن عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٢٤- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد الزهري، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى،١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
٢٥- العقد الفريد، ابن عبد ربه، شرح أحمد أمين وأحمد الزين وإبرهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٤٩-١٩٦٥م.
٢٦- العقل واللغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الواقعي)، جون سيرل، ترجمة سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
٢٧- علم النَّصّ، مدخل متداخل الاختصاصات، فاين دايك، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
٢٨- عيون الأخبار، ابن قتيبة، شرح وتعليق يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٢٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
٣٠- في البراجماتية: الأفعال الإنجازيّة في العربيّة المعاصرة، دراسة دلاليّة ومعجم سياقي، علي محمود حجي الصراف، القاهرة، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
٣١- في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
٣٢- القاموس الموسوعي للتداولية، بحث:" التداولية واللسان والعرفان" تعريب شكري المبخوت، المركز الوطني للترجمة، تونس،٢٠١٠م.
٣٣- الكامل في التاريخ، عز الدين ابن الأثير، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

٣٤- الكلام والخبر: مقدمة للسرد العربي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى،١٩٩٧م.
٣٥- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم الشاذلي، طبعة دار المعارف، الطبعة الأولى، د.ت.
٣٦- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربيّ، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
٣٧- مبدأ القصدية والطابع التداوليّ لخطاب الشاطبي الأصولي- نحو تأويل كليّ، عبد الغني بارة، جامعة فرحات عباس – سطيف/ الجزائر:١٩، رابط شبكي للموقع بتاريخ ٢٠٢٠/٧/٩م: rodin.uca.es/xmlui/bitstream/handle
٣٨- مجمع الأمثال، أبو الفضل الميداني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٣٩- مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، د.ط، د.ت
٤٠- المستدرك على الصحيحين، الإمام الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
٤١- مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، شرحه وصنع فهارسه أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٤٢- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومنيك مانقونو، ترجمة محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
٤٣- المغانم المطابة في معالم طابة، مجد الدين أبي الطاهر محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، تحقيق حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة الأولى،١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.
٤٤- مقاصد الشريعة الإسلاميّة، الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.

٤٥- المقصديّة في الخطاب السردي المعاصر – الرواية المغربيّة أنموذجًا – قراءة تداوليّة، نعار محمد، أطروحة دكتوراه، الجزائر، جامعة أبي بكر بلقايد،٢٠١٣م.
٤٦-منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الثانية،١٤١١هـ/١٩٩١م.
٤٧- نحو منظور تداولي لدراسة البلاغة العربية، مشروع لربط البلاغة بالاتصال، خليفة بوجادي، ضمن سجل بحوث ندوة "الدراسات البلاغية: الواقع والمأمول" بكلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، مطابع الجامعة، الرياض الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.
٤٨- نحو وعي ثقافي جديد، عبد السلام المسدي، سلسلة دبي الثقافية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
٤٩- نظرية الأجناس الأدبية في التراث النثري، جدلية الحضور والغياب، عبد العزيز شبيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة، تونس، ودار محمد علي الحامي، صفاقس، الطبعة الأولى،٢٠٠١م.
٥٠- نظرية أفعال الكلام العامّة –كيف ننجز الأشياء بالكلام-، جون أوستن، ترجمة عبد القادر قينيني، الدار البيضاء، دار إفريقيا الشرق، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
٥١- النظرية التداوليّة، المفهوم والتصور، رضوان الرقبي، صحيفة المثقف، العدد ٤٢٦٨، بتاريخ ١٣/ ٥/ ٢٠١٨م.
٥٢-وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

أسرار تناسب الآياتِ
المختومة بأسماء الله الحُسنى مع السياق

د. خالد بن محمد العثيم
كلية الملك خالد العسكرية

أسرار تناسب الآياتِ المختومة بأسماء الله الحُسنى مع السياق

د. خالد بن محمد العثيم
كلية الملك خالد العسكرية

تاريخ تقديم البحث: ٤/ ٢/ ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ٢٩/ ٣/ ١٤٤٢ هـ

ملخص الدراسة:

نظم القرآن مليء بالأسرار البلاغية، وللسياق أهميته في كشف هذه الأسرار وتتبع مظانِّها، ويُعنى هذا البحث بالكشف عن أهمية السياق والقرائن التي جعلت الآية تختم بهذا الاسم دون ما سواه من أسماء الله الحسنى، وعلى خلاف ما يظنه المتلقي والقارئ لهذا القرآن العظيم.

ولما كان للسياق دور فاعل في توجيه المعنى الذي استدعى هذه الخواتيم، كان هذا البحث للكشف عن تلك الأسرار.

الكلمات المفتاحية: التناسب، السياق، الأسرار البلاغية، النظم القرآني.

Impact of the Context on the Endings of VersesConcluded with the Most Beautiful Names

Dr. Khaled Bin Mohamed Al-Othaiyem
King Khaled Military College

Abstract:

Rhetoric of the Qur'an is replete with many eloquent secrets. The context has a very important role to do in revealing these secrets and identifying their positions. As such, this paper attempts to highlight the significance of the context and the reasons why these verses were concluded with a very specific Name, not any other Name else – an ending which might be unexpected by the reciter of and listener to this Great Qur'an .

Out of the fact that context has an effective role in conveying the meaning that necessitates these very particular endings, this paper aims to reveal these secrets.

key words: context, rhetorical secrets, rhetoric of the Qur'an

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، الحق المبين، والصلاة والسلام على أبلغ الخلق وخاتم المرسلين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد:

فإن أسلوب القرآن الكريم أرض خصبة لكل زارع، وحصاده دائم يؤتاه الباحثون بإذن ربهم، ولمحبة الباحث لأسلوب هذا القرآن العظيم، ولأسماء الله الحسنى التي من أحصاها دخل الجنة، كان هذا البحث الذي يتغيّا فيه الباحث أن يظفر بسرٍّ من أسرار ختم الآيات بأسمائه الحسنى، وملاءمة هذا الاسم دون ما سواه، مع أنه يتبادر لذهن القارئ أنه لو كان الختم بغيره من الأسماء لكان أنسب، ويُعنى هذا البحث بالكشف عن أهمية السياق والقرائن التي جعلت هذا الاسم خاتماً للآية دون ما سواه وعلى خلاف توقع المتلقي.

وكان منهجي في اختيار الآيات يتم وفق ما يلي:

أولاً: الاستقراء، فقد استعرضت آيات القرآن كلّها، وما يسبق لفهمي أن تختم به الآية، ثم يأتي الختم على خلاف ذلك قيّدته؛ لأن كثيراً من الآيات يسبق للفهم أن تختم بغفور رحيم، فتختم بذلك وهو ما أشار إليه علماء البلاغة في مبحث (مراعاة النظير)، أو تحت مسمَّى (تشابه الأطراف)، كما في قصة الأعرابي حول آية "والسارق والسارقة...".

فهذه الآية بحثها العلماء كثيراً ومناسبة ختمها بـ(عزيز حكيم)، ولم أتطرق إليها؛ لأنها لا تدخل في المنهج الذي رسمته، وأن الآيات المقصودة في بحثي هي التي تختم بخلاف ما يتبادر إلى ذهن القارئ.

ثانياً: الاستهداء بكلام العلماء حول الآيات التي اخترتها، وهل هي موافقة للمنهج الذي رسمته، وسرت على سننه، فإن وجدت ما يقوي ذلك أثبت الآية، وبحثت عن سر ذلك الختم.

ولما كان للسياق دور فاعل في توجيه المعنى الذي استدعى هذه الخواتيم، جاء هذا البحث؛ للكشف عن أسرار خاتمة الآيات لهذه الأسماء، في ضوء فهم السياق.

ويأتي البحث في مقدمة، ومبحثين:

المبحث الأوَّل: السياق، معناه، ودلالته، وأهميته.

المبحث الثاني: مناسبة ختم الآية بأسمائه الحسنى.

المبحث الأوَّل: السياق معناه، ودلالته، وأهميته

السياق في اللغة:

ذهب ابن فارس إلى أن "السين والواو والقاف أصلٌ واحد، وهو حدوُ الشيء. يقال: ساقه يسُوقُه سَوقاً، والسَّيِّقة: ما استيق من الدواب"(١).

وقال ابن منظور: "السَّوق: معروف. ساق الإبل وغيرها يسُوقها سَوْقاً وسِياقاً، وهو سائق وسوَّاق، شُدِّد للمبالغة..."(٢).

وقد انساقَت وتَساوَقَتْ الإبلُ تَساوقاً إذا تتابعت، وكذلك تفاودت فهي مُتقاودة ومتساوقة.

وفي حديث أم مَعْبد: فجاء زوجها يَسُوق أعْنُزاً ما تساوق، أي ما تتابع. والمساوَقة: المتابعة كأنَّ بعضها يسوق بعضاً.

وساق إليها الصَّداقَ والمهرَ سياقاً وأساقَه، وإن كان دراهم أو دنانير؛ لأن أصل الصداق عند العرب الإبلُ، وهي التي تُسَاقُ، فاستعمل ذلك في الدرهم والدينار وغيرهما... والسِّياق: المهر(٣).

وقال الزمخشري (ت٥٣٨هـ): "ومن المجاز: هو يسوق الحديث أحسن سياق. وإليك سياق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه أي سَرْدِه"(٤).

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ١١٧/٣.

(٢) لسان العرب: مادة (سوق)، (١٦٦/١٠).

(٣) ينظر: المصدر نفسه: مادة (سوق)، (١٦٦/١٠).

(٤) أساس البلاغة: ٣١٤.

ويقصد بالسرد التوالي والتتابع كما في قوله: "سرد الحديث والقراءة جاء بهما على ولاء"[١].

وللسياق حضوره في التراث العربي بهذه الصيغة (السياق)، أو بصيغ أخرى تؤدي نفس المفهوم عند اللغويين، والبلاغيين، والأصوليين، والمفسرين؛ كالحال، والمشاهدة، والدليل، والقرينة، والمقام، والموقف، والبلاغيون يستخدمون كثيراً مصطلحات الحال والمقتضى، ومقتضى الحال[٢].

والسياق يطلق ويراد به السياق اللغوي وكان أوَّل من استخدمه بهذا المعنى الشافعي (ت٢٠٤هـ) حين عقد باباً في الرسالة أسماه (باب الصنف يبين سياقه معناه)[٣].

وفي موضع آخر نراه يشير إليه دون أن يذكر المصطلح بعينه فيقول: "وتبتدئ العرب الشيء من كلامها، يبين أوَّل لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه من أوله"[٤].

واستعمل الشاطبي (ت٧٩٠هـ) لفظ (المساق)، ويعني به السياق بنوعيه سياق النص، وسياق الموقف؛ إذ يقول: "المساقات تختلف باختلاف الأحوال، والأوقات، والنوازل، وهذا معلوم في علم المعاني والبيان، والذي يكون على بالٍ

---

(١) المصدر نفسه: ٣٩٢.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٩٢، ومفتاح العلوم: ٦١، ٦٣، وتلخيص المفتاح: ٣٣، وعروس الأفراح: (١/١٥٥).

(٣) الرسالة: ٦٢.

(٤) المصدر نفسه: ٥٢.

من المستمع والمتفهم الالتفات إلى أوَّل الكلام وآخره بحسب القضية، وما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر في أولها دون آخرها، ولا في آخرها دون أولها... ولا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف..."(١).

وقال: وهو يعيب طريقة التوسع في فهم ألفاظ القرآن الكريم، بما يتعدَّى الدلالة الأصلية المقصودة، مستثنياً من ذلك: أنه قول في كتاب الله بالرأي، وذلك بخلاف الكناية في مثل قوله تعالى: ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴿٤٣﴾﴾ (٢)، "فإنه شائع في كلام العرب، مفهوم من مساق الكلام"(٣).

وللزركشي إشارة واضحة للسياق عندما أفرد عنواناً، أسماه: (دلالة السياق)، بدأه بالقول: "أنكرها بعضهم، ومن جهل شيئاً أنكره، وقال بعضهم: إنها متفق عليها في مجاري كلام الله تعالى"(٤).

ويُشير السيوطي في مواطن عدّة إلى السياق، وهو مطلع جيّد على آثار من سبقه، وجامع لما تفرق، يقول: "الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن: هو أن تنظر الغرض الذي سيقت له السورة"(٥).

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة: ٣/٤١٣- ٤١٤.

(٢) سورة النساء: ٤٣.

(٣) الموافقات: ٣/٢٧٨.

(٤) البحر المحيط في أصول الفقه: ٦/٥٢.

(٥) الإتقان: ١/١١٠.

وقال بصدد بيان الفرق بين تعبيرين حول موضوع واحد، ورد في سورة البقرة وسورة الأعراف؛ فانفجرت (في البقرة)، وفي الأعراف: (فانبجست)؛ "لأن الانفجار أبلغ في كثرة الماء، فناسب سياق ذكر النعم التعبير به"(١).

وقال وهو بصدد بيان أسباب الخطأ في التفسير بالرأي: "وما يجوز أن يراد به، من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم وسياق الكلام"(٢).

وقال: "ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز"(٣).

قال السيوطي: "على المفسر مراعاة التأليف والغرض الذي سيق له"(٤).

ولقد كان المفسرون من أسبق العلماء الذين اهتموا بالسياق، واستعانوا به وسيلة مهمة من وسائل الكشف عن المعنى المراد للشارع الحكيم، والتفسير بمفهومه الاصطلاحي ينصب على نص خاص، ذي سمات معينة تسوغ خصوصيته، أو تجعله مختلفاً عن بقية النصوص، لعلَّ من أهم هذه السمات التي يمتاز بها النص القرآني أنه: "كلام الله تعالى، المنزل على محمد- صلى الله عليه وسلم-، المتعبد بتلاوته"(٥).

---

(١) المصدر نفسه: ١/١١٥.

(٢) المصدر نفسه: ١/١٧٨.

(٣) المصدر نفسه: ١/١٨٦.

(٤) المصدر نفسه: ١/١٨٥.

(٥) التحبير في علم التفسير: ٣٩.

وهذا التنزل المبارك الذي تعبدنا بتلاوته، أضفى عليه قداسة وجلالاً لدى المسلمين لم يكن لنص آخر، بَيْدَ أنّ هذا الجلال والتقديس للقرآن الكريم لم يقف حائلاً دون دراسته بأشكال ولأغراض وبمناهج مختلفة، فَدُرس لغوياً في كتب معاني القرآن، وغريبه وإعرابه، ودرس أدائياً- قراءة وكتابة- في كتب القراءات صحيحها وشاذها، ورسم المصحف وجمعه...، وتناوله الفقهاء في كتب الأصول والأحكام، وتناوله البلاغيون في كتب الإعجاز وبديع القرآن.

وكل هذه الأشكال من التعامل مع القرآن الكريم كانت باعتباره كتاباً مقدساً معجزاً، ومصدراً للتشريع، وكل من تناول القرآن الكريم بالدرس إنما كان يبحث عن المعنى على وجهٍ من الوجوه، وللمفسرين في البحث عن المراد أو المعنى في القرآن الكريم طريقان هما نوعا التفسير، وهما: التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، فأمَّا التفسير بالمأثور فمعتمده القرآن، والسنة، وأقوال الصحابة[1].

وهذه الطرق الثلاثة للتفسير بالمأثور تعتمد في معظمها على السياق بنوعيه، فهي تعتمد استقراء النصوص (سياق القرآن) فإنه يفسر بعضه بعضاً، أو السنة وهي إن لم تكن فعلاً أو تقريراً فلا شك هي قول أي نص، ففي هذين الطريقين تناول للقرآن الكريم بالنصوص منه ومن السنة، وهذا سياق النص.

أمَّا سياق الموقف فيبدو في أقوال الصحابة في التفسير؛ لأنهم شاهدوا القرائن والأحوال، وهذه القرائن والأحوال تتمثل أولاً في أسباب النزول، فكثير من

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣/١.

الآيات ارتبطت بمواقف وأحوال اقتضت نزولها، وسبب النزول معين على فهم المراد من الآية.

قال ابن تيمية: "ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"(١).

ويعدّ الطبري مفسراً رائداً في تأصيل قاعدة السياق القرآني، واستثمارها في تفسير النصوص، وتتجلَّى هذه الريادة أوَّل ما تتجلَّى في صياغة قواعد السياق، والحث على إعمالها عند النظر في كتاب الله تعالى، ومنها قوله: "ردّ الكلام على الذي أقرب إليه أولى من ردّه على الذي هو أبعد منه"(٢)، وقوله: "غير جائز صرف الكلام عمَّا هو في سياقه إلى غيره، إلاَّ بحجة يجب التسليم لها، من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول- عليه السلام- تقوم به حجة، فأمَّا الدعاوى فلا تتعذر على أحد"(٣).

وفي مجال التطبيق والتنزيل يسترفد الطبري دلالة السياق في الترجيح بين الروايات، واختيار المعنى الأنسب لمساق الكلام ونظمه، واستجلاء الروابط النحوية، والأسلوبية، والمقامية بين الآيات، وقد ألمع إلى هذه المزية الأستاذ المحقق محمود شاكر في تحقيقه لـ (جامع البيان)، حين قال: "لم يغفل عن هذا الترابط الدقيق بين معاني الكتاب، سواء كان ذلك في آيات الأحكام، أو آيات القصص، أو غيرها من نصوص هذا الكتاب، فهو يأخذ المعنى في أوَّل الآية،

(١) فتاوى ابن تيمية: ٣٣٩/١٣.

(٢) جامع البيان: ٨٧/١٦.

(٣) جامع البيان: ٣١/٦.

ثم يسير معه كلمة كلمة، وحرفاً حرفاً، ثم جملة جملة، غير تارك لشيء منه، أو متجاوز عن معنى يدل عليه سياقها"[١].

والناظر في تفسير الطبري لا يعدم الشواهد الغزيرة على الترجيح بدلالة السياق.

ومثال ذلك ما قاله الطبري في سورة الأحقاف: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ ﴿١٠﴾ ﴾[٢]، "والصواب من القول في ذلك عندنا أن الذي قاله مسروق في تأويل ذلك أشبه بظاهر التنزيل؛ لأن قوله: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴿١٠﴾ ﴾ في سياق توبيخ الله تعالى ذكره مشركي قريش"[٣].

والمتتبع لابن جرير في تفسيره يلحظ من تقعيداته في التعامل مع السياق ما يلي:

أولاً: الكلام على اتصال السياق ما لم يدل دليل على انقطاعه.

ثانياً: أولى تفسير للآية ما كان في سياق السورة.

ثالثاً: النظر إلى ابتداء الآيات معين على معرفة مناسبة خاتمتها.

رابعاً: يختار من المعاني ما اتسق وانتظم معه الكلام[٤].

---

(١) ينظر: جامع البيان: ٥٣٧/٤.

(٢) سورة الأحقاف: ١٠.

(٣) جامع البيان: ١٢/١١.

(٤) دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير: ١١١.

وكل قاعدة لها شواهد في تفسيره تبين عن عقلية فذة أسست للمفسرين بعد أن يتأملوا كثيراً في السياق ويعتنوا به في تفاسيرهم.

ولعلَّ الزمخشري، وأبا حيان[١]، وابن عطية[٢] من أبرز المفسرين الذين اعتمدوا السياق في تفسيرهم في بيان المعنى المراد وكونه مرجحاً إذا تعدّدت الأقوال، ولعلَّ أصدق وصف بهذه العناية ما قاله الزركشي عن الزمخشري حين تحدّث عن منهجه وعنايته بالسياق: "ولهذا ترى صاحب الكشاف يجعل الذي سيق له الكلام معتمداً، حتَّى كأن غيره مطروح"[٣].

ويمكننا تقريب السياق القرآني من خلال تعريفه:

السياق القرآني: هو انتظام المعاني وتساوقها في وعاء الألفاظ القرآنية على نحو يفيد الغرض المقصود دون انقطاع.

وحتى نجلي هذا التعريف أتم الجلاء نقف عند كل مفردة من مفرداته:

أ- قولنا: (انتظام المعاني) أي: أنها تنساب انسياباً منتظماً لا تستشعر فيه نبواً أو انثلاماً.

ب- قولنا: (تساوقها) أي: أن المعاني الجزئية تتابع وتترادف لشدّ المعنى الكلي في سياق المقطع أو سياق السورة.

ت- قولنا: (وعاء الألفاظ القرآنية) أي: أن الألفاظ حوامل المعاني، وخدم لها، فهي بمثابة اللِّبن الذي يقيم البناء، وينشئ الصرح.

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ١/١٠٧.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ١/٣٦٠.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ١/١٣٧.

ث- قولنا: (الغرض المقصود) أي: المعنى الكلي الذي يفيده السياق القرآني، وينزل منزلة مقاصد التنزيل، ولا شكَّ أن المعاني المتساوقة المنتظمة تتناصر على إبراز هذا المعنى وتجليته للقارئ المتدبر.

ج- قولنا: (دون انقطاع) أي: أنه لا يوجد فاصل أجنبي بين الآيات، ولا فجوات تقطع أوصال المعاني القرآنية، فالنص القرآني سوراً، ومقاطع، وآيات كالآية الواحدة تضاماً وتلاحماً(١).

والسياق القرآني من حيث العموم والخصوص ثلاثة أنواع:

١- سياق السورة.

٢- سياق المقطع.

٣- سياق الآية، وهو الذي سنبحر في أسرار ختمها بالأسماء الحسنى.

ومناسبة هذا الاسم دون غيره في هذا السياق، ونرى بعض المفسرين أبعد نظراً فلم يقفوا على معنى اللفظ، وإنما تجاوزوا ذلك لتحليل النص الكامل للآية وتناسب جملها وختامها، وتعلق آخرها بأولها، ويتضح ذلك فيما نقله السيوطي: يحكى أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ (٢) فأنكره، وقال: "إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل؛ لأنه إغراء عليه"(٣).

---

(١) نظرية السياق القرآني: ٥٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٠٩، وصحتها: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾.

(٣) التحبير في علم التفسير: ٢٩٠، وينظر: فوائد في مشكل القرآن: ١١٥، ١١٦.

إن التناسب الذي بحثه المفسرون وبعض البلاغيين، ليس إلاَّ تنامياً لما قاله الأعرابي، الذي ربط بين أوَّل الآية وآخرها ربطاً تجاوز المعنى المعجمي في موضعه إلى العلاقة بين الكلمات معجمياً.

ويقول العز بن عبدالسلام (ت٦٦٠هـ): "المختار في الصفات الواردة في القرآن أن تكون مناسبة لسياق ما قرنت به"(١)، ويقصد العز تلك الصفات التي تختم بها الآيات الكريمة من نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾(٢).

ولقي هذا الضرب من النهايات للآيات القرآنية عناية خاصة يشملها موضوع (التناسب).

وهذه النهايات التي ترد في خواتم الآيات سمة بارزة من سمات أسلوب القرآن، ووجهاً فائقاً من أوجه بلاغته، والربط بين بدء الآية وخاتمتها يتأتَّى من خلال دراسة نصية لسياق الآية، وعلاقة أولها بآخرها، أو بعبارة أكثر وضوحاً العلاقة بين المفاهيم المصدرة بها الآية مع الخاتمة ممَّا هو من باب المناسبة، هذه المناسبة السياقية ذات المنحى الدلالي بين أوَّل الآية وآخرها بلغ بها بعض المفسرين مبلغاً تجاوز علاقة التناسب بين الآية وخاتمتها إلى العلاقة بين الآيات وبين السور.

---

(١) فوائد في مشكل القرآن: ١١٥.

(٢) سورة المائدة: ٣٨.

ويظهر ذلك بوضوح فيما سُمِّي (علم المناسبات)، ثم وُسمت بها تفاسير اختصت بهذا النوع من التفسير؛ كتفسير البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، وكتاب تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور للسيوطي.

وفائدة علم المناسبات كما يُشير إليها الزركشي: "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوي بذلك الارتباط، ويصير حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء"(١).

وسوف يكشف لنا المبحث الثاني جمال هذا التلاؤم، وإحكامه، وأن ختم الآيات بأسمائه الحسنى التي وردت فيها هي الأنسب والأبلغ، وإن تبادر لذهن القارئ غير ذلك، كما سيأتي في عرض الآيات واستجلاء أسرارها وحكمها.

(١) المصدر السابق: ١/١٣١.

المبحث الثاني: مناسبة ختم الآية بأسمائه الحسنى

أجمع علماء الإعجاز على أن التناسب من أوجه إعجاز القرآن، غير أن منهم من اهتم بالتناسب اللفظي؛ كالرماني، وعقد له أبواباً في رسالة (النكت في إعجاز القرآن)، كلها تتصل بهذا الوجه من التناسب، وهي: باب التلاؤم، وباب الفواصل، وباب التجانس(١)، ومن العلماء من صرف الاهتمام إلى التناسب المعنوي؛ كشيخ البلاغيين عبدالقاهر الجرجاني، وهذا الاهتمام يعكسه حديثه عن تلاؤم الألفاظ وترتيبها بحسب ترتيب المعاني وتتابعها، يقول: "فقد اتضح اتضاحاً لا يدع للشك مجالاً أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ، ولا من حيث هي كلمة مفردة، وأن الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ"(٢).

وجهود العلماء في ذلك تتكامل ولا تتفاضل، وتتظافر ولا تتنافر وكل منهم مجتهد في سبر أسرار هذا القرآن المعجز.

والمناسبة في اللغة: المقاربة، والمشاكلة، والانسجام(٣).

وفي الاصطلاح: هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه.

والمناسبة في القرآن هي: علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقته المعاني لما اقتضاه من الحال(٤).

---

(١) ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٨٨.

(٢) دلائل الإعجاز: ٥٠.

(٣) ينظر: الصحاح، مادة (نسب)، ولسان العرب، مادة (نسب).

(٤) نظم الدرر: ٦/١.

وقد عرف الإمام بدر الدين الزركشي المناسبة، فقال: "المناسبة: أمر معقول، إذا عُرض على العقول تلقته بالقبول، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتيمها، ومرجعها- والله أعلم- إلى معنى ما رابط بينهما: عام أو خاص، عقلي، أو حسي، أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني؛ كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين، ونحوه أو التلازم الخارجي؛ كالمترتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر... وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء..."(١).

وأوَّل من أظهر علم المناسبة: الإمام أبو بكر عبدالله بن محمد النيسابوري (ت٣٢٤هـ).

قال الشيخ أبو الحسن الشهرابانى: "أوَّل من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي: إذا قرئ عليه الآية: لِمَ جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟، وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟، وكان يزرى على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة.

وقال الرازي: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"(٢).

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ١/٣٥ - ٣٦.

(٢) المصدر نفسه: ١/٣٦.

وقد أدرك الصحابة- رضي الله عنهم- هذه المناسبات، فقد روي أن بعض الصحابة بادر إلى ختم آية حين سمع أولها، فعن زيد بن ثابت، قال: (أملى على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- هذه الآية: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾[1] إلى قوله: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴿١٤﴾ ﴾[2]، قال معاذ بن جبل: "فتبارك الله أحسن الخالقين"، فضحك رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، فقال له معاذ: مم ضحكت يا رسول الله؟، قال: بها ختمت[3].

وحكي أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غفور رحيم ﴿٢٠٩﴾ ﴾ ولم يكن يقرأ القرآن، فقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم، لا يذكر الغفران عند الزلل؛ لأنه إغراء عليه، فلمَّا قيل له: إن القراءة: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾[4]، قال: بخ بخ، عز فحكم[5].

ويتعدد أنواع المناسبة في القرآن، فمنها مناسبة السور، ومناسبة المعقد[6]، ومناسبة الموضوعات، ومناسبة أجزاء الآية الواحدة، وملاءمة ختمها بهذه

---

(١) سورة المؤمنون: ١٢.

(٢) سورة المؤمنون: ١٤.

(٣) أخرجه ابن حجرفي المطالب العالية: ١٣٧/٤، وفيه سنده جابر الجعفي ضعيف.

(٤) سورة البقرة: ٢٠٩.

(٥) ينظر: الإتقان: ١٠١/٢.

(٦) هو المجموعة من الآيات، وهذه التسمية كثيراً ما يرددها شيخنا د. محمود توفيق محمد سعد، ويسميه آخرون فصلاً. ينظر: سبل استنباط المعاني: ٧٨.

الأسماء الحسنى دون غيرها، وتعلقها الوثيق بمضمون الآية وتناسبها مع سياق نظمها.

والشواهد التي سنعرض لها ستكون من الآيات التي يتبادر إلى ذهن المتلقي أن ختم الآية سيكون بغير الأسماء التي ختمت بها الآية، لكن القرآن لا يعطي أسراره إلاَّ لمن سبر أغواره.

أولاً: ما ختم بـ (العزيز الحكيم):

وردت عدّة آيات ختمت بالعزيز الحكيم، والقارئ يظن أن ختمها بالغفور الرحيم أنسب للسياق؛ لتقدم طلب المغفرة في الآية، ومن أكثر الآيات التي وقف عندها المفسرون لاستجلاء السر في ختم الآية بالعزيز الحكيم آية المائدة، قال تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[1].

الآية وردت في سياق بيان نِعم الله على أتباع عيسى- عليه السلام-، وإنزال المائدة عليهم، وتبكيت النصارى على لسان عيسى حين اتخذوه وأمه إلهين من دون الله، وبراءة عيسى ممَّا فعلوه وتنزيه الله عن ذلك، وتفويض أمرهم إلى الله بالعذاب أو الغفران.

وقوله: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ ﴾

بدأ بالعذاب؛ لأنهم فعلوا ما يستوجب العذاب وهو الشرك، وقد وجه العلماء سر مناسبة ختم الآية بالعزيز الحكيم، مع أنه يتبادر للذهن ختمها بالمغفرة والرحمة، وممَّا قالوه:

أ- أنه لو ختم الآية بالمغفرة والرحمة لكان التعلق بالشرط الثاني، ولا يكون له تعلق بالشرط الأوَّل، في حين أن ختمه بالعزة والحكمة متعلق بالشرطين، فإن تعذيبه ومغفرته مَنُوطان بعزته وحكمته، "فكان العزيز الحكيم أليق بهذا المكان؛ لعمومه، وأنه يجمع الشرطين، ولم يصلح (الغفور الرحيم) أن يحتمله ما احتمله العزيز الحكيم".

---

(١) سورة المائدة: ١١٨.

قال الألوسي: "وادعى بعضهم أنهما متعلقان بالشرطين لا بالثاني فقط، وحينئذ وجه مناسبتهما لا سترة عليه، فإنَّ مَنْ له الفعل والترك عزيز حكيم"(١).

ومعنى ذلك أن اختيار (العزيز الحكيم) متعلقٌ بالثواب والعقاب جميعاً.

قال الزمخشري: "وإن تغفر لهم، فإنك أنت العزيز، القوي، القادر على الثواب والعقاب، الحكيم الذي لا يُثيبُ ولا يعاقب إلاَّ عن حكمةٍ وصواب.

فإن قلت: المغفرة لا تكون للكفار، فكيف قال: ﴿ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ ﴾ ؟، قلت: ما قال إنك تغفرُ لهم، ولكنه بنى الكلام على إنْ غفرتَ لهم، فقال: إن عذبتهم عدلتَ؛ لأنهم أحقاء بالعذاب، وإن غفرتَ لهم مع كفرهم، لم تعدم في المغفرة وجه حكمة؛ لأن المغفرة حسنة لكل مجرم في العقول، بل متى كان الجرم أعظم جرماً كان العفو عنه أحسن"(٢).

ب- الآية مبنية على التسليم لله سبحانه، وتفويض الأمر إليه وليس على التعريض بطلب المغفرة.

جاء في (ملاك التأويل): "أمَّا آية المائدة فمبنية على التسليم لله سبحانه، وأنه المالك للكل، يفعلُ فيهم ما شاء، فلو ورد هنا عقب آية المائدة: (وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم) لكان تعريضاً بطلب المغفرة، ولم يقصد ذلك في الآية، وإنما قيل ذلك على لسان عيسى، تبرياً وتسليماً لله سبحانه، وليس موضع طلب مغفرة لهم، وإنما هو تَنصُّلٌ من حالهم، وتسليم لله فيهم.

---

(١) روح المعاني: ٦٨/٤.

(٢) الكشاف: ٦٩٧/١.

قال الغزنوي- رحمه الله-: "لم يقل: (الغفور الرحيم)؛ لأن مخرجه على التسليم، ولأن في ذكر العفو تعريضاً للسائل، والكلام لتسليم الأمرين، والحكمة تقتضيهما وكأنه قال: المغفرةُ لا تُنقِصُ من عِزّكَ، ولا تَخرجُ عن حكمتك"(١).

وقال ابن جزي: "يظهر لي أنه لما قصد التسليم لله والتعظيم له كان قوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أليق، فإن الحكمة تقتضي التسليم له، والعزة تقتضي التعظيم له، فإن العزيز هو الذي يفعل ما يريد ولا يغلبه غيرهُ، ولا يمتنع عليه شيءٌ أراده، فاقتضى الكلام تفويض الأمر إلى الله في المغفرة لهم أو عدم المغفرة؛ لأنه قادرٌ على كلا الأمرين لعزته، وأيهما فعل فهو جميل لحكمته"(٢).

ح- أن ذكر (العزيز الحكيم) من باب الاحتراس، وذلك أنه "لا يغفر لمن استحق العذاب إلاَّ مَنْ ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه، فهو العزيز، أي: الغالب، والحكيم: هو الذي يضع الشيء في محله، وقد يَخْفى وجه الحكمة على بعض الضعفاء في بعض الأفعال، فيتوهم أنه خارج عنها، وليس كذلك، فكان في الوصف بـ(الحكيم) احتراسٌ حسن، أي: وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحدٍ في ذلك، والحكمةُ فيما فعلته"(٣).

---

(١) ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي: ١/١٣٨.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٩٥.

(٣) ينظر: البرهان للزركشي: ١/٨٩، والإتقان للسيوطي: ٣/٣٥٢.

قال الألوسي: "إن ذكرهما من باب الاحتراس؛ لأن ترك عقاب الجاني قد يكون لعجز في القدرة، أو لإهمال ينافي الحكمة، فدفعَ تَوهُّمَ ذلك بذكرهما"(١).

خ- أن المقام مقام تَبرؤٍ ممَّا نُسِبَ إليه، وليس مقام طلبِ عفوٍ ومغفرة، فلا يصح في هذا المقام الصفح والمغفرة.

قال الزركشي: "وقيل لأنه مقام تَبرّ، فلم يذكر الصفةَ المقتضيةَ استمطارَ العفوِ لهم، وذكر صفة العدل في ذلك، بأنه العزيز الغالب، وقوله: (الحكيم) الذي يضع الأشياء في مواضعها فلا يعترض عليه، إن عفا عمَّن يستحق العقوبة"(٢).

فعيسى- عليه السلام- في مقام دفع التهمة عن نفسه، وإثبات براءته، فكيف يصح أن يطلب العفو عن هؤلاء الجناة المفترين؟، إنه الآن في موقفٍ يحتاجُ إلى الشفاعة لا أن يشفع هو.

قال ابن القيم: "ولم يقل (الغفور الرحيم)، وهذا من أبلغ الأدب مع الله تعالى، فإنه قاله في وقت غضب الرب عليهم، والأمر بهم إلى النار، فليس هو مقامَ استعطافٍ ولا شفاعةٍ، بل مقام براءة منهم. فلو قال: (فإنّك أنت الغفور الرحيم) لأشْعَرَ باستعطافه ربَّه على أعدائه الذين قد اشتدّ غضبه عليهم. فالمقامُ مقام موافقة للربّ في غضبه على مَن غضب الربُّ عليهم. فعَدَلَ عن ذكر الصّفتين اللتين يسأل بهما عطفَه، ورحمتَه، ومغفرتَه، إلى ذكر العِزّة والحكمة، المتضمِّنتين لكمال القدرة وكمال العلم"(٣).

---

(١) روح المعاني: ٦٧/٤.

(٢) البرهان: ٩٠/١.

(٣) مدارج السالكين: ٣٩٥/٢.

وكل هذه التوجيهات من العلماء تتظافر على بيان سر هذا الختم بـ(العزيز الحكيم)، فمنهم من استحضر عزّة الخالق وحكمته، ومنهم من كان الأدب مع الله مقصده، ومنهم من تغيّا التنزيه، ومنهم من استحضر حال عيسى- عليه السلام- حين الدعاء، وبراءته من عمل قومه، ولكل وجهة، وهذا التنوّع ولّد ثراءً في التنقيب عن سر هذا الختم.

ونظير آية المائدة قوله تعالى في سورة التوبة﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١).

وقوله سبحانه في سورة الممتحنة:﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٥ ﴾ (٢).

قال ابن عاشور: " ﴿ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ تعليلٌ للدعوات كلها، فإن التوكل، والإنابة، والمصير تناسب صفة (العزيز)، إذ مثله يعامِل بمثل ذلك، وطلب أن لا يجعلهم فتنة باختلاف معانيه يناسب صفة (الحكيم)، وكذلك طلب المغفرة؛ لأنهم لما ابتهلوا إليه أن لا يَجعلهم فتنة الكافرين وأن يغفر لهم رأوا أن حكمته تناسبها إجابة دعائهم لما فيه من صلاحهم، وقد جاؤوا سائلينه"(٣).

---

(١) سورة التوبة: ٧١.

(٢) سورة الممتحنة: ٥.

(٣) التحرير والتنوير: ١٤٩/٢٨.

ثانياً: ما ختم بـ (العليم الحكيم):

قال تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾[1].

هذه الآية وردت في سياق المتخلفين عن الجهاد في غزوة تبوك، وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، قال سبحانه: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[2].

وفي قوله سبحانه: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ تشويق للنفس المتسائلة بماذا يحدث لهم.

فلمَّا أخبر تعالى: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ ﴾ اشتغل ذهن السامع بلفظة الشك: ﴿إِمَّا﴾ حتَّى يكون حال المتلقي بين الخوف والرجاء، فاشتد تشوقه إلى الختام، وربما ظن أنه يأتي في آخر الكلام: (والله تواب رحيم)، أو: (والله غفور رحيم)، فزاد من رجائه واستعداده لتلقي الإجابة، ثم ختم الآية بصفتي: (العلم والحكمة)؛ لأن أمرهم كان موكولاً إلى الله، لم يعلموه ولم يعلمه الناس، ولما كان العلم مبنى كل خير، وكانت الحكمة التي هي نهاية العلم وغاية القدرة مجمع الصفات العُلى، قال تعالى: ﴿عَلِيمٌ﴾ ، لا يأمر إلاَّ بما يكون بالغ الحسن مصلحاً للدين والدنيا، (حكيماً) فيما يأمرُ وينهى[3]، وهو تذييل

(١) سورة التوبة: ١٠٦.

(٢) سورة التوبة: ١١٨.

(٣) نظم الدرر: ٢٦١/٢.

مناسب لإبهام أمرهم على الناس، أي: والله عليم بما يليق بهم من الأمرين، بمن يستحق العقوبة ممَّن يستحق العفو، حكيم بما يفعله بهم ترهيباً، وترغيباً، وتبعيداً، وتقريباً، وإنما عَظُم ذنبهم واستحقوا عليه ذلك؛ لأن الشرع يطالبهم من الحد فيه بحسب منازلهم منه وتقدمهم فيه، إذ كان (كعب) من أهل العقبة، و(صاحباه) من أهل بدر[1]، لذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾، والتعبير بـ ﴿ثُمَّ﴾ إشارة إلى عظيم ما قاسوا من الأهوال، وما ترقوا إليه من مراتب الخوف، وامتنان عليهم بالتوبة من عظيم ما ارتكبوا[2]. فوفقهم الله تعالى بعلمه وحكمته للتوبة؛ لعلمه بإخلاص النية، وصحة التوبة، وحكمته في تربية عباده وفيما يحكم فيهم ويقضي.

وفي ختم الآية بهذين الاسمين (عليم، حكيم) سر يتناسب مع ما تضمنته الآية الكريمة، إذ إن اسمه (عليم) مناسب لما تقدم فيها من جهالة أحوال هؤلاء، إلى أين يصيرون، أيغفر لهم أم يعذَّبون؟، إذ لا يعلم ذلك إلاَّ ذو علم بأمرهم، وهو اللهُ تعالى، ثم ذُكِرَ اسمه تعالى (حكيم) إشارةً إلى أنّ تأخير حكم هؤلاء إلى أن ينزل قوله تعالى فيهم: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾[3] ليس عبثاً وإنما لِحِكَم كثيرة،

(١) المحرر الوجيز: ٣/٩٣.

(٢) نظم الدرر: ٤/٢٧.

(٣) سورة التوبة: ١١٨.

ومنها إثارة الهمّ والخوف في قلوبهم لتصحّ توبتهم؛ لأن التوبة عندما تجيء بعد ندم شديد، وتأديب نفسي تكون مرجوّة القبولِ من الله تعالى.

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥﴾[1].

التذييل بجملة ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾؛ لإفادة أن الله يعامل الناس بما يعلم من نياتهم.

قال الطبري: "ومعنى الكلام: ويمنُّ الله على من يشاء من عباده الكافرين، فيقبل به إلى التوبة بتوفيقه إيَّاهُ، والله عليم بسرائر عبادهِ ومَنْ هو للتوبة أهلٌ فيتوب عليه، ومَنْ منهم غيرُ أهلٍ لها فيخذلُهُ، حكيمٌ في تصريفِ عبادِهِ مِنْ حال كُفرٍ إلى حالٍ"[2].

وقوله سبحانه في سورة النساء: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦﴾[3].

"وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ؛ أي: كامل الحكمة، فمن علمه أن علمكم ما لم تكونوا تعلمون، ومنها هذه الأشياء والحدود، ومن حكمته أنه يتوب على

---

(١) سورة التوبة: ١٤- ١٥.

(٢) جامع البيان: ٣٧١/١١.

(٣) سورة النساء: ٢٦.

من اقتضت حكمته ورحمته التوبة عليه، ويخذل من اقتضت حكمته وعدله من لا يصلح للتوبة"(١).

قال ابن عاشور: "وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ مناسب للبيان، والهداية، والترغيب في التوبة بطريق الوعد بقبولها، فإنّ كلّ ذلك أثر العلم والحكمة في إرشاد الأمة وتقريبها إلى الرشد"(٢).

ومن الآيات التي ختمت بـ(العلم والحكمة)، ويتبادر إلى الذهن أن تختم بـ(غني حميد)، أو (واسع عليم) قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾(٣).

الآية في سياق البراءة من المشركين، ومنعهم من حج بيته الحرام، ولما كان مشيئته سبحانه تجري حسب مقتضى علمه وحكمته فقد خُتمت الآية بذكر اسمه تعالى ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ في قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ، وهو تذييل أُتي به- والله تعالى أعلم- وصفاً كاشفاً لتلك المشيئة، وأنّها مشيئة عليم، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، يعلم من يليق به الغِنى، ومَن لا يليق، وهي مشيئةُ حكيم أيضاً يضع الأشياء مواضعها، وينزّلها منازلها، والله تعالى يعلم ما يصلح أحوال الناس، وهو تعالى لا يعطي ولا يمنع إلاَّ عن

(١) تفسير السعدي: ١/١٧.

(٢) التحرير والتنوير: ٥/٢٠.

(٣) سورة التوبة: ٢٨.

حكمة، فلمَّا منعكم- أيها المؤمنون- من أن تمكِّنوا المشركين بعد هذا العام أن يدخلوا الحرم، لم يكن تاركاً منفعتكم، فقدَّر غِناكم عنهم بوسائلَ أخرى علمها وأحكم تدبيرها.

وقد هيأ لهم العليم الحكيم أسباب الرزق، وأغناهم بالمغانم التي انتثلها بأيديهم- بعد نحو ثلاث سنين من إنزالها من كنوز كسرى وقيصر- غنى لم يطرق أوهامهم قط، ثم جعل ذلك سبباً لاختلاط بعض الطوائف من جميع الناس ببعض، لصيرورتهم إخواناً في الدين الذي كان سبباً؛ لأن يجتمع في سوق منى وغيره في أيام الحج كل عام من المتاجر مع الغرب والعجم ما لا يكون مثله في بقعة من الأرض"[1].

وبذلك يظهر سر ختم الآية بصفتي (العلم والحكمة) لله- سبحانه وتعالى- ، فالعلمُ يتناسب مع ما تضمّنته الآيةُ من الإخبار عن الغيب في قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ﴾ ، والحكمةُ تتناسب مع تدبير الله تعالى للمؤمنين ومن تهيئة أسباب رزقهم.

(١) ينظر: جامع البيان: ١١/٤٠٥، ونظم الدرر: ٨/٤٣٤، والتحرير والتنوير: ١٠/

ثالثاً: ما ختم بـ (الرحمة، والعفو، والمغفرة):

قال تعالى ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[1].

حين التأمل في تركيب الآيات التي وردت فيها جملة تعالى ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ ﴾ نراها تختم بوعيد وتهديد ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾ [2]، ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [3].

وحين نقرأ الآيات التي وردت فيها ﴿ ٱلْوَٰحِدُ ﴾ نعتاً للفظ الجلالة نراها ختمت بالقهار، ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾[4].

ويتبادر إلى الذهن أن تختم هذه الآية باسم من أسمائه التي تتضمن العزة والقهر، أو القوّة والجبروت ولكنها ختمت بالرحمة والمغفرة، وثمة توجيهات وجيهة للعلماء، منها:

قال الفخر الرازي في سر الختم بـ(الرحمن الرحيم): "إنما خصّ هذا الموضوع بذكر هاتين الصفتين؛ لأن ذكر الإلهية الفردانية يفيد القهر والعلو، فعقبهما

---

(١) سورة البقرة: ١٦٣.

(٢) سورة النحل: ٥١.

(٣) سورة المائدة: ٧٣.

(٤) سورة يوسف: ٣٩، وينظر الآيات: إبراهيم: ٤٨، الرعد: ١٦، ص: ٦٥، الزمر: ٤، غافر: ١٦.

بذكر هذه المبالغة في الرحمة، ترويحاً للقلوب عن هيبة الإلهية، وعزة الفردانية، وإشعاراً بأن رحمته سبقت غضبه، وأنه ما خلق الخلق إلاَّ للرحمة والإحسان"[١].

فالرازي يرى سر الختم بـ(الرحمن الرحيم)؛ لأن ألوهيته سبحانه مبنية على الرحمة، ويرى أبو حيان أن السر في ذلك هو استحقاقه للعبادة؛ لأنه رحمك وأنعم عليك من نشأتك، وربَّاك، وختم لك بحسن العاقبة، يقول: "ذكر هاتين الصفتين منبهاً بهما على استحقاق العبادة له؛ لأن من ابتدأك بالرحمة إنشاء بشراً سويّاً عاقلاً، وتربية في دار الدنيا موعوداً الوعد الصدق بحسن العاقبة في الآخرة، جدير بعبادتك له، والوقوف عند أمره ونهيه، وأطمعك بهاتين الصفتين في سعة رحمته"[٢].

وفي وصف الله بـ(الرحمن والرحيم) إغاظة للمشركين، وزيادة في الرد عليهم؛ لأنهم أبوا وصف الله بـ(الرحمن) كما حكى الله عنهم بقوله:﴿ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾[٣].

وفيها أنه جمع بين الترغيب والترهيب، فوصف نفسه بعد (إله واحد) بأنه (الرحمن الرحيم)؛ لأنه لما كان في اتصافه بـ(إله واحد) ترهيب، وعلو، وقهر قرنه بـ(الرحمن الرحيم) لما تضمن من الترغيب؛ ليجمع في صفاته بين الرهبة منه

---

(١) مفاتيح الغيب: ١٩٦/٤.

(٢) البحر المحيط: ٦٣٨/١.

(٣) سورة الفرقان: ٦٠، وينظر: التحرير والتنوير: ٧٦/٢.

والرغبة إليه، كما قال سبحانه: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ (١).

ومن شواهد ما ختم بـ(غفور رحيم):

قوله تعالى:﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (٢).

الآية في سياق ذكر نِعم الله على عبادهِ، وأنهم لا يستطيعون لها عداً فضلاً عن شكرها، ولذا نقرأ في سورة إبراهيم:﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (٣).

وثمة لطائف حول الختم هنا وهناك، ومناسبة كل ختم للسياق التي وردت فيه.

قال ابن جرير: " ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، يقول- جلَّ ثناؤه-إنَّ الله لغفور لما كان منكم من تقصيرٍ في شكر بعض ذلك إذا تُبتم وأنبتم إلى طاعتهِ واتباع مرضاته، رحيم بكم أن يعذبكم عليه بعد الإنابة إليه والتوبة"(٤).

وقال ابن عاشور: "﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ استئناف عُقب به تغليظ الكفر والتهديد عليه تنبيهاً على تمكّنهم من تدارك أمرهم بأن يقلعوا عن الشرك،

---

(١) سورة الحجر: ٤٩- ٥٠، وينظر: تفسير القرطبي: ١٣٩/١.

(٢) سورة النحل: ١٧- ١٨.

(٣) سورة إبراهيم: ٣٤.

(٤) تفسير الطبري: ١٩٤/١٤.

ويتأهبوا للشكر بما يطيقون، على عادة القرآن من تعقيب الزواجر بالرغائب كيلا يقنط المسرفون"(١).

وأمَّا الاختلاف في فاصلة الآية، مع أنه المتحدث عنه واحد، فقد التمس العلماء لها أسراراً، منها:

- أن سياق الآية في سورة إبراهيم في وصف الإنسان وما جُبل عليه، فناسب ذكرُ ذلك التذييل بصفاته، وأمَّا آية النحل فسيقت في وصف الله تعالى وإثبات ألوهيته، وتحقيق صفاته، فناسب ذلك التذييل بصفات الله تعالى(٢).
- حين التأمل كأنه- الله- يقول: إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت آخذها وأنا معطيها، فحصل لك عند أخذها وصفان: كونُك ظلوماً، وكونُك كَفّاراً، ولي عند إعطائها وصفان: وهما أني غفور رحيم، أقابل ظلمك بغفراني، وكفرك برحمتي، فلا أقابل تقصيرك إلاَّ بالتوفير(٣).

ولابن عاشور ملمح لطيف قال فيه: "وقد خولف بين ختام هذه الآية وختام آية سورة إبراهيم، إذ وقع هنالك ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤ ﴾(٤)؛ لأن تلك جاءت في سياق وعيد وتهديد عقب

(١) التحرير والتنوير: ١٢٤/١٤.

(٢) ينظر: سورة إبراهيم: ٢٨- ٣٤، والنحل: ٩- ١٨.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ٩٩/١٩، والبرهان للزركشي: ٨٦/١.

(٤) سورة إبراهيم: ٣٤.

قوله تعالى ﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا ﴿٢٨﴾ ﴾[1]، فكان المناسب لها تسجيل ظلمهم وكفرهم بنعمة الله.

وأمَّا هذه الآية فقد جاءت خطاباً للفريقين كما كانت النّعم المعدودة عليهم منتفعاً بها كلاهما.

ثم كان من اللطائف أن قوبل الوصفان اللذان في آية سورة إبراهيم لظلوم كفار بوصفين هنا ﴿لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ إشارةً إلى أن تلك النّعم كانت سبباً لظلم الإنسان وكفره، وهي سبب لغفران الله ورحمته، والأمر في ذلك منوط بعمل الإنسان"[2].

وممَّا ختم بـ(المغفرة والرحمة) قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[3].

وفي هذه الآية محاولة الإجابة على سؤالين:

الأوَّل: لِمَ ختمت بـ(الرحيم الغفور)، والمتبادر إلى الذهن أن تختم بـ(عليم خبير)؟

الثَّاني: كل فواصل القرآن تقدّم فيه (الغفور) على (الرحيم) إلاَّ هذه الآية تقدم (الرحيم) على (الغفور) فما سر ذلك؟

---

(١) سورة إبراهيم: ٢٨.

(٢) التحرير والتنوير: ١٢٤/١٤.

(٣) سورة سبأ: ٢.

أمَّا ختمها بـ(الرحيم الغفور)، فإن السورة الكريمة افتتحت بحمد الله تعالى، والثناء عليه بسعة ملكه، وعلمه بما في السماء والأرض، ولما كان من جملة أحوال ما في الأرض أعمال الناس وأحوالهم من عقائد وسير، ومما يعرج في السماء العمل الصالح والكَلم الطيّب أتبع ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾؛ أي: الواسع الرحمة والواسع المغفرة.

وهذا إجمال قصد منه حث الناس على طلب أسباب الرحمة والمغفرة المرغوب فيهما، فإن من رغب في تحصيل شيء بحث عن وسائل تحصيله وسعى إليها، وفيه تعريض بالمشركين أن يتوبوا عن الشرك فيغفر لهم ما قدموه(١)

وقال ابن القيم: "ثم ختم الآية بصفتين تقتضيان غاية الإحسان إلى خلقه وهما (الرحمة والمغفرة) فيجلب لهم الإحسان والنفع على أتم الوجوه برحمته، ويعفو عن زلتهم، ويهب لهم ذنوبهم، ولا يؤاخذهم بها بمغفرته، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾، فتضمنت هذه الآية سعة علمه، ورحمته، وحكمه، ومغفرته وهو سبحانه يقرن بين سعة العلم والرحمة"(٢).

وأمَّا سر تقديم (الرحيم) على (الغفور)، فثمة لطائف:

- في عموم آيات القرآن يُقَدَّم (الغفور) على (الرحيم)؛ لأن المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة، والسلامة مقدمة على الغنيمة.

---

(١) التحرير والتنوير: ١٣٨/٢٢.

(٢) بدائع الفوائد: ٨٠/١.

هذه الآية انتظمت ذكر المكلفين وغير المكلفين، فالرحمة تشمل الجميع، والمغفرة تخص المكلفين؛ فقدم العموم على الخصوص[١] كما في قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾[٢]، وكقوله تعالى: ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[٣].

- أن الإنزال سبق العروج، وفي الإنزال رحمة للعباد، حيث ينزل الرزق من السماء، غفور عندما تعرج إليه الأرواح والأعمال[٤].
- أن السياق سياق الحمد، ففي الآية قبلها ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ﴿١﴾ ﴾[٥]، فناسب تقديم الوصف المصاحب للكمال على الوصف الجابر للنقصان.
- أن ما سبق يدل على ربوبية الله وملكه، والربوبية والملك لا تنتظم إلاَّ بالرفق، والإصلاح، والرحمة، فقدم الرحمة على المغفرة[٦].
- ومن شواهد ما ختم بـ(غفور حليم)، والمتبادر للذهن (عزيز حكيم) قوله تعالى:﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد: ٧٢/١.

(٢) سورة البقرة: ٩٨.

(٣) سورة الرحمن: ٦٨.

(٤) ينظر: بدائع الفوائد: ٧٢/١.

(٥) سورة سبأ: ١.

(٦) ينظر: بدائع الفوائد: ٧٢/١، ونظم الدرر: ١٥١/٦.

قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾[1].

الآية في سياق جواز خطبة المعتدة تلميحاً لا تصريحاً، والتحذير من تجاوز حدوده، وذلك بالتصريح بالخطبة لمعتدة الوفاة قبل انتهاء عدتها، ومع ذلك فإن الله غفور لمن تعدى حدود الله، وفرط بارتكاب الذنب.

قال أبو حيان: "ولما هددهم بأنه مطلع على ما في نفوسهم، وحذرهم منه أردف ذلك بالصفتين الجليلتين؛ ليزيل عنهم بعض روع التهديد والوعيد، والتحذير من عقابه، ليعتدل قلب المؤمن في الرجاء والخوف، وختم بهاتين الصفتين المقتضيتين المبالغة في الغفران والحِلم؛ ليقوي رجاء المؤمن في إحسان الله تعالى، وطمعه في غفرانه وحلمه إن زلّ وهفا"[2].

وقال تعالى:﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾[3].

سياق الآية في تنزيه الله تعالى عن افتراءات المشركين، حيث جعلوا له بنات، وجعلوا له شركاء، ويتبادر إلى الذهن ختمها بما يناسب هذا الافتراء من الشدة عليهم، والعزة، والقهر، والقوّة؛ لأن افتراءهم يقتضي إنزال أشد العقوبات بهم، لكن الله لا يعاجلهم بالعقوبة؛ لأنه حليم، ومع ظلمهم، وإجرامهم في حقه سبحانه فإنه يفتح لهم باب التوبة، ويخبرهم أنه غفور؛ ليتوبوا وينيبوا إليه.

---

(١) سورة البقرة: ٢٣٥.

(٢) البحر المحيط: ١/٢٣٠.

(٣) سورة الإسراء: ٤٤.

وجملة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ استئناف يفيد التعريض بأن مقالتهم تقتضي تعجيل العقاب لهم في الدنيا، لولا أن الله عاملهم بالحلم والإمهال، وفي ذلك تعريض بالحث عن الإقلاع عن مقالتهم ليغفر الله لهم(١).

وبدأ بالحلم؛ لدفع توهم غفلة الله عمَّا يعمل الظالمون وعن افترائهم عليه، وأتبع بالمغفرة حتَّى لا ييأسوا من رحمة الله(٢).

قال البقاعي: "لما كان الغالب على أحوال البشر أن حليمهم إذا غضب لا يغفر، وإن عفا كان عفوه مكدراً، قال تعالى﴿ غَفُورًا ﴾ مُشيراً بصيغة المبالغة إلى أنه على غير ذلك ترغيباً في التوبة"(٣).

(١) التحرير والتنوير: ١١٥/١٥.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ٣٢٩/٢٢.

(٣) نظم الدرر: ٤٢٨/١١.

رابعاً: ما ختم بـ(السميع البصير):

قال تعالى:﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١ ﴾[1].

هذه الآية افتتحت بها سورة الإسراء، والإسراء من أعظم الأحداث التي وقعت للرسول- صلى الله عليه وسلم-، ومعجزة لم يصدقها إلاَّ المؤمنون الراسخون، ولعظمة هذا الحدث العجيب يتبادر إلى الذهن أن تختم الآية بـ (على كل شيء قدير)، لكن الختم أتى بـ(السميع البصير) فما سر ذلك؟

للعلماء في عود الضمير ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ رأيان، وكلا الرأيين يكشفان سر الختم بـ(السميع البصير):

القول الأوَّل: وهو قول جمهرة المفسرين أن الضمير عائد إلى الله سبحانه، فهو يسمع ما يقوله المشركون من تكذيب لمسرى الرسول- صلى الله عليه وسلم-، ويبصر أعمالهم، وسيجازي الجميع بما قدموه.

قال ابن جرير: "إن الذي أسرى بعبده هو السميع لِما يقول هؤلاء المشركون من أهل مكة في مسرى محمد- صلى الله عليه وسلم- من مكة إلى بيت المقدس، ولِغير ذلك من قولهم وقولِ غيرهم، البصيرُ بما يعملون من الأعمال، لا يخفى عليه شيء من ذلك، ولا يعزُب عنه عِلم شيء منه، بل هو محيط بجميعه عِلماً، ومحصيه عدداً، وهو لهم بالمرصاد؛ لِيجزي جميعَهم بما هم أهله"[2].

القول الثاني: أن الضميرين عائدان إلى الرسول- صلى الله عليه وسلم-، قاله بعض المفسرين[3]، واستقرَبَه الطيبي[4].

---

(١) سورة الإسراء: ١.

(٢) جامع البيان: ١٥/١٧- ١٨.

(٣) ينظر: روح المعاني: ٨/١٥.

(٤) ينظر: فتوح الغيب للكشف عن قناع الريب: ٩/٢٤٢.

قال ابن عاشور: "والتعليل على اعتبار مرجع الضمير إلى النبي- صلى الله عليه وسلم-أوقع، إذ لا حاجة إلى تعليل إسناد فعل الله تعالى؛ لأنه محقق معلوم، وإنما المحتاج للتعليل هو إعطاء تلك الإراءة العجيبة لمن شكّ المشركون في حصولها له، ومن يحسبون أنه لا يطيقها مثله.

على أنّ الجملة مُشتملة على صيغة قصر بتعريف المسند باللام وبضمير الفصل قصراً مؤكداً، وهو قصر موصوف على صفة قصراً إضافياً للقلب، أي هو المدرك لما سمعه وأبصرهُ لا الكاذِبُ ولا المتوهمُ كما زعم المشركون، وهذا القصر يؤيد عود الضمير إلى النبي- صلى الله عليه وسلم-؛ لأنه المناسب للرد، ولا ينازع المشركون في أن الله سميع وبصير إلاَّ على تأويل ذلك بأنه المسمع والمبصِر لرسوله الذي كذبتموه، فيؤول إلى تنزيه الرسول عن الكذب والتوهم.

ثُمَّ إنَّ الصفتين على تقدير كونهما للنبي- صلى الله عليه وسلم- هما على أصل اشتقاقهما للمبالغة في قوة سمعه وبصره وقبولهما لتلقي تلك المشاهدات المدهشة، على حد قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧﴾[1]، وقوله: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٢﴾[2]"[3].

وكلا القولين يُظهران سر مناسبة ختم الآية بـ(السميع البصير)، والقول الأوَّل أظهر وعليه الجمهور.

---

(١) سورة النجم: ١٧.

(٢) سورة النجم: ١٢.

(٣) التحرير والتنوير: ٢٢/١٥- ٢٣.

خامساً: ما ختم بـ(التواب):

قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾[1].

هذه الآية أتت في سياق الحديث عن فتح مكة، في سورة النصر، وفي هذه السور بشارة، وإشارة، بشارة بنصر الله لرسوله ودخول الناس في دين الله أفواجاً، وإشارة إلى دنو أجل رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، فليحمد، ويستغفر، ويتهيّأ للقاء ربه، ومقتضى الظاهر أن يقال: إنه كان غفاراً، كما في سورة نوح: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾[2]، فيُجرى الوصف على ما يناسب قوله:﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾، فعُدل عن ذلك تلطفاً مع النبي- صلى الله عليه وسلم- بأنَّ أمره بالاستغفار ليس مقتضياً إثبات ذنب له لما علمت آنفاً من أن وصف (تواب) جاء من تاب عليه الذي يستعمل بمعنى وفقه للتوبة إيماء إلى أن أمره بالاستغفار إرشاد إلى مقام التأدب مع الله تعالى، فإنه لا يُسأل عمَّا يفعل بعباده، لولا تفضله بما بيَّن لهم من مراده؛ ولأن وصف (توّاب) أشد ملاءمة لإقامة الفاصلة مع فاصلة ﴿أَفْوَاجًا﴾ ؛ لأن حرف الجيم وحرف الباء كليهما حرف من الحروف الموصوفة بالشدة، بخلاف حرف الراء فهو من الحروف التي صفتها بين الشدة والرّخوة[3].

وقيل: إن في الآية احتباكاً، والأصل (واستغفره إنه كان غفاراً، وتب عليه إنه كان تواباً) فدل بالآمر بالاستغفار على الآمر بالتوبة، وبتعليل الآمر بالتوبة على تعليل الآمر بالاستغفار، فدلَّ بالمذكور على المحذوف[4].

---

(١) سورة النصر: ٣.

(٢) سورة نوح: ١٠.

(٣) التحرير والتنوير: ٣/٥٩٦- ٥٩٧.

(٤) ينظر: روح المعاني: ٣٠/٢٥٩.

الخاتمة

١- أن السياق اللغوي له حضور في التراث العربي بهذه الصيغة منذ القرن الثاني الهجري.

٢- أن السياق في القرآن يشمل الأغراض والمقاصد التي تدور عليها جميع معاني القرآن، إلى جانب النظم الإعجازي، والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته.

٣- أن جلال القرآن وتقديسه لدى المسلمين لم يكن يقف حائلاً دون دراسته، بأشكال، ولأغراض، وبمناهج مختلفة، وكل من تناوله بالدرس إنما كان يبحث عن المعنى على وجهٍ من الوجوه.

٤- أن التناسب وجه من أوجه إعجاز القرآن، وقد أولاه العلماء اهتمامهم بقسميه اللفظي والمعنوي، وكان الشيخ عبدالقاهر يحتفي بالتناسب المعنوي.

مراجع البحث

١- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (بيروت، دار المعرفة)، دت.
٢- أساس البلاغة للزمخشري (بيروت، دار صادر) ط١، ١٤١٢هـ.
٣- أسرار البلاغة للجرجاني، ت: محمود محمد شاكر (جدة، دار المدني) ط/١، ١٤١٢هـ.
٤- البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي، ت. د: عبدالقادر أبو غدة (القاهرة، دار الصفوة، ط/٢، ١٤١٣هـ).
٥- البحر المحيط لأبي حيان، ت: عادل عبدالموجود، علي محمد معوض (بيروت، دار الكتب العلمية) ط/١، ١٤١٣هـ.
٦- بدائع الفوائد لابن القيم، (بيروت، دار الكتاب العربي).
٧- البرهان في علوم القرآن للزركشي، ت: مصطفى عبدالقادر عطا (بيروت، دار الكتب العلمية) ط/١، ١٤٠٨هـ.
٨- البرهان في علوم القرآن للزركشي، ت: مصطفى عبدالقادر عطا (بيروت، دار الكتب العلمية) ط/١، ١٤٠٨هـ.
٩- التحبير في علم التفسير للسيوطي، ت. د: فتحي عبدالقادر فريد (الرياض، دار العلوم، ط/١، ١٤٠٢هـ).
١٠- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمبارك فوري (بيروت، دار الكتب العلمية) ط/١، ١٤١٠هـ.
١١- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ت: حسين إبراهيم زهران (بيروت، دار الكتب العلمية) ط/١، ١٤٠٦هـ.
١٢- التفسير الكبير للفخر الرازي (بيروت، دار الكتب العلمية) ط/١.
١٣- التلخيص في علوم البلاغة للقزويني (بيروت، دار الكتاب العربي) د. ت.
١٤- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني، ت: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام (مصر، دار المعارف)، د. ت.
١٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (مصر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي) ط/٣، د. ت.

١٦- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (بيروت، دار الكتب العلمية)، ١٤١٣هـ.
١٧- دلالة السياق للدكتورة/ ردة الله بن ردة الطلحي (مكة المكرمة، مطبوعات جامعة أم القرى)، ١٤٢٤هـ.
١٨- دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني، ت: محمود محمد شاكر (القاهرة، مكتبة الخانجي) ط/٢، ١٤١٠هـ.
١٩- الرسالة للشافعي، ت: أحمد محمد شاكر (القاهرة، دار التراث، ط/٢، ١٣٩٩هـ).
٢٠- روح المعاني للألوسي، ت: علي عبدالباري عطية (بيروت، دار الكتب العلمية) ط/١، ١٤١٥هـ.
٢١- شروح التلخيص (بيروت، دار السرور) د. ت.
٢٢- الصحاح للجوهري، ت: أحمد عبدالغفور عطار (بيروت، دار العلم للملايين) ط/٣، ١٤٠٤هـ.
٢٣- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب لشرف الدين الطيبي، ت: عمر القيام (نشر جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الإمارات) ط/١، ١٤٣٤هـ.
٢٤- الكشاف للزمخشري، ت: محمد عبدالسلام شاهين (بيروت، دار الكتب العلمية) ط/١، ١٤١٥هـ.
٢٥- لسان العرب لابن منظور (بيروت، دار صادر) د. ت.
٢٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (بيروت، دار ابن حزم) ط/١، ١٤٢٣هـ.
٢٧- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ت: عبدالسلام هارون (بيروت، دار الجيل)، ١٤٢٠هـ.
٢٨- مفتاح العلوم للسكاكي، ت: نعيم زرزور (بيروت، دار الكتب العلمية) ط/٢، ١٤٠٧هـ.
٢٩- ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي، ت: د. محمود كامل أحمد (بيروت، دار النهضة العربية)، ١٤٠٥هـ.

III. Documentation:

1. Footnotes should be placed in the footer area of each page respectively..

2. Sources and references must be listed at the end.

3. Sample images of the verified/edited manuscript should be inserted in their respective areas.

4 - Clear pictures and graphs that are related to the research should be included in appendices.

IV. In case the author is dead, the date of his death, in Hijri calendar, is used after his name in the main body ofthe research.

V. Foreign names of authors are transliterated in Arabic script followed by Latin characters between brackets. Full names are used for the first time the name is cited in the paper.

VI: Submitted articles for publication in the journal are refereed by two reviewers, at least.

VII. The modified articlesshould be returned on a CD-ROM or via e-mail to the journal.

VIII. Rejected articleswill not be returned to authors.

IX. Authors are given two copies of the journal and fifteen reprints of their article.

Address of the Journal:

All correspondence should be sent to the editor of the Journal of Arabic Studies:

Riyadh,11432 P.O. Box 5701
Tel: 2582051 - Fax 2590261
www. imamu.edu.sa
E.mail: arabicjournal@imamu.edu.sa

Criteria of Publishing

The Journal of Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University for Arabic Studies is a peer reviewed journal published by the Deanship of Scientific Research on UniversityCampus.It publishes scientific research according to the following regulations:

I.Acceptance Criteria:

1. Originality, innovation, academic rigor, research methodology and logical orientation.
2. Complying with the established research approaches, tools and methodologies in the respective disciplines.
3. Accurate documentation.
4. Language accuracy.
5. Previously published submissions are not allowed.
6. Submissions must not be extracted from a paper, a thesis/dissertation, or a book by the author or anyone else.

II.Submission Guidelines:

1. The author should write a letter showing his interest to publish the work, coupled with a short CV and a confirmation that the author owns the intellectual property of the work entirely and that he will not publish the work without a written agreement from the editorial board.

2. Submissions must not exceed 50 pages (A4).

3. Submissions are typed in Traditional Arabic, in 17-font size for the main text, and 14-font size for footnotes, with single line spacing.

4. A hard copy and soft copy must be submitted with an attached abstract in Arabic and English that does not exceed 200 words or one page.

Editor –in- Chief

Prof. Ibrahim Ibn Abdulaziz Abu Haimed
Applied Linguistics- Institute for Teaching Arabic Language- Al-Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

Prof. Ibrahim Ibn Mohammad Abanami
Literature department College of Arabic Language - Al- Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

Prof. Muhammad Ahmad Al-Daly
Linguistics department- College of Arts - Kuwait University

Pro. Mohammad Mohammad Abu Musa
Department of Rhetoric and Criticism- Faculty of Arabic Language- Al-Azhar University

Prof. Nawal, Bint of Ibrahim Al-Hilweh
Arabic Language department- Faculty of Arts - Princess Nourah Bint Abdul Rahman University

Prof. Yusef Ibn Abdullah Al-Aliwi
Department of Rhetoric and Criticism- College of Arabic Language- Al- Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

Editorial-secretary
Prof. Mamdouh Ibrahim Mahmoud

Deanship of Scientific Research

Chief Administrator
H.E.Prof. Ahmed Ibn Salem AL-Ameri
President of the University

Deputy Chief Administrator
Prof. Abdullah ibn Abdulaziz Al-Tamim
Vice Rector for Graduate Studies and Scientific Research

Editor –in- Chief
Prof. Saud Ibn Abdulaziz Al-Hanin
Grammar Department- College of Arabic Language

Managing Editor
Dr.Ibrahim Ibn Nasser Al-Shakari
vice Deanship of Scientific Research